شرح

أصول العقائد

تأليف: الشيخ عبد الجليل علي الأمير

تقريظ

آية الله الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

الميرزا عبد الله الإحقاقي دام عزه

الجزء الأول

منشورات

دار الوعي الإسلامي

بيروت - لبنان

شرح
أصول العقائد
(جـ ١)

شرح
أصول العقائد

تأليف
الشيخ عبد الجليل علي الأمير

تقريظ
آية الله الحكيم الإلهي و الفقيه الرباني
الميرزا عبد الله الإحقاقي دام عزه

الجزء الأول

منشورات
دار الوعي الإسلامي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

الإهداء

أهدي هذا الشرح المتواضع، شرح أصول العقائد لمؤلفه العالم العامل، والإنسان الكامل، واللوذعي الباسل، الحسيب النسيب، والألمعي الأديب، العارف بمقامات الرسول، المقتدي لأبناء البتول، السيد كاظم الحسيني الرشتي، إلى حضرة الحكيم الإلهي، والفقيه الرباني، حاوي المعقول والمنقول، وجامع شتات آل الرسول، الشاب الأصيل، والفرع النبيل، صاحب السياسة المحمدية، والسكينة المهدوية، ذو السماحة والملاحة، والأدب الرصانة، الإداري القوي، والمتمكن السوي، القوي في ابتسامته، الضعيف في شدته، بطل همام، شجاع ضرغام، أعني الحسيب الشريف، والهادي اللطيف، جامع الكمالات الإنسية، والصفات القدسية، العالم العامل، والعارف الكامل، غواص غمرات الخوف والرجاء، وسياح فيافي الزهد والتقى، فخر الشيعة، وزينة الشريعة، المحقق البصير، والمطلع الخبير، الورع التقي، والنقي الوفي، أستاذنا الرشيد، وعلمنا السديد، مولانا آية الله الميرزا عبد الله، نجل سلمان زمانه، والسابق لأقرانه، الفقيه المتمكن، والعلامة المتفنن، آية الله العظمى الميرزا عبد الرسول، نجل الإمام المصلح والعبد الصالح، آية التقى، وعلم الهدى، ومنار الإصلاح، وقائد النجاح، عابد زمانه، وسيد أقرانه، صاحب الحزم القوي، والخلق المهدي، مظهر خلق الرسول، وفضائل المعصوم، آية الله الميرزا حسن الإحقاقي رضوان الله عليهم، وأعلى الله مقامهم والسلام.

عبد الجليل علي حسن الأمير

٣/ ٨/ ١٤٣٢ هجرية

مقدمة الشارح

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين

وبعد

في الحقيقة كتاب أصول العقائد لآية الله العظمى السيد السند، والعلم المعتمد السيد كاظم الحسيني الرشتي نور الله ضريحه، وأعلى مقامه، من كتب علم أصول العقيدة من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد الجسماني، الذي يفوق على أقرانه من مؤلفات علوم العقيدة، لتطرقه إلى الظاهر والباطن الموافق للظاهر، لا كما عليه المتصوفة الباطن المخالف للظاهر

فهذا الكتاب المستطاب ألفه السيد كاظم رضوان الله عليه باللغة الفارسية، فمنع اللسان العربي من الإستفادة منه، فقام آية الله العظمى العالم العامل، والنحرير الكامل، غواص درر كلمات المعصومين عليهم السلام، المولى الآغا الميرزا موسى الإحقاقي قدس الله نفسه وأعلى مقامه بترجمته إلى العربية لاستفادة الكل

فكنت متردداً بالقيام بشرح هذا السفر العظيم، والعلم المتين، فأين الثريا من الثرى؟ فيحتاج إلى سباح ماهر، وقبطان حكيم، ومطلع حاذق، للقيام بهذا الأمر الجلل، والصعود إلى القمم، والحقير ليس من السباحين في البحر المحيط، والأمواج العاتية، ولكني تذكرت قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1]

---

(١) سورة الطلاق آية (٣).

فتوكلت على الله عزَّ وجلَّ على قلة البضاعة، وكثرة الإضاعة، وقدمت مولاي وسيدي، بقية الله في أرضه، الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء في أموري، ليذلل لي الصعب ويقرب لي البعيد، فهو الحصن الحصين، والكهف المنيع، والفلك الجارية في اللجج الغامرة، عجل الله فرجه وسهل مخرجه اللهم ـ صل عليه صلاة لا غاية لعددها، ولا نهاية لمددها، ولا نفاد لأمدها، اللهم وأقم به الحق وأدحض به الباطل، وأدل به أولياءك، وأذلل به أعداءك، وصل اللهم بيننا وبينه وصلة تؤدي إلى مرافقة سلفه، واجعلنا ممن يأخذ بحجزتهم، ويمكث في ظلهم، وأعنا على تأديه حقوقه إليه، والإجتهاد في طاعته، واجتناب معصيته، وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك، وفوزاً عندك، واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعاءنا به مستجاباً، وجعل أرزاقنا به مبسوطة، وهمومنا به مكفية، وحوائجنا به مقضية، وأقبل إلينا بوجهك الكريم ـ آمين رب العالمين وصلى الله على محمد آله الطيبين الطاهرين

والسلام على من اتبع الهدى

عبد الجليل علي الأمير

تقريظ آية اللّه الميرزا عبد اللّه الإحقاقي دام عزه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا ونبينا محمد واله الطيبين الطاهرين . لاحظت تحقيق الاخ الفاضل العالم الشيخ عبد الجليل علي الامير كثر الله امثاله على كتاب « اصول العقائد » من مؤلفات سيدنا الامجد السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره الشريف، و وجدته شرحاً تحقيقاً قيّما ممتازا ، ان هذا الشرح كما اطلعت على فصوله، ليس مجرد الشرح بل يتمتع هذا الشرح بشخصيّة خاصة انتجتها قريحة المؤلف الفاضل الذى كشف في ابحاثه عن سعة اطلاعه وتنوع معارفه القرانيّة والروائيّة الواردة عن المعصومين عليهم السلام في هذا المجال واشرافه الكامل على كتب مشايخنا العظام خاصّة شيخنا الاوحد الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي وكتب السائرين. وليس كثيراً عليه نحو من الباحثين الممتازين في هذه المدرسة العلويّة الاوحديّة ويجدر بالمومنين أن يستفيدوا من هذه المجموعة الشاملة والمفيدة لمعارف الدين ببركات محمد واله الطاهرين و نطلب من الله التوفيق والسداد له في نشر فضائل اهل البيت ومناقبهم ونسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا من نعمه الظاهرة والباطنة وان يوفقنا لخدمة الاسلام تحت راية مولانا ومقتدانا صاحب العصر والزمان روحي وارواحنا له الفداء حجة بن الحسن العسكري (عج) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالله عبدالرسول الاحقاقي

المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على ساداتنا محمّد وآله المعصومين، وعلى أرواحهم وأجسادهم وشاهدهم وغائبهم وأوّلهم وآخرهم وظاهرهم وباطنهم، ولعن الله أعداءهم ومخالفيهم أجمعين إلى يومِ الدّين. . . . . أمّا بعد:

فقد التمس منّي بعض طالبي الحق، وسالكي سبيل الصّدق، أن أصنّف رسالة بأدلّة مختصرة، مشتملة لأصول عقائد الدّين، ومحتويه لجل مطالب الحق باليقين، المعروفة بالأصول الخمسة:

التّوحيد، والعدل، والنّبوة، والإمامة، والمعاد، حاوية لعقائد الدّين والمذهب، مقتبسة من أنوار خير البشر، وموافقة لطريقة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، بعبارات واضحة، وبيانات صريحة لائقة، من دليل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى ينتفع منها عامة الناس، من الفضلاء وعوام الناس، وينجلي عن قلوبهم الإشتباه والالتباس، ولا يتمكن منهم الخناس، فأجبت ملتمسهم مع قلة البضاعة، وعدم الاستطاعة، رجاء ثواب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأنّ كنت معذوراً لكثرة الموانع، لكن الميسور لا يسقط بالمعسور، مضافاً إلى أنّ السائل إذا كان من أهل الإجابة وممن لا يرد (لا تمنعوا الحكمة أهلها

فتظلموهم ولا تعطوها غير مستحقها فتظلموها)[١] لكن بينما كنت أتفحص بعض الكتب في خزانتها وأتقلبها، إذ عثرت على ما صنفه العلامة آية الله السيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي أعلى الله مقامه ـ باللغة الفارسية ـ المسمى [بأصول العقائد] فرأيته أحسن ماصنف وألف في المقام، بحيث قد أتى بالمرام وفوق المرام.

وكان جامعاً مانعاً مستوفياً لمطالب الأصول الخمسة، المذكورة على نحو الإختصار نافعاً حتى للخواص والفضلاء فضلاً عن العوام والبعداء، مقتنصاً لأغلب المسائل المهمة في التوحيد والعدل، رافعاً لأكثر الشبهات بين المسلمين وأهل العدل، ورأيت أنّ ترجمة هذا التأليف الشريف إلى (اللغة العربية) ربما يكون أنفع، ونشرها أولى وأجدر، لعامة البشر.

وأيضاً أسرع إلى المطلوب والمراد من تصنيف رسالة مستقلة في المقام، فسارعت إلى ترجمته ولم أتعداها راجياً من المطلعين فيها على الخطأ، والواقفين على الزلل، أنّ يصلحوه بقلم الإصلاح، وربما لا تخلو ترجمته تحت اللفظ من ركاكة وعدم السلامة، والأمل أنّ نكون معذورين لدى أهل المعرفة، فلنشرع في الترجمة سائلاً من الله تعالى التوفيق والعصمة فنقول: إنّ السيد الأمجد قدس الله نفسه الزكية رتب هذه الرسالة النفيسة على خمسة أبواب بعدد الأصول الخمسة ولكل باب فصول.

ميرزا موسى الإحقاقي

---

(١) البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٢١٧.

(الباب الأول)
في التوحيد
وفيه فصول اثنا عشر

الفصل الأول في إثبات وجود الواجب تعالى شأنه

اعلم أنّ كل فقير ومحتاج يقال له ممكن، وكل غني في كافة الأمور بحيث لا يحتاج إلى غيره أبداً وغيره محتاج إليه يعبر عنه بواجب❁

❁ النسبة بين مادتي القضية

قبل البدء نقدم مقدمة يتضح المعنى، وهي أنه كل قضيه لابد لها من موضوع ومحمول، وبينهما نسبة، وهذه النسبة تنسب إلى مادة القضية من الموضوع والمحمول من المبتدأ والخبر، كقولك: علي عالم على موضوع، وعالم محمول، فبين الموضوع والمحمول نسبة، وهذه النسبة لا تخلو من ثلاث صور وهي:

الأول: الوجوب

ومعناها ضرورة ثبوت المحمول لذات الموضوع ولزومه له، وذلك مثل قولك الأربعة زوج، فحمل الزوجية على الأربعة واجب بحيث لا يمكن فك الزوجية عن الأربعة حتى عند العقل، فيسمى هذا الحمل، أي حمل المحمول على ذات الموضوع واجب، أي الزوجية بالنسبة للأربعة واجبة لا يمكن فكها عنها بما هي أربعه، وإلا في نفس الأمر الأربعة وجود مستقل والزوجية أيضاً موجود مستقل، ومثل ذلك النار والحرارة، فحمل الحرارة على النار واجب، وإن كان وجود ومفهوم النار غير الحرارة في الخارج

ولما نقول الحق سبحانه موجود، نعني أن الوجود لله سبحانه واجب، لا يمكن فكه عنه بأي وجه من الوجوه، بل وجوده عين ذاته سبحانه، كما يأتي عليه الكلام.

وطبعاً الحق سبحانه لا يقاس بخلقه من الزوجية والحرارة، ولكن نذكره لتقريب المعنى، وإلا الحق سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

الثاني: الامتناع

ومعناه استحالة ثبوت المحمول لذات الموضوع، مثل اجتماع النقيضين، كقولك: القلم موجود معدوم، بحيث يكون القلم موجوداً معدوماً في نفس الوقت، هذا محال وجوده في الخارج بهذه الكيفية، ولا نطيل هنا، لنوكله إلى المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

الثالث: الإمكان

وهذا القسم هو عبارة عن سلب الوجوب والامتناع عن الشيء بحيث لا يكون واجباً حمل المحمول على الموضوع ولا ممتنعاً، فيجوز أن يحمل ويجوز ألا يحمل، مثل الإنسان لما نقول: الإنسان موجود بأن نحمل الوجود على الإنسان، فالوجود ليس أمراً ضرورياً وواجباً للإنسان، وأيضاً ليس أمراً ممتنعاً له، بل الإنسان وغيره من المخلوقات ممكن الطرفين العدم والوجود، فالإمكان أمر عدمي بالنسبة للضرورتين، وهما الوجوب والامتناع، ويسمى هذا القسم ممكناً، أي ممكن أن يوجد وممكن ألا يوجد، وهذا حال سائر الخلائق أجمع، فحال الممكن معدوم، لا بد له من موجد قديم، يوجده ويظهره من حالة العدم إلى حالة الوجود

إثبات الصانع

أنه من الأدلة على إثبات الصانع لهذا الصنع كثيرة، منها ما روى عن أئمتنا عليهم السلام في إثبات الصانع، كما روى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث قال:

(وإنما هو الله عز وجل، وخلقه لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما)[١]

فالموجود بما هو موجود لا يخلو من أمرين:

الأمر الأول:

هو الذي وجوده واجب له بحيث وجوده عين ذاته غير مستفاد من الغير، فلو كان وجوده مستفاداً من الغير، إما أن يكون ذلك الغير وجوده عين ذاته أو مستفاداً من الغير، فان كان وجوده عين ذاته لزم المطلوب وهو الله تعالى ويسمى بواجب الوجود، ويوسم بالغني المطلق في جميع الأمور، بحيث لا يكون غنياً في شيء دون شيء، فلو كان غنياً في شيء دون شيء، لزم احتياجه واحداثه، و يجب يكون غنياً مطلقاً في جميع الأمور، لا يحتاج إلى شيء أبداً، فوجوده عين ذاته غير مستفاد من الغير، بل الغير مستفاد منه

الأمر الثاني:

أن يكون هذا الموجود وجوده مستفاداً من الغير، بحيث الغير أوجده من حالة العدم إلى حالة الوجود، وهذا حال ما سوى الله تعالى مطلقاً، ويقال له الممكن أي ممكن وجوده وممكن عدمه، بمعنى أنه كان معدوماً في آنٍ ما ثم وجد، وهذا حال الخلائق أجمع.

ويوسم هذا الخلق بالفقر والاحتياج إلى الغني المطلق، الذي وجوده عين ذاته وهو الله تعالى. فالممكن محتاج في وجوده، وفي خلقه، ورزقه، وحياته ومماته، وجميع أموره إلى الغنى المطلق سبحانه وتعالى.

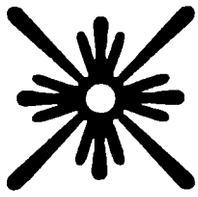

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٣٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج٢/ ص١٥٦، البحار للمجلسي ١٠/ ٣١٦.

ولا شك أنّ جميع الموجودات ليسوا بواجب كلهم، لفقرهم واحتياجهم بالحس والوجدان، وعدم غناء بعضهم عن بعض، والواجب غني مطلق لا يكون فقيراً ومحتاجاً، وكذا لاشك أنهم ليسوا بممكن كلهم، بحيث لا يكون فيهم واجب ❁.

❁ ليس الموجودات كلهم بممكن

هنا السيد كاظم ـ أعلى الله مقامه ـ يذكر دليلاً حسياً بالحواس الظاهرة من السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وكذا بالحواس الباطنة من الحس المشترك، والخيال والوهم والحافظة والفكرة، وبالوجدان أي الضمير، والفطرة على أن الموجودات بما هي موجودات في هذا الوجود الذي نراه ونحسه لأننا قبل ألف سنة غير موجودين ثم وجدنا، فهذا دليل أن وجودنا مستفاد من قديم غيرنا، وهذا القديم هو الذي أوجدنا من حالة العدم إلى حالة الوجود وهكذا بقية المخلوقات، لم تكن ثم كانت، وذلك مثال عمارة تتكون من عشرين طابقاً مثلاً، العقل يحكم أنها قبل بضع سنين لم تكن ثم كانت فنستدل بالعقل على وجود بانٍ، وهذا الباني وجوده قديم وسابق على وجود العمارة والبناية المتكونة من عشرين طا بقاً، إذن لا يمكن القول أن نعتقد أن جميع الموجودات واجب الوجود، لوجود الإحتياج إلى الوجود من حالة العدم إلى حالة الوجود، كما نراه في أنفسنا وما حولنا

وفي المقابل لا يمكن لنا أن نقول: إن الموجودات كلها ممكنة أي معدومة، لأنه لو كان جميع الموجودات ممكنة معدومة، يحق لنا أن نسأل من الذي أوجدها وأظهرها من حالة العدم إلى حالة الوجود، فالأمر لا يخلو من أمرين هما:

الأمر الأول:

إنها أوجدت نفسها بنفسها، وذلك مثل العمارة، المتكونة من عشرين طابقاً، هي التي كونت نفسها بنفسها، وهذا باطل عقلاً وعرفاً.

الأمر الثاني:

إن الذي أوجدها من حالة العدم إلى حالة الوجود، موجود قديم، ووجود هذا القديم عين ذاته، أي غير مستفاد من الغير مطلقاً، بل الغير محتاج إليه، فيلزم المطلوب

ليس الموجودات كلهم بواجب

وليس كل الموجودات بواجب الوجود، أي وجودهم عين ذاتهم، غير مستفاد من الغير، كما أنهم ليس كلهم بممكن، بحيث أنه لا يوجد فيهم غني مطلق، يسد احتياجهم وفقرهم، وليس فيهم واجب الوجود يسد احتياجهم

وإلا لما وجدوا ولما ظهروا من العدم إلى الوجود ❁

❁ فرضية جميع الموجودات ممكن

أي لو فرض أن الموجودات كلهم ممكن، بحيث لا يكون فيهم واجب الوجود، لما استطاعت الممكنات أن تظهر وتنوجد من العدم إلى الوجود، فلا بد لموجود قديم، قدمه ووجوده عين ذاته، هو الذي يخرجها من حالة العدم إلى حالة الوجود، وهو الله تعالى، المعبر عنه بواجب الوجود

إذ الممكن فقير لا يسد احتياج وفقر نفسه، فضلا عن سد فقر غيره ❁

❁ الفرضية الثانية

هذا دليل ثاني على ضرورة وجوب واجب الوجود لهذا الممكن، وهو أنه لو لم يكن وجود واجب الوجود لزم أنه توجد الممكنات نفسها بنفسها وهذا باطل، بدليل بطلان تكون عمارة من عشرين طابقاً بدون بانٍ

وثانياً: إن الممكن لا يستطيع أن يسد فقر واحتياجات نفسه، من جلب المنفعة ودفع المضرة، فكيف يسد احتياج وفقر غيره، وإيجاد الغير من العدم إلى الوجود.

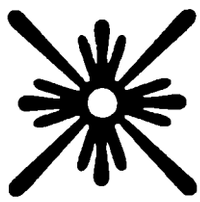

ولا يكون موجوداً إلا أنّ يرجح غيره وجوده على عدمه فيوجد، وغيره لايكون مثله ❁، شعر:

ذات نـايـافـتـه از هـسـتـي بـخـش
كي تواندكه كند (شود) ازهستي بخش❁❁

فلا بد في الموجودات من غني مطلق يسد احتياج الكل وفقرهم، ويرجح وجود الممكن على عدمه فيوجده، وذلك الغني المطلق الذي يسد احتياج الكل،

والكل يحتاج إليه، هو واجب الوجود❁❁❁

❁ الفرضية الثالثة

هذا دليل ثالث على ضرورة وجود واجب الوجود، وهو أنه لو لم يوجد واجب الوجود لزم أنه لا ينوجد الممكن من العدم إلى الوجود، وذلك ضرورة وبداهة أنا نرى الممكنات كانت معدومة ثم وجدت، فهذا المعدوم لابد في إيجاده من موجد، وهو واجب الوجود، أي وجوده ذاتي غير مستفاد من الغير، يرجح وجود الممكن على عدمه، وهذا المرجح والموجود لهذا المعدوم، لا يكون مثله ممكن محتاج، وإلا لزم التسلسل الباطل، أي لو كان هذا الموجد ممكناً لاحتاج إلى آخر، فإن كان الآخر ممكناً لزم احتياجه إلى ما لانهاية وهذا باطل

❁❁ معنى الشعر أنه الذات المقدسة، غير محتاجة إلى الغير، والشطر الثاني والغير محتاج إلى الذات

❁❁❁ خلاصة الكلام أنه لابد للموجودات الممكنة المخلوقة من موجود وجوده عين ذاته، بحيث لا يحتاج إلى الغير من جميع الجهات والحيثيات، وهذا هو الغي المطلق، الذي يرجح ويوجد المعدوم من حالة العدم إلى الوجود والعيان، مشروح العلل مبين الأسباب، ويرجح حياته ورزقه ومماته واحتياجاته في دنياه

وآخرته، وهذا الغنى المطلق يسد احتياج الكل في جميع الأمور، لأن هذه الممكنات لا تستطيع أن تستقل بنفسها، و لا أقل من طرفة عين من دون مدد وإفاضة من الموجد الغني المطلق، وذلك مثل الأشعة بالنسبة للمصباح، فلو أن المصباح يقطع مدده للأشعة آناً أو لحظه أو أقل، لفنت الأشعة بالكلية، وذلك حال انقطاع التيار الكهربائي في المنزل لحظة واحده، فإنه لا يمكن لأي مصباح أن يضيء، لا قليلاً ولا كثيراً، لأن مدده مستمد من الكهرباء

فهذا حال المخلوقات بالنسبة للصانع جل وعلا، فهو دائماً يمدهم، وهم دائماً يطلبون المدد منه، بحيث لا يستغنون عنه ولا لحظة واحدة، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[1].

فالحق تعالى هو الذي يعطي الخلائق الخلق والرزق والحياة والإماتة، وجميع مالها وعليها

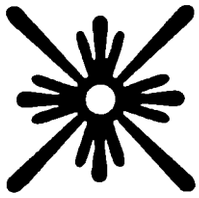

(١) سورة إبراهيم، آية (٣٤).

وبهذا المعنى وردت أخبار كثيرة (منها) الخبر الصحيح عن الرضا عليه السلام لما سئل عن الدليل في إثبات الواجب وحدوث العالم.

قال عليه السلام: (أنت ما كوّنت نفسك ولاكوّنك من هو مثلك)[1].

يعنى: أيها الضعيف أنت ماخلقت نفسك، وأنّ أمرك ليس بيدك، وإلا كنت قادراً على دفع المكاره عن نفسك، وجلب المنافع إليها، والحال لست كذلك، وإذا مرضت أو احتجت لاتتمكن من دفع المرض، وجلب الحاجة إلى نفسك، وهذا أقوى دليل على أنك عاجز صرف، لاتتمكن من دفع مكروه جزئي عن نفسك، فكيف تكون نفسك؟ وأنك معدوم فلا بد لك من مكون غيرك، وهو ليس مثلك، والمكون لك هو الذي بيده تدبير أمورك، وتكوين وجودك، وموجدك من العدم إلى الوجود، وليس فقيراً ومحتاجاً مثلك من جميع الوجوه، فهو واجب الوجود، وأنت وأمثالك ممكن حادث متغير❁

والأدلة لإثبات الواجب كثيرة، لكنا اكتفينا بهذا الدليل لوضع الرسالة للاختصار، وتصحيح الاعتقاد للعوام، والتطويل لا يناسب المقام ❁❁.

❁ معنى حديث الإمام الرضا عليه السلام

هنا السيد كاظم ـ أعلى الله مقامه ـ يشرح حديث الإمام الرضا عليه السلام في أن الخلق لا يمكن لهم أن يوجدوا أنفسهم، ولا يوجدهم من هو مثلهم، إذ مثلهم فقير محتاج،

---

(١) عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له يا بن رسول الله، ما الدليل على حدوث العالم؟، قال: أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك، ولا كونك من هو مثلك. الأمالي للشيخ الصدوق ٤٣٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢٣، الإحتجاج للشيخ الطبرسي٢/ ١٧١.

والدليل على ذلك البداهة والواقع، وهو أن الإنسان وغير الإنسان لا يمكن أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، بحيث لو أصاب الإنسان مرض لا يستطيع أن يرفع هذا المرض، وإذا أراد أمراً من متاع الدنيا لا يمكن له أن يجلبه.

❁❁ فجلب المنفعة ودفع المضرة، هذا أمر جزئي بالنسبة إلى وجود الإنسان، فإذا كان الأمر الجزئي لا يقدر عليه، فكيف بالأمر الكلي وهو خلق الإنسان نفسه من العدم إلى الوجود؟ فتلخص أن الإنسان ما خلق نفسه ولا خلقه من هو مثله مخلوق محتاج، بل الذي خلقه وأوجده من العدم إلى الوجود هو واجب الوجود، الغنى المطلق غير محتاج إلى الغير، والغير محتاج إليه في كل شيء، فالغنى المطلق يسمى بواجب الوجود، وأنت أيها الإنسان وأمثالك تسمى بممكن الوجود، ومعنى ممكن الوجود، أن وجودك غير واجب، بل وجودك معدوم ثم وجد.

الفصل الثاني في إثبات أن واجب الوجود واحد

فأعلم أنّه لو كان متعدداً لما خلى من إحدى صورتين:

إمّا الاتفاق في إرادتهما أو الاختلاف فيهما، أمّا في صورة الاختلاف أي تعلّق إرادة احداهما بإيجاد زيد وتعلّق إرادة الآخر بعدم إيجاده، فإمّا أن تقع الإرادتان معاً، أو تنتفيان معاً، أو تقع احداهما وتنتفي الأخرى، إن قلت: بوقوع الإرادتين فقد نطقت بالمحال، إذ يلزم حينئذٍ وجود زيد وعدمه، وهو باطل بالبداهة، وإن قلت: بعدم وقوع الإرادتين قلنا: إنّ كليهما ليس بواجب لعدم وقوع إرادتهما.

وإن قلت بوقوع إحدى الإرادتين دون الأخرى، سألتك عن سبب عدم وقوع الأخرى، هل هو عجز المريد، أو تبعية إرادته لإرادة الآخر؟ ففي الصّورتين حكمنا بأن الواجب هو القادر المتبوع النّافذ الحكم، الّذي لا رادّ لإرادته ❁.

❁ أنه بعدما فرغ السيد كاظم ـ أعلى الله مقامه ـ من إثبات وجوده أنه واجب الوجود، عرج هنا على أن واجب الوجود هو واحد أحد، لا شريك له في وحدانيته جل وعلا، فمن الأدلة على وحدانيته.

برهان التمانع

وهو أنه لو فرضت وجود أكثر من واحد من الآلهة، ولنفرض إلهين اثنين، فإنه لا تخلو إرادتهما، إما أن يتفقا في الإرادة في كل شيء، وإما أن يختلفا في الإرادة.

صورة الاختلاف في الإرادة

أي في صورة اختلافهما في الإرادة، بمعنى هذا يريد خلق جاسم، والآخر لا يريد أن يخلقه، فهنا ثلاث صور:

الصورة الأولى: أن تنفذ الإرادتان معاً، أي ينوجد جاسم ولا ينوجد، بمعنى اجتماع النقيضين، وهنا محال، جاسم موجود ومعدوم معاً اجتماع للنقيضين وهذا باطل

الصورة الثانية: أن تنتفيا معاً أي تنتفي إرادة الإله الأول والثاني حسب الفرض، وهذا يدل على العجز والضعف منهما، فيظهر أن كليهما ليسا بواجب، لأن الضعف والعجز من صفات الممكن المخلوق، لا واجب الوجود القديم.

الصورة الثالثة: أن تنفذ أحد الإرادتين دون الأخرى، فمن هنا نسأل عن الإله المختلفة إرادته، هل هو عجز؟ أم أنه تابع للأول؟ والعجز والتبعية من صفات الحدوث والممكن، فيكون الإله هو الذي تنفذ إرادته ـ وحده لا شريك له ـ وهو الله تبارك وتعالى، لأنه القادر على غيره، المتبوع لا التابع، الذي لا راد لإرادته.

دليل الفرجه

هذا دليل ثانٍ على وحدته تعالى، وهو أنه لو فرض وجود إلهين اثنين قديمين، لزم أن يكون بينهما فرجة أو فاصل، حتى تميز الإله الأول من الثاني، وإن قلت إنه لا توجد فرجة وفاصل بينهما، قلنا إذن هما واحد ليسا اثنين، فهذه الفرجة لا تخلو إما أن تكون قديمة معهما منذ كانا هي موجودة أو حادثة محدثة بعد وجودهما، فإن قلنا

بالثاني، أي أن هذه الفرجة حادثة لزم ما يلي:

أولاً: إن الإلهين المفروضين كانا واحداً ثم صارا اثنين، وكل متغير حادث مخلوق

ثانياً: يلزم من هذا أن الحادث المخلوق قد أثر في القديم وقسمه نصفين، وهذا أيضاً باطل، لأن الحادث المخلوق لا يؤثر في القديم واجب الوجود، مثل الأشعة لا يمكن لها أن تؤثر في قرص الشمس

ثالثاً: انقلاب الحادث قديماً والقديم حادثاً، فالحادث إذا صعد إلى صقع الوجوب يصبح قديماً، والقديم يصبح حادثاً، لأنه تأثر بالحادث وغيره، من واحد إلى اثنين، وكل متغر حادث مخلوق

وهذه الأقوال الثلاثة لا تحتاج إلى بطلان فالبداهة والوجدان بالضمير الحي يبطلها، فإذا انقسم الواحد اثنين يحصل التغير والضعف الملازم للحدوث، أو كون الحادث يؤثر بالقديم أيضاً محال وباطل لا يقوله عاقل.

وإن قلنا بالأول:

أي في صوره فرض أن الفرجة قديمة، فتكون إله مثلهما في القدم، فيلزم كون وجودها مع وجودهما، فهي قديمة مثلهم، ومع هذا يلزم أن يكون بين الفرجة والإله الأول فرجة، وبين الفرجة والإله الثاني فرجة، فيكونون خمسة، وبين هذه الخمسة أيضاً فرج فيكونون تسعة، لأنه لابد بين كل فرجة وفرجة ما به الامتياز والاختلاف، الذي يميز هذه من تلك، فعند ذلك تكون آلهة لا عد ولا حصر لها، وهذا ما لم يقله أحد من العقلاء مطلقاً.

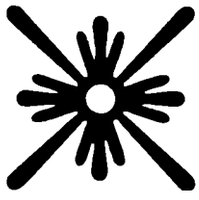

وأيضاً نقول: إنّ سبب الاختلاف أي اختلاف الذّاتين بحيث يكونان اثنين، إنّما هو الفاصل بينهما، الّذي يسمى في لسان الأخبار «بالفرجة» فهو إمّا حادث أي لم يكن هذا الفاصل ثمّ كان، وإمّا قديم أي كان قديماً مع وجودهما من أوّل الأمر، إن قلت: بالصورة الأولى قلنا: يلزم منه أولاً: كون الإلهين المتعددين واحداً أوّلاً، ثمّ تعدّدا ثانياً واختلفا بسبب أمر خارجي الّذي هو الفرجة، أعني انفرد كل منها عن الآخر بسبب الفرجة الّتي وقعت بينهما.

ويلزم ثانياً: إنّ الحادث الّذي هو مخلوق لهما أثر فيهما، وجعلهما متعدداً وهذا باطل بالبداهة والوجدان، وإن قلت: بالثّانية يعني كون الفاصل بينهم الّتي هي الفرجة قديماً. قلنا: إن كان قديماً لزم أن يكون واجباً، فصار القديم الواجب ثلاثة الواجبان والفرجة بينهما، ولاشك أن هؤلاء الثّلاثة كل واحد منهم غير الآخر، ومنفرد عنه بما به الاختلاف والامتياز بينهم وهو الفرجة، فحصل فرجتان مع القدماء الثّلاثة، فصار الواجب خمسة، فالخمس أيضاً مختلفون في الذّات، وما به الاختلاف والامتياز لابدّ منه، وهو الفرج الأربع بينهم، فصار الواجب تسعة، وهكذا تكون التّسعة سبعة عشر، والسّبعة عشر ثلاثة وثلاثين، والثّلاثة والثّلاثون خمسة وستّين، والخمسة والسّتون مائة وثلاثين، إلى مالا نهاية له، وهذا باطل إذ لم يعقل أمور غير متناهية في الخارج، مضافاً إلى أنّه لم يدع أحد، ولم يقل بآلهة غير محصورة بلا نهاية.

وإمّا في صورة الاتفاق في جميع إرادات الآلهة المتعددة قلنا: إن تمكن واحد منهم أن ينفرد بالألوهية والربوبية [من الجميع] فهو الواجب،

وإن لم يتمكن أحد منهم فليسوا كلهم بواجب ❁،

❁ صورة إتفاق الإرادتين

هنا الاحتمال الأول من الصورة الأولى، من فرض وجود شريكين أو أكثر في صورة الاتفاق أي احتمال أن الإلهين أو الآلهة دائماً متفقون فيما يريدون، في خلق جاسم يتفقون وفي عدمه أيضاً يتفقون، وفي فعل كل شيء أو عدمه أيضاً يتفقون.

هنا يطرح سؤال وهو: هل يستطيع أحد الآلهة، أن ينفرد عن الآخرين في اتخاذ قرار خاص له مستقل عن غيره أو لا؟ فإن استطاع أحدهم أن ينفرد عن الآخرين فهو الإله ولزم المطلوب، وأن لم يستطع أحد منهم على الاستقلال في الرأي والأمر، فكلهم عاجزون مقهورون، فيثبت حدوثهم جميعاً.

وإليه الإشارة بقوله جلّ وعلا ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] وهذا الدّليل مقتبس من أخبار أهل العصمة والطّهارة تركناها خوفاً من التّطويل ❁

❁ تكثر الفوضى مع تعدد الآلهة

أيضاً من الأدلة على وحدته تعالى دلالة هذه الآية المباركة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] بمعنى لو كان هناك آلهة أو إلهان على أقل تقدير، تحصل الفوضى والدمار في الوجود، كل واحد يريد أن يتغلب على صاحبه، كما هو حال حكام الدنيا، بحيث لو كان ملكان أو ملوك يديرون بلد ما، تحصل بينهم الحروب والدمار في البلد، بغية أن يستولي بعضهم على البلد لوحده كما قال تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾

فلو كان وجود آلهة متعددة، للزم الفوضى والدمار في العالم، هذا يريد أن تشرق الشمس من المشرق، والآخر يريدها من المغرب، والآخر من الشمال، والبعض يريد سبع سماوات، والآخر يريد عشر سماوات... إلخ

وقول السيد كاظم أعلى الله مقامه هذا الدليل مقتبس من أخبار أهل العصمة عليهم السلام إشار إلى حديث الإمام الصادق عليه السلام كما روى عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام: ((لا يخلو قولك: إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين فلِم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت: إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين

---

(١) سورة المؤمنون، آية (٩١).

(٢) سورة المؤمنون، آية (٩١).

من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما، والفلك جاريا، والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة، قال هشام: فكان من سؤال الزنديق أن قال: فما الدليل عليه؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم ترَ الباني ولم تشاهده، قال: فما هو؟ قال: شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيئ بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس))[1]

إذن دعوى وجود أكثر من إله واحد أحد، يلزم كل هذه المحذورات العقلية

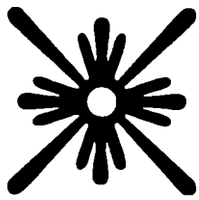

(١) الكافي الشيخ الكليني ـ ج١ ص٨٠ ـ ٨١، التوحيد للشيخ الصدوق ٢٤٣، البحار٣/ ٢٣٠.

الفصل الثّالث في أن معرفة ذات الواجب محال

إذ برهن في الحكمة، أن بين المدرِك بالكسر والمدرَك بالفتح لابدّ من مناسبة ومشابهة، وإلاّ لأدرك كلُّ شيء كلَّ شيء❁

النسبة بين المدرِك والمدرَك

❁ أنه من المقرر في محله، أن معرفة ذات الله تعالى محال، وذلك لعدم الإحاطة والإدراك بالذات بأي وجه من الوجوه

أما أولاً: فلأنه لا بد بين المدرِك (بالكسر) والمدرَك (بالفتح) من مناسبة ومشابهة، وذلك مثل إدراك حاسة البصر للأجسام، وإدراك السامعة للمسموعات، والذائقة للطعومات، واللامسة للأجسام، من الخشونة والليونة، والشامة للروائح الطيبة والكريهة، فلا بد من مناسبة بين الباصرة والأجسام، بحيث أن حاسة البصر لا تدرك إلا المبصرات، فلا تدرك المسموعات والمشمومات وغيرها، وكذا حاسة السمع لا تدرك المبصرات والمذوقات وغيرها، فكل آلة تدرك ما يناسبها ويشابهها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها))[1].

أي كل يدرك ما يجانسه ويشابهه، لذا لما كانت أجسام الملائكة لطيفه غير

---

(١) البحار٤/ ٢٣٠ الاحتجاج للشيخ الطبرسي١/ ٢٩٩.

جسمانية، أي ليس من عالم الناسوت والكثافة، لا يمكن للعين المجردة أن تدرك الملائكة بنفسها، لأن الملائكة أجسام لطيفة مثل الهواء، فلا يمكن لأحد أن يرى الملائكة بعينه أو يلامسها بجسمه الجسماني، إلا أن يتلبس الملك بلباس البشرية، كما يفعل جبرائيل عليه السلام عندما يأتي النبي ﷺ بصورة وجسم دحيه بن خليفة الكلبي، حينئذ يراه الناس ويدركونه، أما بصورته الحقيقية، فلا يراه إلا أهل المكاشفة، بنظر البصيرة لا البصر.

فلو لم تكن هناك مناسبة بين المدرِك بالكسر والمدرَك بالفتح لإدرك كلُّ شيء كلَّ، أي أمكن للناس رؤية الملائكة وهم في الدنيا والكثافة، وعالم الغيب وما وراء البرزخ، ولأدركت العين الباصرة المسموعات، والسمع يبصر، واللامسة تتكلم وتتذوق، والجماد يدرك الإنسان ويتحدث معه، والإنسان يخاطب الحجر بدون إعجاز إلى آخرها، وهذا البداهة والواقع يبطله

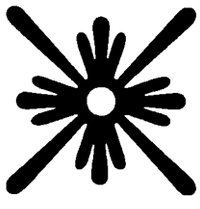

ولمّا لم يكن لذات الواجب شبيه ولامثيل، لم يجز ولم يمكن إدراكه أبداً❁، ولزم أن يكون القديم حادثاً، أو الحادث قديماً، وبطلان بديهي❁❁، ثم إن إدراك الشيء هو الإحاطة به، كما أخبر به سبحانه بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾[1] وقوله ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾[2] فلا تدرك الذات الواجب❁❁❁

❁ لا بد من مناسبة بين مخلوق ومخلوق

أي لما كان بين الخلق والخلق أنفسهم لابد من مناسبة ومشابهة، فكيف بمن ليس كمثله شيء، بحيث لا يوجد شيء في الوجود يشابه وجود الحق تعالى بأي وجه من الوجوه، فلا توجد نسبة ومشابهة بين القديم الذات وبين الخلق، لذا انتفى الإدراك للذات البات، لأنه لا توجد نسبة بين الله تعالى وبين خلقه

❁❁ بطلان إدراك الواجب تعالى

فلو قلنا بإدراك الواجب تعالى لزم محذوران:

أولاً: كون الحادث قديماً، وذلك لإحاطة الحادث إلى صقع القديم، ووصوله إلى مقام القدم، وهذا يعني أنه لم يكن الحادث حادثاً، بل أصبح قديماً.

ثانياً: كون القديم حادثاً، وذلك لما كان الحادث الفقير المحتاج، وصل إلى رتبة القديم، أصبح هذا القديم متأثراً محاطاً من فقير وهو الممكن، وهذا يعني حدوثه، لأن المحاط من الغير المتأثر بالغير هو حادث مخلوق، فالقديم الواجب هو أعلى من كل شيء، ومحيط بكل شيء، فلا يحاط ولا يدرك أبداً.

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٢) سورة يونس، آية (٣٩).

❁❁❁ الإدراك وليد الإحاطة

إن الإدراك وليد الإحاطة مثلاً: لو قلت لك تحدث لي عن الشيء الكذائي وسكت، لصح لك أن تقول لي!! أي شيء هذا الكذائي حتى أتحدث عنه!! فأقول لك الكذائي وكفى!

لقلت لي لا يمكن لي أن أتحدث عن شيء، لا أعرفه ولا أميزه، هل هو عقلي أم نفسي أم مادي؟ هل هو سماوي أم أرضي؟ ولقلت لي إذا لم تكن تعرف نفس الشيء الكذائي، فعرف لي مثله أو شبهه حتى يقرب تصوره وأتحدث عنه، فإن قربت له بشبيه له أو مماثل أو مجانس له لأمكن منك تصور شيء جزئي أو إجمالي لذلك الشيء الكذائي، وأما إذا لم أصف لك ذلك الشيء الكذائي، ولا مشابهه ولا مماثله، لا يمكن لك تصوره فضلاً عن التحدث عنه، فإذا كان الممكن لا يمكن إدراكه وهو مخلوق، حتى يمكن إحاطته بأي نحو من أنحاء الإحاطة، العقلية أو النفسية أو الجسمية، فكيف بالقديم الأزلي الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

فإذا لم أحط بشيء ممكن، لا يمكن لي أن أصفه بصرف النظر عن التحدث عنه فالحق تعالى يتحدث عن نعيم الجنة وما أعده للمؤمنين، بأنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حيث يوجد في الجنة أمور ونعيم لا يمكن تصورها والإحاطة بها، فضلاً عن التحدث عنها،

و من المعلوم أن الجنة من المخلوقات الممكنة، فكيف بخالق الجنة والنار والسماء والأرض ومن فيها، وهو الله تعالى كما وصف نفسه تعالى بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾[2]، فلا يعلم بما هو إلا هو كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]

---

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الإخلاص، الآية (٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٨).

فالحق تعالى لا يمكن إدراكه لأن إدراكه يعني إحاطته وهو يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾[1]

فلما أمتنع إدراكه امتنعت الإحاطة به لأنه ليس له مماثل ولا مشابهة من خلقه حتى يعرف أو يمثل به.

---

(١) سور طه، الآية (١١٠) ـ (١١١).

إذ لا يحاط لا حضوراً ولا تصوراً ❁، والقائل بإدراك الواجب سبحانه ولو جزئياً كاذب، خارج عن جادّة أهل العقل والمعرفة ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1] ❁❁

❁ لا تحاط الذات تعالى حضوراً ولا حصولاً

هنا تأكيد على أن ذات الواجب تعالى، لا يمكن الإحاطة به لا حضوراً أي بالعلم الحضوري، وذلك كعلم الإنسان بنفسه، أنه هو هو، ولا تصوراً أي بالعلم الحصولي، الذي ينقسم إلى تصور وتصديق، فالتصور مثل تصورك مدينة كربلاء المقدسة، والتصديق مثل مشاهدتك لنفس المدينة المقدسة كربلاء بحواسك الخمس، فإذا وصلت إلى كربلاء المقدسة بنفسك، أصبح التصور تصديقاً، ويسمى بالعلم الحصولي، لأنه متحصل من الخارج، مقابل للعلم اللدني، الذي يتولد من التقوى والورع في دار الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2]

فالحق تبارك وتعالى لا يمكن الإحاطة به حضوراً، مثل علمنا بأنفسنا، ولا حصولاً أي والعياذ بالله علمنا به من الخارج، كما تقول المجسمة بأنهم يرون الله تعالى في الدنيا والآخرة

❁❁ لا تدرك الذات تعالى إجمالاً ولا جزئياً

أي القائل بإدراك الواجب تعالى شأنه جزئياً جلَّ وعزَّ يلزمه عدة أمور:

الأمر الأول: إن الكل والجزء من الألفاظ المتضايفة، الذي إذا تعقلت أحدهما تتعقل الآخر، ومثله الأب والابن، العلة والمعلول، الفوق والتحت، الإجمال والتفصيل.... الخ

---

(١) سورة الأنعام، آية (١٠٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

فإذا قلنا حسب الفرض أن المدرَك من الذات البات، هو الجزء خاصة، هذا يعني أن الذات مركبة من جزء وكل، وأنت أدركت الجزء خاصة، وكل مركب حادث محتاج إلى أجزائه.

الأمر الثاني: وهو هل المدرَك (الجزء) حسب الفرض هل هو الذات المقدسة أم غيرها؟

فإن قلنا بالثاني لزم أن المدرَك غير الذات المقدسة، بل أمر ممكن حادث غير الذات، فعلى ذلك أنت إذاً ما أدرك الذات، بل أدركت غير الذات، والمدعى أنك أدركت جزء الذات وهو باطل.

وإن قلنا بالأول أي أن المدرَك (الجزء) هو نفس الذات، هذا يلزم أنك أدرك الذات، وإدراك الذات محال لما تقدم الكلام عليه، أن الذات لا يمكن إدراكه بوجه الوجوه، لأنه لا توجد نسبة بين الذات المقدسة وبين الممكن المحتاج، فالممكن وهو مخلوق لا يمكن أن يدرك فوق ذاته من الممكنات كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إنما تحد الأدوات إلى أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها))[1]

فالممكن يدرك ممكناً مثله بشرط المناسبة بينهما، لا يدرك واجباً قديماً، لأنه لا توجد مشابهة ولا مماثلة بين الذات والممكن أبداً كما تقدم الذكر

الأمر الثالث: أنه يلزم من هذا القول، بإدراك الذات جزئياً، هو الإحاطة بالذات، والذات لا تحاط عقلاً ونقلاً كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2]

الأمر الرابع: يلزم أن يكون الممكن قديماً، والقديم ممكناً، لأنه إذا صعد الممكن المحتاج إلى صعق القديم يكون قديماً، والقديم الذي تأثر وأحيط بالممكن أصبح ممكناً، وهذا ما لم يقل به أحد من انقلاب الحقائق

فالمدعى أن إدراك الذات جزئياً جلَّ ربي عن ذلك، هو إدراك غير الذات من الممكنات وأدعي أنه الذات، فمن اعتقد بهذه العقيدة، أن المدرَك هو الذات البات،

---

(١) البحار ٤/ ٢٣٠، الإحتجاج للشيخ الطبرسي.

(٢) سورة طه، الآية (١١٠).

والحال غير الذات بل المدرَك من الممكنات، يكون قد عبد غير الله تعالى، والعابد غير الله تعالى يكون أمره مشكل والعياذ بالله تعالى.

أضف إلى أنه خارج عن منطق العقل، لأنه ذكر فيما تقدم عقلاً، أن بين المدرِك والمدرَك بالفتح من مناسبة، وإلا لأدرك كلُّ شيء كلَّ شيء وهذا بديهي البطلان، وتقدم الكلام أيضاً إلى أنه لا توجد مناسبة بين القديم والحادث مطلقاً.

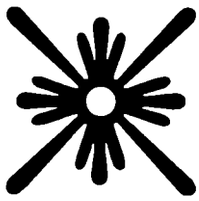

فلا يعرف ولايدرك جلّ وعلا ببصر العقل، ولا بصر الوهم، ولا الخيال، بل بكل مشعر ومدرك، إذ لا يدرك أحد فوق ذاته، وكل يقرأ حروف نفسه❁، مثلاً: إذا رأيتَ كوكباً في الماء لم تر كوكباً حقيقياً خارجياً، بل الّذي رأيته هو صورته ومثاله، فالممكن كل مايدركه ممكن مثله، فلا يدرك الواجب بوجه من الوجوه❁❁

❁ لا يدرك الحق سبحانه ببصر العقل

أي كما أن الحق تعالى لا يدرك بالعين الجارحة، والحواس الظاهرة والباطنة، كذلك لا يمكن أن يدرك ببصر العقل، أوالوهم أو الخيال، بل بكل مشعر ومدرك ممكن مخلوق، لأن كل مدرِك ومشعر يدرك ما يشابهه ويجانسه، فلا يتعدى حدوده كما ذكر من قبل، فكل يقرأ حروف نفسه، أي أن كل مخلوق لا يدرك إلا مخلوقاً مثله، وفي رتبته خاصة.

❁❁ كل مخلوق يُدرِك حدَّه

هنا السيد أعلى الله مقامه يضرب مثالاً، على أن الشيء مهما بلغ لا يتعدى حده ورتبه في الكون من الحدوث، فيقول لو رأيت كوكباً أو قمراً أو ظلاً في الماء، إن الذي رأيت إنما هو صورة الكوكب والقمر والشاخص لا غير، بمعنى أنك لم تر كوكباً أو شخصاً خارجياً غير الظاهر، بل الذي رأيت صورة ومثال ذلك القمر والكوكب أو الشاخص لا غير

إذا الممكن لا يمكن له أن يدرك فوق رتبته وذاته من الإمكان لذا قال الإمام الباقر: عليه السلام ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، لعل النمل الصغار تتوهم إن لله زبانيتين، فإن ذلك كمالها، وتتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به))[1]

---

(١) البحار ٦٦/ ٢٩٣/ نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ١/ ١٩٣ المعة البيضاء للتبريزي =

وأيضاً روى عنه محمد بن إبراهيم بن أسحاق الطالقاني رضي الله عنه تعالى قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي عن علي بن الحسين بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت يا ابن رسول الله لِمَ خلق الله عز وجل أنواع شتى ولم يخلقه نوعاً واحداً؟ فقال: ((لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز، فلا تقع صوره في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عز وجل عليها خلقاً ولا يقول قائل: هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فليعلم بالنظر إلى أنواع خلقه، أنه على كل شيء قدير))[1]

فكل تصور، أو توهم، أو خيال، أو أي مدرك ومشعر من مشاعر الممكن، لا يصل إلى القديم، بل المتصور أمر مخلوق لله تعالى، مردود إلى المتصوّر نفسه، وذلك مثل صورة القمر والكواكب الذي في الماء، فإن الصورة ليست أمراً خارجياً عن الكواكب والقمر بل هي صورتهما لا غير.

= الأنصاري ١٦٩.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ١/ ٨١/ البحار ٣/ ٤١. التوحيد للشيخ الصدوق ٤٠٥.

سمّى أهلُ المعرفة هذا المقام بأسامي عديدة منها : ❁

❁ عناوين للذات البات سبحانه

إن أهل المعرفة، وهم أهل الحكمة بروايات أهل البيت عليهم السلام من العلماء، سموا وأطلقوا على هذا المقام، أي مقام معرفة ذات الله تبارك وتعالى أسماء عديدة، وهذه الأسماء العديدة، ليس المراد بها الذات حتى تكون أسماء له سبحانه وتعالى، فأسماء الله سبحانه توقيفية، أي أسماء الله المعروفة من الله الحكيم، الحليم، الغفور، القوي، المتين، السميع، البصير... الخ كلها واردة عن الله تعالى على لسان الأنبياء وأوصياء الأنبياء عليهم السلام.

فلا يجوز لأحد من الخلق أن يسمي الله تعالى بأسماء من عنده، كما نص على ذلك الإمام الرضا عليه السلام لسليمان المروزي ((ليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه))[1] فهذه الأسماء الواردة هنا إنما هي على معنى عدم معرفة ذات الله تعالى، وهي واقعة على العنوان الظاهر به تعالى للخلق، وهي المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، ومنها

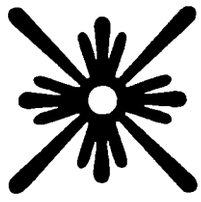

(١) التوحيد للشيخ محمد الصدوق ٤٥١.

❁ المجهول المطلق

يعني لا يعرف مطلقاً، فلا يعرف من جهة، ويجهل من جهة أخرى، بل ذات الله تعالى مجهولة لغيره من جميع أنحاء الإدراكات الظاهرة والباطنه، ما علم من الإدراكات وما لم يعلم، فلا يمكن لأحد من الخلق مطلقاً حتى المعصومين محمد وآل محمد ﷺ لا يعرفون ذات الله تعالى.

فالمعصومون ﷺ في عدم معرفة الذات يتساوون مع بقية الخلق، فكما أن الخلق لا يعرفون ذات الله تعالى، كذلك المعصومون ﷺ، وما ورد عن رسول الله ﷺ مخاطباً لعلي أمير المؤمنين ﷺ: ((ما عرف الله إلا أنا وأنت))[١]

إشارة إلى معرفته بآثاره وآياته، بحيث ما أحد من الخلق يعرف الله تعالى بآثاره مثل معرفة رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين ﷺ، وكلما كان عند الرسول ﷺ؟وأمير المؤمنين ﷺ، انتقل إلى المعصومين ﷺ؟ من الصديقة فاطمة الزهراء، إلى صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه و ﷺ.

لذا قال رسول الله ﷺ: ((ما عرفناك حق معرفتك))[٢]

وقال أيضاً: ((اللهم زدني فيك تحيراً))[٣]

قال الشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (قدس): ((وهو المجهول المطلق: الذي لا سبيل في الإمكان مطلقاً إلى معرفة ذاته بوجه من الوجوه، بل هو في الإمكان مجهول من كل جهة، فلا يصدق المجهول المطلق في الحقيقة على ما سواه))[٤]

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٠٥.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

(٣) شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري ١/ ١٩٨.

(٤) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ٢٦٩.

فمعرفة الحق جل وعلا مجهول مطلق لجميع ما سواه من الخلق من أفضلهم محمد وآل محمد ﷺ إلى ما تحت الثرى، أي إلى رتبة الجماد.

والذّات البحت ❁

❁ الذات البحت

أي الذات التي ليس فيها تكثر بأي نحو من أنحاء التكثر، سواء أكان مادياً أم معنوياً، أم صورياً، أم اعتبارياً، بحيث يعتبر في الذهن أن مفهوم الذات غير مفهوم السمع، والسمع غير البصر والبصر غير القدرة وهكذا.

بل الذات تعالى واحد أحد لا تكثر فيه، صمد أي غير مجوف، بل ليس في الذات إلا الذات تبارك وتعالى، قال الشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (قدس): ((هذا القسم يعبر عنه بالذات البحت. أقول: يعني أنه ذات بسيط ليس له وجود غير ما هيته، ولا ما هية غير وجوده، ولا ذاته غير صفته، ولا صفته غير ذاته، لا في نفس الأمر أي الثابت بالدليل القطعي، ولا في الخارج أي المقابل للذهني، أو الذي تترتب الآثار على صفاته، ولا في الذهن، الذي هو عكس الخارج في المعنيين، ولا في الإمكان، لأن الوجوب ليس في شيء منه إمكان، ولا في الفرض والاعتبار، لأنهما جهات الممكن، فهو سبحانه ذات بحت، أحدى المعنى، ليس فيه احتمال كثرة أو تعدد، بل فرض واعتبار))[1]

وهذا رد على من قال بوجود الصور العلمية في الذات والعياذ بالله تعالى، أو من قال إن الماهيات موجودة في الذات ثم خرجت من الأزل إلى العيان والشهود

لذا قال بعض الفلاسفة بتصريحات كثيرة، في إثبات الصور العلمية للمكنات في ذاته منها قوله ((أما إثبات الصور فهو لازم من تعلقه لذاته المستلزم لتعلق ما هومعلوله القريب))[2]

وقال أيضاً: ((لعلك لو تأملت فيما تلوناه حق التأمل، وأمعنت النظر في ما

---

(١) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ٢٦٩.

(٢) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٢٧٤.

حققناه وقررناه، من كيفية وجود الصور الإلهية، وإنما ليست موجودات ذهنية ولا أعراضاً خارجية، بل هي وجودات بسيطة متفاوتة لا يعتريها الإمكان في كيفية لزومها إلزاماً لا على وجه العروض ولا على وجه الصدور بل على ضرب آخر غيرهما..))[١]

وقال أيضاً: ((فالعلم الواجبي بذاته الذي هو نفس ذاته، يقتضي العلم الواجبي بتلك الوجودات الذي لا بد أن يكون عين تلك الوجودات، فمجعولاته بعينها معلوماته، فهي بعينها علومه التفصيلية، لا محالة فهي تابعة للعلم الكمالي، والعقل البسيط..))[٢]

وقال أيضاً: ((المهيات الممكنة كلها مبائنة لحقيقة الواجب (تعالى) وأما الوجودات فقد علمت من طريقنا أنها من لمعات ذاته وشوارق شمسه))[٣]

ثم بعد ذلك ذكر رأي أبي نصر الفارابي حيث قال الفارابي ((لما كان الباري تعالى وتقدس حياً مريداً لهذا العالم بجميع مافيه، فواجب أن يكون عنده صور ما يريد إيجاده في ذاته جل الإله عن الأشباح))[٤] ثم عقب هذا الفيلسوف مؤيداً للفارابي بقوله: ((ولا يخفى أنه مؤيد لما بيناه وقررناه ضرباً من التأييد))[٥]

أخي القارئ دقق في هذه الكلمات تجدها واضحاً في أن الماهيات والصور العلمية للخلق موجودة في ذاته تعالى على رأيه، لئلا يلزم الجهل في ذاته، مع العلم أنه توجد روايات كثيرة من أهل بيت العصمة عليهم السلام أنه كما لا كيف لذاته لا كيف لعلمه، وإن شاء الله سيأتي في باب العلم بأن علمه لا كيف له ولا يدرك، لأنه عين ذاته التي لا تدرك.

---

(١) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٢٣٣.
(٢) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٢٣١.
(٣) الأسفار ٦/ ٢٣١.
(٤) الأسفار ٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٥) الأسفار ٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

نعم إثبات العلم لله تعالى من الضروريات، ولكن كيف يعلم فلا نعلم، لأنه لا يمكننا أن نصعدإلى القديم وندرك كيف علمه بالأشياء، هل علمه مثل علمنا بانطباع الأشياء في الذهن أو بحضورها عندنا أولا؟. قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1]

---

(١) سورة طه ١١٠.

والذّات السّاذج ❁، والذّات بلا اعتبار❁❁

❁ الذات الساذج

معنى الذات الساذج، الذات البسيط الذي لا يلحظ فيه شئ من التركيب، لا في المفهوم ولا المصداق الخارجي ولا الاعتبار، فهو بسيط غير مركب، ولا نعني بالبسيط الذي في قبال المركب، قال الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره ((أقول: ذات الساذج أي بحت خالص من التعدد والتكثر والتركيب، لا في نفس الأمر ولا في الخارج ولا في الذهن لا فرضاً ولا احتمالاً وتجويزاً واعتباراً))[1].

فهو سبحانه وحده لا شريك له فلا فيه شيء، وهو في شيء، فهو الصمد الواحد الأحد الذي ليس فيه غيره، فليس فيه شيء إلا هو سبحانه وتعالى، ولا يعلم كنهه إلا هو سبحانه، فليس فيه تركيب، حتى من المادة والصورة أو الوجود و الماهية، فوجوده عين ماهيته وكذا العكس، ونقول وجوده عين ماهيته وكذا العكس، إنما ذلك لضيق العبارة، ولئلا ننفي شيئيته، وإلا هو سبحانه ليس كمثله شئ من خلقه

❁❁ الذات بلا اعتبار

الذات بلا اعتبار يعني لا يمكن أن نعتبر فيه شيئاً من الأشياء غيره، أو تنسب إليه شيئاً غيره، أياً كان هذا الشيء ولو اعتباراً، والأمر الاعتباري هو مقابل الأمر الحقيقي المتحقق في الخارج، مثلاً نعتبر أن صالحاً مثلاً له مائة رأس، وله ألف رجل، وله ثلاثة آلاف يد وهكذا.

مع العلم أن هذا الاعتبار غير متحقق في الخارج، ولكن نعتبره اعتباراً في الذهن، قال الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره ((وذات بلا اعتبار، يعني مجردة عن كل قيد، حتى عن التجريد))[2] ومعنى وحتى عن التجريد، أي لا تلاحظ جهة السلب

---

(١) شرح الفوائد للشيخ الأوحد (قدس) ١/ ٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه.

والتجريد، مثلاً لما تقول الله عزَّ وجلَّ غير الخلق، الغيرية لا تقع عليه بل تقع على نفس الخلق خاصة، وهذا مصداق قول مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((وغيوره تحديد لما سواه))[1] أي إن الغيرية تقع على الخلق أنفسهم، من دون ملاحظة تجريد الغيرية عن الجليل سبحانه وتعالى، أي الغيرية لا تحدد الحق تعالى، فإذا نفينا الأمور الإعتبارية عنه تعالى، فبالطريق الأولى أن ننفي الأمور الخارجية وهذا بديهي

فالواجب تعالى لا يجوز أن نعتبر أمراً من الأمور إليه، وإن كان هذا الشيء هو أمر اعتبار ذهني لا تحقق له في الخارج

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار٤/ ٢٢٨.

وعين الكافور❁، واللاتعين ❁❁

❁ عين الكافور

أي أنه كما أن الكافور يصدر الرائحة بفعله، كذلك الحق تبارك وتعالى تصدر الموجودات بآثار فعله، وهو مشيئته جل وعلا، والبعض قصد من إطلاق عين الكافور، أن الموجودات خرجت من ذاته المقدسة والعياذ بالله، وعلى ذلك بنوا على وحدة الوجود، لذا قال الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي الأوحد في شرح الفوائد: ((قلت وعين الكافور أقول: يعني أنه إنما يوجد بآثار فعله، كالكافور الذي برائحته، فيحتمل أن يراد بقولهم: عين الكافور، أنه تعالى هو ذات الكافور، و هذا على مذهب القائلين بوحدة الوجود، أي أن الكافور المكنى به عن الروائح التي هي مثال الحوادث، هو ذاته، لأنه عندهم هو الفاعل والمفعول، وهو المؤثر والأثر، وهذا عندنا باطل، والقول به كفر، ويحتمل أنه يراد بقولهم عين الكافور، أنه هو العين التي تفوح منها الروائح، أي هو مبدأ الأشياء، وهذا صحته وفساده تابعة لمقصود القائل به، فإن أراد به أن ذاته تعالى مبدأ الأشياء فهو كالأول في الفساد، وإن أراد أن فعله من الأشياء فهو حق))[1]

فإطلاق لفظ عين الكافور عند العلماء على قولين حق وباطل، فالحق ما قصد به آثار فعله، والباطل ما قصد به ذاته جل وعز

❁❁ اللا تعيُّن

أي لا يمكن تعيينه ولا تعينه، أي تعيينه من الغير، ولا تعيُّنه من نفسه لغيره، لأنه المجهول المطلق، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الطريق مسدود، والطلب مردود، دليله آياته، ووجوده إثباته))[2]

---

(١) شرح الفوائد للشيخ الأوحد (قدس) ١/ ٢٧٠.

(٢) كشكول الشيخ أحمد الأحسائي ٢/ ٣٦٠.

قال الشيخ أحمد الأحسائي (قدس سره): ((وأما اللا تعيُّن فالمراد منه معنى المجهول المطلق، وذلك لأنه تعالى لا يتعين عندما سواه، بجهة من جهات التعين، على حال من الأحوال))[١]

أي لا يمكن تعينه وتعيينه في جهة من الجهات مطلقاً

---

(١) شرح الفوائد للشيخ الأوحد (قدس) ١/ ٢٧١.

وغيب الغيوب ❁، وأزل ألآزال ❁❁

❁ غيب الغيوب

أي كل غيب، فالحق تعالى هو أغيب منه، بحيث لا يكون غيب أغيب منه سبحانه، بمعنى أنه كما هو غيب عند أقرب الخلق إليه، وهم محمد وآل محمد ﷺ، كذلك هو غيب إلى آخر مراتب الوجود وهو الجماد، المعبر عنه بما تحت الثرى، الذي هو ثقل الوجود أي نهايته، فإطلاق لفظ الغيب على الحقيقة أولاً وبالذات، لا يطلق إلا عليه، وما عداه من الغيوب، فهي غيوب نسبية إلى غير، مثل غيب البرزخ غيب لإهل الدنيا، ولهم شهادة، وكذا غيب الملائكة، والجن، والآخرة، كلها غيوب نسبية فقط، أما الغيب الحقيقي فهو الله عزَّ وجلَّ، لا يدرك لا في الدنيا ولا في الآخرة مطلقاً، لأنه ليس كمثله شئ

❁❁ أزل الآزال

إذا أطلق الأزل يراد به ذات الحق تعالى، بحيث إن الأزل من الصفات الذاتية له تعالى، مثل السمع والبصر والقدم والحياة وغيرهما.

ومعنى كلمة الأزل (عبارة عن اللا أولية)[١] والبعض فسر الأزل بأنه (استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل)[٢]

الأزلي:

هو ((مالا يكون مسبوقاً بالعدم))[٣] كما أن الموجودات على أقسام ثلاثة لا رابع لها

---

(١) رسائل المرتضى للشريف المرتضى ٢/ ٢٦٣.

(٢) كتاب التعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني ٦١.

(٣) المصدر نفسه.

الأول: ((إما أزلي أبدي وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة))[١]

فالأزل الذي لا أول له غير مسبوق بالعدم هو الحق تعالى، فهذا الأزل لا كيف له، لأنه عين الذات سبحانه، فهو من صفاته الذاتية، فأزل الآزال معناه أنه تعالى هو أأزل من كل أزل، يطلق على الممكنات أو يتصور في الذهن

فقد يطلق الأزل على الممكن، كما يطلق السمع والبصر على الممكن أيضاً، كما روي في الزيارة الرجبية عن أبي القاسم حسين بن روح النوبختي رضي الله عنه النائب الخاص للإمام الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه ((وأن يرجعني من حضرتكم خير مرجع، إلى جناب ممرع، وخفض موسع، ودعة ومهل، إلى حين الأجل، وخير مصير ومحل، في النعيم الأزل، والعيش المقتبل ودوام الأُكُل))[٢]

ففي هذا الدعاء المروي عن الإمام الحجة عجل الله فرجه (في النعيم الأزل) المراد من الأزل هنا الدوام إلى عدم الانقطاع في الجنة.

لذا الحق تبارك وتعالى وصف الجنة بأن طعامها وأكلها دائم لا انقطاع له، كما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٣]

فالحق تعالى هو أزل الآزال، أي كل دوام وبقاء، فالله تعالى هو أدوم وأبقى منه، مهما دام ذلك الشيء واستمر، لأن الشيء ممكن مهما بلغ في استمرارية وجوده ودوامه، فإنه محدث مخلوق مسبوق بالعدم، والله تعالى أزلي دائم غير مسبوق بالعدم، بل مستمر الوجود بلا نهاية

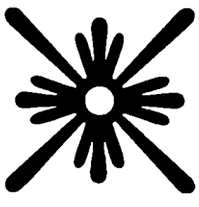

---

(١) كتاب التعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني ٦١.

(٢) مصبح المتهجد للشيخ الطوسي ٨٢٢، مفاتيح الجنان للشيخ القمي.

(٣) سورة الرعد آية ٣٥.

ومجهول النعت ❁ ومنقطع الإشارات❁❁،

❁ مجهول النعت

أي أن الله تعالى مجهول الصفة، التي تدل على ذاته، فلا يعرف عن طريق ذاته أبداً، لأنه ليس كمثله شيء، فلا يوجد في الإمكان والتكوين شيء يشابهه أو يشاكله أو يماثل ذات الله تعالى، قال الشيخ أحمد الأحسائي: ((ومجهول النعت أقول: يعني أنه ليس في الإمكان سبيل إلى نعته إلا بما وصف به نفسه من آياته وآثار فعله، فهو بالنسبة إلى ما سواه مجهول النعت))[1] لذا تعذر على الممكنات وصفه ونعته عن طريق ذاته أبداً.

❁❁ منقطع الإشارات

أي أنه تعالى لا يمكن الإشارة إليه لا بالأجسام ولا بالعقول ولا بالأوهام ولا بالخيال ولا بكل مشعر ومدرِك بالكسر، لأن من في الإمكان لا يدرك من في القدم، لذا قال أمير المؤمنين: عليه السلام ((ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه))[2]

ثانياً: من أشار إليه فقد حده في مكان، وإذا كان في مكان خلا منه المكان الآخر، وهو تعالى في كل مكان وزمان، قال الشيخ أحمد الأحسائي الأوحد (قدس سره): ((قلت ومنقطع الإشارات أقول: إن الإشارات الحسية والخيالية، والروحانية والعقلية، والسرمدية كلها تنقطع دون عز جلاله.

أما الأربع الأول فظاهر، وأما الخامسة فهي وإن لم تكن هناك إشارة لينسب إليها انقطاع، إلا أن المشيئة توصف بجهات تعلقاتها، فوقوعها على المنشأ وتعلقها به تعتريه الإشارة عليه، باعتبار المتعلق والتعلق، وإن لم تكن الإشارة لاحقة لنفس

---

(١) شرح الفوا للشيخ أحمد الأحسائي قدس سره ١/ ٢٧٠.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ١١٩.

المشيئة، لأنها محدثة بها، ولا يجري عليها ما أجرته فافهم))[١]

قوله رضوان الله عليه: ((أما الأربع الأول فظاهر)) يعني الإشارة الحسية والخيالية والروحانية والعقلية، لأن كل هذه الإشارات تحد وتدرك ما يجانسها ويشابهها، وبينها وبين المدرَك بالفتح مناسبة كما تقدم، ولما لم يكن بين القديم والحادث مناسبة، انتفى الإدراك والإشارة إليه.

وقوله (قدس سره): ((وأما الخامسة)) يشير إلى السرمدية، لأن السرمد وهو وقت عالم المشيئة، وعالم المشيئة لا يوجد فيه إشارة ولا كم ولا كيف، ولا أين ولا متى ولا جهة، فالإشارة مخلوق من خلق المشيئة، فلا يجري عليها ما أجرته، إلا أن المشيئة لها تعلقات باعتبار تعلقاتها، وذلك مثل حركة يد الكاتب لكتابة الألف والباء والتاء والخاء والعين والفاء.. الخ، فحركة يد الكاتب لحرف الألف غيرحركته لحرف الجيم، وكذا الجيم غير الدال، والذال غير العين... الخ.

فالاختلاف في الحركة ليس من حقيقة المشيئة بل من جهة تعلق المشيئة بنفس الحرف من الاستقامة كما في حرف الألف، والانبساط كما في حرف الباء، والتنزل كما في حرف الجيم إلى بقية الحروف، فكذلك المشيئة لما تخلق السماء بأمر الله تعالى غير خلق الأرض، والأرض غير الإنس، والإنس غير الحيوان وهكذا، فالإختلاف في تعلق المشيئة للمفعولات خاصة، وإن كانت المشيئة في حد ذاتها لا اختلاف فيها

ولما كانت كذلك لها اختلاف في المتعلق لا يمكن الإشارة بها إلى ذات الباري تعالى، وإذا كانت الإشارة مخلوقة بالمشيئة، فلا يجري على المشيئة الخالقة ما أجرته وخلقته

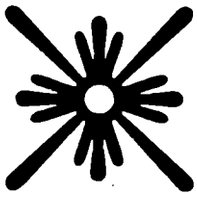

(١) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي قدس سره ١/ ٢٧١.

❁ المنقطع الوجداني

معنى الوجدان هو عبارة عن الالتفات إلى أمر من الأمور أو عدمه مثلاً: الإنسان إذا لم يلتفت إلى نفسه وشهواته وأمور الدنيا بمعنى الغاء الحجب التي بينه وبين الله تعالى من الأنا وحب الدنيا ورذائل الأخلاق، فإنه يصل إلى معرفة الرب عن طريق معرفة نفسه ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[١]

فالغاء هذه الحجب والشهوات من الإنسان، والتوجه إلى الحق تعالى، إنما هو الغاء وجداناً لا وجوداً، بحيث لو يلقي هذه الأمور وجوداً لفنى الإنسان واضمحل، فنحن الممكنات عندنا وجود وماهية الذي بهما تحققنا، وعندنا وجدان أي عدم ملاحظة هذه الحجب كأنها معدومة عندنا، لذا في الحديث ((موتوا قبل أن تموتوا))[٢] يعني لا تلتفوا إلى الدنيا والتفتوا إلى الآخرة كأنكم ميتون، بحيث لا يكون تعلق بالدنيا، وتكون أرواحكم معلقة بالملأ الأعلى، فعدم التعلق وجداناً لا وجوداً.

فالحق تعالى ليس له وجدان مثلنا، بحيث يحصل عنده التفات من شيء إلى شيء والعياذ بالله تعالى، لأن الإلتفات يدل على التغير، والتغير سمه الحادث المخلوق، وقد يطلق الوجداني على الإدراك، بمعنى أن كل مخلوق فكره ومشاعره الظاهرية والباطنية، حتى أعلى الشاعر وهي النفس الناطقة تنقطع عن الإلتفات إلى الذات المقدسة، فلا يدرك من هو إلا هوسبحانه وتعالى، نعم يعرف بآثاره فقط.

كما قال الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي (قدس سره) ((قلت والمنقطع الوجداني، أقول: يعني أن كل مدرك سواه سبحانه ينقطع وجدانه لذاته

---

(١) الجواهر السنية للحر العاملي ١١٦، عيون الحكم وألوانها لعلي بن محمد الليثي الواسطى٤٥.
(٢) البحار ٦٩/ ٥٩.

تعالى، فهو لا يجده غيره بذاته، ولا يفقده بآياته، فهو سبحانه المنقطع الوجداني لما سواه))[١]

فلا أحد يعرف كنهه وحقيقته إلا هو سبحانه، كما أنه لا يفقد بآثاره أي يعرف ويوجد بآثاره وخلقه جل جلاله، بمعنى أن كل التفات إلى إدراك ذات الحق تعالى ينقطع ولا يصل، لأنه قديم وما سواه مخلوق ولا نسبة بينهما

---

١) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ٢٧٣.

وغيب الهويّة❁، وعين المطلق❁❁، والإشارات في الأخبار الصّادرة عن الأئمة الهداة إلى هذا المضمون كثيرة، بل مانطقوا إلاّ بهذا الطّريق❁❁❁

❁ غيب الهوية

أي أنه تعالى ليس له هوية تعريف، تعرّف بها ذاته سبحانه، فلا يعرف من نحو ذاته بأي نحو من المعرفات، فلا يعرف من هو إلا هو كما قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الطريق مسدود والطلب مردود))[2] فهويته الذاتية تعالى غيب على جميع ما سواه مطلقاً

❁❁ عين المطلق

أي أن الحق تعالى هو المطلق في ذاته وصفاته، أي أن سمعه وبصره وقدرته وغناه وحكمته ووجوده وجميع صفاته التي هي عين ذاته مطلقة، أي غير مقيدة، بمعنى أن يسمع شيئاً دون شيء أو يقدر على شيء دون شيء، أو غني لشيء غير شيء، بل هو المطلق وعين المطلق، أي كلما يقال مطلق فالله تعالى هو أعلى من ذلك المطلق و أطلق منه، بل هو تعالى حقيقة المطلق

❁❁❁ يشير السيد كاظم ـ أعلى الله مقامه ـ إلى أن هذه الأسماء المطلقة على هذا المقام، من قبل بعض العلماء، توجد في روايات الأئمة عليهم السلام ضمناً وليس نصاً، يعني معناها موجود في رواياتهم عليهم السلام، وقول المؤلف (وسمى أهل المعرفة هذا المقام بأسامي عديدة) أي أن اطلاقهم لهذه الأسماء مستوحاه من روايات المعصومين عليهم السلام، ولولا خوفنا من الإطالة لذكرنا كلام الأعلام من العلماء لهذه الأسماء من كتبهم، من

---

(١) آل عمران، الآية (١٨).

(٢) الكشكول للشيخ الأوحد ٢/ ٢٦٣.

المجهول المطلق، والذات البحت وغيب الغيوب... الخ، منهم قال المولى محمد صالح المازندراني في شرح أصول الكافي (... فالمقصود أنه لم يكن ربي حتى يقال كان، كان ربي قبل القبل في أزل الآزال، وبلا قبل...)[١]

فقال التبريزي الأنصاري في اللمعة البيضاء: ((... وهو عالم الذات البحت البات في أزل الآزال...))[٢]

وقال أيضاً التبريزي في نفس الكتاب ((ثم المعنى الأزلي الذي لا أسم له ولا رسم له، وإطلاق المعنى عليه من جهة ضيق العبارة، وإلا فهو منقطع الإشارات، ومنتهى الإعتبارات...))[٣] إلى آخر الأسماء المطلقة على هذا المقام من قبل العلماء الأعلام، وهذه العبارات والأطلاقات المذكورة آنفاً هي عبارات مخلوقة لا تقع على الذات جل جلاله، بل تقع على المقامات العلامات المخلوقة، وهي أسم الفاعل لذا قال الشيخ الأوحد الشيخ أحمد الأحسائي عن هذه العبارات قال: ((قلت وكلها عبارات مخلوقة، تقع على مقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان أقول: يعني أن هذه الألفاظ المذكورة، مثل الذات البحت والمجهول النعت... إلخ هي ومعانيها التي تدل عليها مخلوقة، خلقها الله سبحانه لعباده ليعرفوه بها، لأنها تدل بصفة الإستدلال عليه لا بصفة الكشف له، فإذا أطلقت هذه الألفاظ دلت على تلك المعاني، التي هي العنوانات للذات، وهذه العنوانات مظاهر له خلقها وجعلها محال أفعاله إرادته، وهي وجهه إلى عباده، يعرفه بها من عرفه، كما تعرف النار إذا رأيت الحديدة المحماة بها، لأنها أي الحديدة المحماة محل فعل النار وتأثيرها، وتلك المقامات لا تفقد في حال كما قال تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٤]))[٥]

فالمقامات المذكورة في دعاء الإمام الحجة عجل الله فرجه في شهر رجب

---

(١) شرح أصل الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٣/ ٣١.

(٢) اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ٧١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة البقرة الآية ١١٥.

(٥) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ٢٧٤.

((وبمقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان)) فهي بمثابة أسم الفاعل لمحمد مثلاً من القيام والكتابة والمشي من قولك محمد قائم وكاتب وماشي. . .الخ. فقائم وجالس لذات محمد مثلاً، هي مقامات محمد التي لا تعطيل لها في كل مكان، فإطلاق الذات البحت، وعين الكافور، واللاتعين من الإطلاقات السابقة، لا تقع على ذات الجليل تعالى، بل تقع على مقاماته وعلاماته، أي ظهوراته لخلقه، مثل لما تقول لمحمد يا جالس، فإن اسم جالس يقع على اسم الفاعل خاصة وهو جالس، ولا يقع على ذات محمد، وهذا بحث يحتاج إلي توفيق وتخلق والله ولي التوفيق

قال الإمام الرّضا عليه السلام في خطبته، في حضور المأمون: ((فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته❁، ولا إيّاه وحد من اكتنهه ❁❁، ولا حقيقته أصاب من مثله❁❁❁

❁ شرح خطبة الإمام الرضا عليه السلام

فليس اللّه عرف من عرف بالتشبيه ذاته

أي ما عرف الله تعالى من شبهه بخلقه، لأنه تعالى لا شبيه له ولا مثيل، فالذي يشبه الحق تعالى بخلقه فهو ما عرف توحيد الله تعالى، وما عرف أنه ليس له شبيه ومثيل كما قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] كمن يشبه وجود الحق تعالى بوجود الخلق، أو سمعه بسمع الخلق وهكذا، فهذا ما عرف الله سبحانه

❁❁ ولا إيّاه وحّده من اكتنه

أي ما وحد الله تعالى من عرف كنهه وحقيقته، فمن ادعى ذلك، بأنه عرف حقيقة ذات الله تعالى كإن يقول إن حقيقته نور أو روح أو عقل أو هواء جلَّ ربي عن ذلك، يلزم من هذا أنه أدرك وأحاط بالذات تعالى، والذات لا تدرك، لأنه لا توجد نسبة بين القديم والحادث المحتاج، فلا يعرف كنهه إلا هو تعالى كما قال سبحانه ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]

❁❁❁ ولا حقيقته أصاب من مثّله

الذي يمثل الحق تعالى بخلقه، بحيث يقول والعياذ بالله تعالى: الله عزَّ وجلَّ مثل النور، أويقول وجود الله مثل وجودنا أو سمعه وبصره مثل بصرنا وسمعنا.

فالذي يمثل الله بخلقه يلزمه أولاً الإحاطة بالذات سبحانه، حتى يستطيع أن

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) آل عمران ١٨.

يقارن بين الذات وخلقه في المشابهة والمماثلة، وبدون الإحاطة لا يمكنه القياس أن هذا مثل هذا، والحق تعالى لا يحاط ولا يدرك، كما سيأتي بيان ذلك عن قريب إنشاء الله تعالى

فالمدعي أن الله مثل خلقه في أي جة من الجهات، فهو ما أصاب حقيقة التوحيد، لأن حقيقة التوحيد أنه لا يدرك، ليس له مشابه ولا مماثل ولا مثل، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل أصاب حقيقة غير الذات من المخلوقات

ولا به صدّق من نهّاه❁، ولا صمد صمده من أشار إليه❁❁

❁ ولا به صدّق من نهّاه

إن من صفات الله تعالى القديم الأزلي الأبدي، الذي ليس له بداية ولا نهاية، فهو قبل القبل وبعد البعد، لذا روي عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه رفعه قال: اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا له: إن هذا الرجل عالم، يعنون أمير المؤمنين عليه السلام فانطلق بنا إليه نسأله، فأتوه فقيل لهم: هو في القصر فانتظروه حتى خرج، فقال له رأس الجالوت: جئناك نسألك فقال: ((سل يا يهودي عما بدا لك، فقال: أسألك عن ربك متى كان؟ فقال: كان بلا كينونة، كان بلا كيف، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف، كان ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية ولا منتهى، انقطعت عنه الغاية وهو غاية كل غاية، فقال رأس الجالوت: امضوا بنا فهو أعلم مما يقال فيه))[١]

وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قال جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربك؟ فقال له: ((ثكلتك أمك، ومتى لم يكن حتى يقال متى كان! كان ربي قبل القبل بلا قبل، ويكون بعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنه، فهو منتهى كل غاية))[٢] فالذي يجعل له نهاية، غير مصدق بوصفه تعالى بأنه لا نهاية له، لأن من كانت له نهاية له بداية، ومن كان كذلك كان مخلوقاً، فالمدعي ذلك هو مكذب لصفاته جل وعلا، وعابد غير القديم سبحانه من الخلق

❁❁ ولا صمد صمده من أشار إليه[٣]

المعلوم أنه تعالى ليس في جهة بل هو في كل الجهات، فمن أشار إليه في جهة

---

(١) الكافي ١/ ٨٩.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ٧٦٩.

(٣) في النسخة الموجودة ولا حمد حمده، والأصح كما راجعناه في خطبة الإمام الرضا عليه السلام ولا صمد صمده أي أشار إليه.

من الجهات، فقد حدده في تلك الجهة، وخلت منه بقية الجهات الأخرى

فالذي يشير إلى الحق تعالى في جهة فما صمد صمده أي ما قصد قصده، بمعنى أنه إذ أشار إليه في جهة، فإنه ما قصد الله تعالى بل قصد غير الله سبحانه، لأنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان

أضف إلى أن المشار إليه يلزمه الحواية في المكان والتحديد كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه))[1]

شرح حديث أمير المؤمنين عليه السلام

أي فمن وصف ذات الله تعالى، فقد قرنه مع موصوفه، فالصفة غير الموصوف عقلاً، فعبد الله الجالس مثلاً، عبد الله غير جلوسه، والصفة والموصوف مقترنان، والاقتران من صفة الحدوث، ومن قرنه فقد جعله اثنين، ومن جعله اثنين جزأه إلى أجزاء، ومن جزأه إلى أجزاء فقد جعله مخلوقاً وجهل أنه قديم، وإذا جزأه إلى جزئين أقلها فقد أشار إليه، لأن الجزء الأول غير الثاني بداهة، ومن أشار إليه فقد حدده في مكان دون آخر فقد عده، أي قال هذا الموجود في هذا المكان واحد أو اثنين أو أكثر وإذا كان كذلك كان مخلوقاً، لأن المشار إليه المحدد في جهة من الجهات هو مخلوق، ويلزمه أيضاً التركيب من الصفة والموصوف، وكل مركب حادث أيضاً

لذا أمير المؤمنين عليه السلام صدر خطبته الشريفة بقوله ((وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة))[2]

فمن جعل صفة مع ذات الله جل وعلا، فقد قرنه مع صفته، لأن الصفة

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٥، البحار ٧٤/ ٣٠٠.

(٢) نهج البلاغة ١/ ١٥ـ التوحيد للشيخ الصدوق ٥٧.

والموصوف من المتضايفات، التي يتوقف تعقل أحدهما على الأخرى مثل: الفوق والتحت والأب والابن وهكذا، فعلى هذا تكون الذات البات تعالى مقترنة مع موصوفها، والصفة غير الموصوف كما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فالجلوس والقيام والعلم والسمع والبصر وغيرهما غير الموصوف بهذه الصفات، فقولنا علي عالم، يعني علي غير العلم، والعلم غير علي، فلو أثبتنا صفة لذات الله تعالى في ذاته غيره لزمه اقترانه مع صفته، والاقتران من صفة الحدوث.

إشكال في إثبات الصفات ونفيها عن الذات

هنا يواجهنا إشكال وهو أننا المسلمين جميعاً، وبالخصوص الأمامية عن طريق روايات أهل البيت عليهم السلام نثبت لله تعالى صفات ذاتية من السمع والبصر والقدرة والحياة والقدم والعدل وغيرها، وصفات فعلية من المشيئة والإرادة والخلق والرزق والإحياء والإماتة، فكيف نوفق بين إثبات الصفات لله تعالى ونفيها عنه، كما في هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ((وكمال التوحيد نفى الصفات عنه))[1]

حل الإشكال

إن الصفات المثبتة لله تعالى على نوعين:

الصفات الذاتية

الصفات الذاتية لله تعالى التي هي عين ذاته تعالى، من السمع والبصر والقدرة والحياة والقدم والعدل وغيرها كما سيأتي إن شاء الله عن قريب في هذا الكتاب، إنما هو من باب أن هذه الصفات صفات كمال عندنا والفاقد لها نقص، فوجب علينا أن نثبت لله تعالى كل صفة كمال وننفي عنه كل صفة نقص، لأنه الكمال المطلق، فكل صفة كمال يجب أن يتصف بها، وكل صفة نقص يجب أن تسلب عنه.

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٥ـ التوحيد للشيخ الصدوق ٥٧.

لذا كما سيأتي إن شاء الله عن قريب أن النملة تدعى أن لله زبانتين أي قرنين، لأن القرنين الزبانتين عند النملة كمال، وكل كمال عندها تثبته لخالقها.

وأما في الواقع ونفس الأمر، فالله تعالى منزه عن الزبانتين والقرنين عندنا معاشر الأنس الموحدين

فتوحيد النملة عندنا باطل وكفر، وغير لائق لذات الله تعالى، أن يوصف بأن له زبانتين أي قرنين، فكذلك توحيدنا لمن هو أعلى منا من الأنبياء والأوصياء والكملين عندهم نقص وشرك بل كفر، لذا روى في بصائر الدرجات قال: حدثنا عمران بن موسى عن محمد بن علي وغيره، عن هارون بن ملحم، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر عن أبيه قال: ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: ((والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إن علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو عبد مؤمن أمتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إنما صار سلمان من العلماء، لأنه امرؤ منا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء))[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[2]

فتوحيد كل سافل بالنسبة للعالي يعد شركاً بنص الآية والرواية، فالصفات الذاتية المنسوبة إلى الله تعالى، إنما هو من باب أنها من صفات كمال، وإن كان توحيد السافل مقبولاً ويدخل به الجنة، لكن التنافس في الدرجات والمعرفة هذا أولاً

وثانياً: بيان أن الله سبحانه وتعالى يسمع كل الأصوات، ويرى جميع المبصرات، ويعلم كل المعلومات، وهو حي أبدي أزلي، ولكنه لا كيف له تعالى، إلا بما هو هو، فلا يعلم ما هو إلا هو، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]

---

(١) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٤٥، الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ٤٠١.

(٢) سورة يوسف، (١٠٦).

(٣) سورة آل عمران، (١٨).

فليس في الذات إلا الذات تعالى، وإثبات الصفات الذاتية له تعالى، إنما هو من باب الكمال لا غير، كما أن النملة تدعي أن لله قرنين، كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق، مصنوع مثلكم، مردود إليكم، ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيتين، فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به))[1] فالمدعي لمعرفة الصفات الذاتية ينبأ عن معرفة الذات تعالى، ومعرفة الذات محال.

صفات الفعل

من المشيئة والإرادة، هي في رتبة الفعل، لا في رتبة الذات، كما سيأتي بيانه إن شاء الله عن قريب

---

(١) البحار للشيخ محمد المجلسي ٦٦/ ٢٩٣.

ولا إيّاه عني من شبّهه❁

❁ ولا إيّاه عنى من شبّهه

أي الذي يشبه الحق تعالى بخلقه، بأن يقول مثلاً: الحق يشبه النور والعياذ بالله تعالى، أو يشبه الهواء أوغير ذلك، فالمشبه الله تعالى بخلقه، هذا يعني أن بين المشبه والمشبه به مناسبة ومماثلة، أو جهة شبه يشترك فيها الاثنان، حتى تصح المشابهه، كقولنا بين الناقة الزرافة تشابه في طول العنق، والقرد يشابه الإنسان في هيئته، والفلفل يشابه الزنجبيل في الحرارة إلى آخره، فالمشبه شيئاً بشيء لا بد من إحاطة الشيئين أولاً، ثم إدراك جهة الشبه، أما إذا لم يدرك الشيئين لا يمكن له التشبيه بين الطرفين، لأنه ممكن أن يتصور أحد بذهنه أن بين الجدار والنور مشابهه، وإذا أدرك النور والجدار، يجد أنه لا مشابهة بينهما.

فشرط صحة المشابهة بين شيئين، إدراك الشيئين معاً، حتى يتمكن من المشابهة بينهما، كما ذكر في الناقة والزرافة في طول العنق، ولما لم يكن بين الله تعالى وخلقه مشابه ولا مماثل ولا نظير، أمتنع مشابهته بغيره مطلقاً، لأنه غير خلقه، وخلقه غيره، فحقيقة الواجب تعالى غير حقيقة الممكن المخلوق، لذا قال مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((كنهه تفريق بينه وبين خلقه))[1]

أي حقيقة الواجب تعالى غير حقيقة الممكن، ولا توجد بينهما مناسبة ومشابهة، لأنه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]

فالمدعي أن الواجب تعالى يشابه خلقه، هذا الواجب المفروض الذي يشابه غيره، هو مخلوق من مخلوقاته تعالى، فالذي يتوجه إلى إله له شبيه من خلقه، فهذا

---

(١) عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار ٤/ ٢٢٨.

(٢) سورة الشورى، آية (١١).

الإله ليس هو الله تعالى، بل أمر مخلوق من تصور المشبِه وزعم أنه الله تعالى، فالحق تعالى لا يحاط ولا يتصور ولا يدرك كما سيأتي بيانه إن شاء الله عن قريب، فالذي يجعل شبهاً لله تعالى ما عنى وما توجه إلى الله، بل توجه وعنى مخلوقاً من خلقه.

ولا له تذلّل من بعضه❁، ولا إيّاه أراد من توهمه ❁❁، كل معروف بنفسه مصنوع❁❁❁

❁ ولا له تذلل من بعّضه

أي الذي يجعل للحق تعالى والعياذ بالله أبعاضاً وأجزاءاً من اليدين والرجلين، والجسم والحلول كما زعمته المجسمة، بأن لله يدين ورجلين، فهذا الإله المزعوم المجزأ، هو مخلوق غير خالق، لأن التبعيض من التركيب، وكل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق، فالذي يتذلل لهذا المجسم المبعض، فقد تذلل لغير الله تعالى من مخلوقاته.

❁❁ ولا إيّاه أراد من توهمه

إن شاء الله في هذا الكتاب سيأتي أن الله تعالى لا يدرك ولا يتوهم بالحواس الظاهرية والباطنية، بل لا يدرك بكل مشعر ومدرك من مدارك المخلوقات.

فالذي يتوهم الحق تعالى في صورة كذا، أو على هيئة كذا، فإنما تصور وتوهم أمراً مخلوقاً من مخلوقاته، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم مردود عليكم))[1] فهذا المنظور المتوهم، إنما مخلوق من المخلوقات نسبته إلى الله تعالى والعياذ بالله.

❁❁❁ كل معروف بنفسه مصنوع

أي كل شيء أنت تعرفه أيها الإنسان أو أنت أيها المخلوق، إنما تعرفه بحده ورسمه، مثلاً أنت تعرف الفرس والديك، فتعرف الفرس بحده التام بأنه حيوان صاهل، والديك أنه حيوان صائح، وكذا الكلب بأنه حيوان نابح، فتعرفه بالجنس (الحيوان) وبالفصل (الصاهل ـ الصائح ـ النابح) وكذا بقية المخلوقات لها حد أي

---

(١) البحار للشيخ محمد المجلسي ٦٦/ ٢٩٣.

تعريف، ورسم من الأحوال العارضة لهذا الشيء، من الضحك والمشي والكتابة، فكل معروف مطلقاً مركب إما من الجس والفصل، أو أقلها من المادة و الصورة، وكل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق، ونحن الخلق لا يمكن لنا أن نعرف شيئاً غير مركب من المادة والصورة، بيد أن الحق تعالى غير مركب، لأن كل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق.

وكل قائم في سواه معلول❁. . . . إلى آخره))[١] فلا يمكن لأحد درك هذا المقام حتّى الأنبياء، الّذين هم أشرف الخلق، وحتّى نبينا ﷺ الّذي هو أشرف الأنبياء، ولذا قال ﷺ (ما عرفناك حق معرفتك)[٢] ❁❁

❁ وكل قائم في سواه معلول

أي أنه كلما نراه ونشاهده من الآفاق والأنفس، وما ندركه بعقولنا وأوهامنا وتصوراتنا هو معلول، من السماء والأرض والجبال والتلال والأنس والحيوان، وكذا التصورات والأوهام مأخوذة مما ندركه ونتعقله، وما لم ندركه ونتعقله لا يمكن لنا تصوره مطلقاً، وإذا تصورنا شيئاً لم نره في حياتنا في الخارج، لا بد لنا أن نتصورمما رأيناه وأدركناه في حياتنا،كتصورنا بحراً من زئبق، ورجلاً له ألف رأس، فإنه في الخارج لا يوجد بحر من زئبق، ولا رجل له ألف رجل، ولكن البحر موجود في الخارج وكذا الزئبق، وكذا الرجل والرؤوس موجودة في الخارج، فنحن حينما نتصورها إنما نجمع ما نراه في الخارج في أذهاننا لا أكثر، فلا يمكن لنا أن نتصور شيئاً غير موجود في الخارج، فكل هذه الأمور قائمة بالغير، أي غير قائمة بنفسها، مثل أشعة المصباح، فإنها قائمة بالمصباح، بحيث إذا انطفأ المصباح، عدمت الأشعة بالكلية، فالأشعة قائمة بالمصباح في وجودها واحتياجها مطلقاً

فكل قائم في سواه معلول مخلوق غير علة، فكيف يكون قائماً بنفسه، وهو لايدفع عن نفسه ضراً كالمرض، ولا يجلب لها نفعاً كالغنى إذا كان فقيراً؟ بيد أن واجب الوجود غير قائم بغيره، فهو المقوم والمظهر للغير، ولا مقوم ولا مظهر له عزَّ وجلَّ، فلو كان قائماً بغيره لزم التسلسل من وجود آلهة غير متناهية وهذا خلف

❁❁ أي إدراك حقيقة الواجب تعالى، لا يمكن لأي أحد من الخلق مطلقاً،

---

(١) عيون الأخبار للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٥، تحف العقول لابن شعبة ٦١، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٤.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

والدليل على ذلك قول النبيﷺ الذي هو أشرف الكائنات، وسيد الأنبياء والمرسلين مع أهل بيته الطيبين الطاهرينﷺ حيث يقول ((ما عرفناك حق معرفتك))

فإذا كان هذا حال أفضل وأول الموجودات هكذا فكيف بغيره؟ وأنى لهم ذلك جلَّ ربي وعلا

الفصل الرّابع
أنّه لا يجوز التّكلم في ذات اللّه سبحانه

اعلم: أنّ الكلام: إما معنوي وهو إدراك للشيء بلا صورة متمايزة في الذهن

وإمّا صوري وهو تصورك للمعنى بصورة متمايز في الذهن.

وإمّا لفظي وهو إخراجك للمعنى المصور بصورة مخصوصة، بمعونة التنفس والهواء في عالم الشهود والأجسام، ويسمّى أيضاً هذا بالكلام الجسمي، فانحصر أقسام الكلام في هذه الثّلاثة، وإن كان يستخرج له باعتبار سائر المراتب أقسام أخر، لكن كلها راجعة إلى هذه الثلاث ❁

❁ حقيقة الكلام

ذكر علماء المنطق وأصول الفقه الدلالات اللفظية على معانيها، وما يعنينا هنا دلالة اللفظ على المعنى، بحيث كل لفظ من الألفاظ مثل لفظ (الماء) يدل معنى الماء الموجود في الخارج السيال المعروف

فلا يمكن لك أن تذكر لفظ الماء إلا بعد تصور معنى الماء، ، وقس على لفظ الماء كل لفظ من الألفاظ، فلا يمكنك أن تذكر لفظاً من الألفاظ إلا بعد تصور معنىً لهذا اللفظ، وبدون تصور المعنى المخصوص للفظ لا يمكن لك أن تلفظ اللفظ أصلاً

وذلك مثال ما لو قال لك شخص سمِ لي هذا؟ تقول له: وأي شيء هذا؟ يقول لك: هذا وفقط!، تقول له: كيف أسمي لَك شيئاً لا أعرفه، فعرِّفه لي حتى أستطيع أن أسميه

يقول لك: لا أستطيع أن أعرفه لك ولكن سمه لي!!، يحق لك أن تقول له: عذراً أنا لا أستطيع أن أسمي شيئاً لا أعرفه، فإن لم تعرف لي نفس ذلك الشيء، فاذكر لي شبهه أو مماثله من أي حقيقة نوعية، أو من أي جنس، أو من أي كيف، أو من أي كم، أو من أي جهة، حتى أستطيع أن أتلفظ بشيء يكون مشابهاً أو مماثلاً لذلك الشيء المجهول النعت، فيقول لك: هذا الشيء ليس له مشابه ولا مماثل ولا مجانس ولا شيء يشابهه، فهو ليس كمثله شيء، تقول له: إذا كان هذا الشيء ليس كمثله شيء من الأشياء التي نعرفها وندركها، كيف لي بالتلفظ به والكلام عنه، بصرف النظر عن وصفه والحديث عنه.

إذن أنه لا يمكنك الكلام عن شيء من الأشياء المحدثة المخلوقة إلا بعد أن تدركه وتتصوره، وبدونهما لا يمكن لك التكلم عنه، بصرف النظر عن توصيفه والحديث عن مميزاته، من كمه وكيفه ومكانه وزمانه ورتبته إلى غير ذلك.

فإذا كان التكلم عن المخلوق المجهول، لا يمكنك التكلم عنه، والحديث عن صفاته وأحواله، فكيف بالقديم الأزلي، الذي ليس كمثله شيء من الخلق مطلقاً، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2]

فلما امتنعت مماثلته ومشابهته وإدركه امتنع الكلام عنه مطلقاً، وقبل البدء في عدم إمكان التكلم في ذات الجليل سبحانه، نقدم مقدمة وهي:

---

(١) سورة الشورى، آية (١١).

(٢) سورة طه، آية (١١٠).

تعدد العوالم

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا العالم المادي الشهودي، المعبر عنه بعالم الناسوت، عالم الملك الذي نعيشه وندركه، بحواسنا الظاهرة والباطنة فقط، بل الله جل وعلا خلق عوالم وعوالم كثيرة غير هذا العالم كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال ((يا جابر أتزعم أن الله خلق هذا العالم وهذا الآدم!! إن الله خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنتم في آخر تلك العوالم، وأولئك الآدميين))[1]

فيظهر من هذه الرواية المباركة، أن لله تعالى عوالم عديدة، وآدميين كثيرين غير منحصرة في عالمنا هذا، و من كانت عنده اطلالة ولو بسيطة في عالم الفضا يدرك هذا المعنى.

فكل عالم من العوالم الألف ألف، له تكليفه وطبيعته وآثاره، وأيضاً له كلامه ولغته الخاصة به، التي يتميز بها عن غيره من العوالم الأخرى، مثل تعدد لغات البلدان في الدنيا، والعوالم المذكورة في الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام تنحصر في عالمين، والثاني ينحصر في ثلاثة عوالم، العالم الأول هو

عالم الإمكان

وسمى عالم الإمكان بالإمكان، لإمكان كل شيء أن يكون كل شيء، فهذا العالم بمثابة المحبرة التي فيها جميع الحروف والكلمات والجمل، مذكورة ذكراً لا عيناً في المحبرة، بحيث يمكن لكل قطرة من قطرات الحبر، أن تكون كلَّ شيء من الحروف والكلمات

فعالم الإمكان مذكور فيه كل شيء مما كان أو يكون، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ولما نقول إن الأشياء مذكورة فيه، ليس هذا يعني أنه مادة للممكنات قبل وجودها، إلا أن القائل بهذا قائل بوحدة الموجود، أي أن المشيئة مادة للخلق، وهذا

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ٦٥٢، التوحيد للشيخ الصدوق ٢٧٧، البحار ٨/ ٣٧٥.

مذهب ضرار الباطل، كما ذكره الإمام الرضا عليه السلام لسليمان المروزي بقوله عليه السلام: ((يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة، فعل هي أم غير فعل؟ قال: بل هي فعل، قال: فهي محدثة لأن الفعل كله محدث، قال: ليست بفعل، قال: فمعه غيره لم يزل، قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء، قال: يا سليمان هذا الذي ادعيتموه على ضرار، وأصحابه من قولهم: إن كل ما خلق الله عز وجل في سماء أو أرض، أو بحر أو بر، من كلب أو خنزير أو قرد، أو إنسان أو دابة، إرادة الله عز وجل، وإن إرادة الله عز وجل تحيي وتموت، وتذهب وتأكل وتشرب، وتنكح وتلد وتظلم، وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك))[1]

بل نقول إن الموجودات مذكورة ذكراً في هذا العالم، وإذا اختارت الموجودات الوجود على العدم، أوجدها الحق تعالى لا من شيء أي لا من مادة سابقة، فإذا قلنا أوجد الله تعالى الموجودات من لا شيء قدمنا (من) على (لا شئ) أصبح العدم مادة للوجود وهو باطل، لأن العدم هو أمر مخلوق، لأن العدم هو أمر إضافي لا مطلقاً، كما نص على ذلك مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لما اختلف هشام بن الحكم، وزرارة، في النفي، يقول هشام النفي شئ، وزرارة يقول النفي ليس بشئ قال الإمام الرضا عليه السلام للسائل (قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زرارة)[2] والنفي من العدم، بل أوجدها لا من شيء كان قبلها، كما نصت على ذلك السيدة فاطمة الزهراء أرواحنا لها الفداء وعليها السلام، في خطبتها بقولها: ((ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمتثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيئته))[3].

فالحق عز وجل أوجد الموجودات ليس من مادة سابقة، ولا من العدم الإضافي

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٤٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢/ ١٦٤، مختصر بصائر الدرجات للشيخ الحسن بن سليمان الحلي، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٨٣، البحار ١٠/ ٣٣٣.

(٢) البحار ١/ ٣٢٢، اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢/ ٥٤٤، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ١٠/ ١٣٢.

(٣) الأحتجاج للشيخ الطبرسي ١/ ١٣٣.

الذي هو الإمكان، الذي هو عالم المشيئة، فآدم الأول المشيئة، وحواء الأولى عالم الإمكان ووقتها السرمد، الذي نسبته ثابت إلى ثابت، لأن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق من محدثات المشيئة، فلا يجري عليها ما أجرته، ووقته السرمد، والسرمد نسبته ثابت إلى ثابت، ويسمى هذا العالم

الوجود والراجح

وسمي بالوجود الراجح، لأنه أرجح وجود في الإمكان، بحيث لا يوجد موجود أو مخلوق أرجح منه في الوجود، فلو قرن هذا الوجود بغيره من الموجودات الأخرى، لكان هو أرجحهم في الوجود وأسبقهم ويسمى أيضاً

الوجود المطلق

وسمي بالوجود المطلق، لأنه غير مقيد بقيد من الكم والكيف والجهة والرتبة والمكان والزمان، لأن هذه القيود الستة، إنما تكونت به وحدثت عنه، فلا يجري عليه ما أجراه على غيره، وإلا لزم التسلسل، وفي هذا العالم تفصيلات ذكرها الشيخ أحمد الأحسائي قدس سر ه في فوائده، نوكلها إلى محلها إن شاء الله تعالى.

و هناك عالم برزخي يقييد هذا العالم، وهو عالم الفؤاد، وعالم النفس الناطقة القدسية

توحيد عالم الفؤاد

وتوحيد هذا العالم، توحيد حقيقي، قال البحر المحيط، آية الله الشيخ محمد أبو خمسين قدس سره ((وسمي توحيد أهل هذا العالم بالحقيقي، لأن التوحيد الحقيقي، هو توحيد هذا المقام، لأن الفؤاد هو مشعر توحيده تعالى حقيقة، ولا يحصل التوحيد الحقيقي إلا به

فتوحيد ما سواه بالنسبة إليه كفر وشرك، لأنه يرى نفسه، ويرى أنه مُوحِد، وأن هنا مُوحِد، وهذا عين الشرك به، وأما صاحب هذا المقام ما يرى نفسه، ولا يشعر

بها، لأنه متوجه إلى محبوبه غاية التوجه، وأما ما دام الموحِد يرى أنه موحِد فليس بموحد بل مشرك، قال عليه السلام

ما وحد الواحد من واحد إلا وقد أشرك في واحد

ويشير إلى ذلك تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١]

وتوحيد هذه الرتبة في ازدياد، وإن كان غير صاحبها كذلك، إلا أن صاحبها أسرع ازدياداً من غيره))[٢]

كما في الحديث القدسي ((كلما رفعت لهم عملاً، وضعت لهم علماً))[٣] فأهل هذا العالم أكثر وأسرع من غيرهم في معرفة ربهم

عالم التكوين

هذا العالم عالم التقييد بالقيود الستة: من الكم والكيف، والجهة والرتبة، والمكان والزمان، وهو ينقسم إلى ثلاثة عوالم رئيسية وهي:

عالم الجبروت

وهو عالم العقول، لأنه أول ما خلق الله تبارك وتعالى العقل، قال مولانا أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((إن الله جل ثناؤه خلق العقل، وهو أول خلق خلقه من الروحانيين، عن يمين العرش من نوره، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرمتك على جميع خلقي. . .))[٤]

فأول العقول الذي خلقهم الحق تبارك وتعالى، هو عقل محمد وآل محمد صلى

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٦).

(٢) مفاتيح الأنوار للشيخ محمد أبو خمسين ١/ ١٥٢.

(٣) الجواهر السنية للحر العاملي ١٩١.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق (رحمه) ٥٨٩، علل الشرايع للشيخ الصدوق ١/ ١١٤.

الله عليهم جميعاً، قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام ((أول ما خلق عز وجل، خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده....))[1]. وفي رواية أخرى معنعنا إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال)) حدثنا أبي موسى بن جعفر قال: حدثنا أبي جعفر بن محمد قال: حدثنا أبي محمد بن علي قال: حدثنا أبي علي بن الحسين قال: حدثنا أبي الحسين بن علي عليه السلام قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين إني أسألك عن أشياء، فقال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً، فأحدق الناس بأبصارهم، فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى فقال: خلق النور....))[2].

فالروح والنور المراد به العقل وهو عقلهم عليهم السلام، وبإشراق عقلهم خلق عقول الخلق من الأنبياء عليهم السلام إلى ما تحت الثرى، ويسمى أيضاً عالم العقول بعالم المعاني، لأن الأشياء موجودة فيه بالمعنى غير مشخصة متمايزة، وذلك مثل طعم الحلاوة، إذا قصد منها الطعم الحلو فقط، بصرف النظر عن حلاة التمر أو السكر أو الشوكولاته أو غيرها من الحلاوات الأخرى، فوقته الدهر العلوي، والدهر نسبته ثابت إلى متغير

توحيد عالم العقول

وتوحيد هذا العالم، توحيد حضوري شهودي، كما قال البحر المحيط آية الله الشيخ محمد أبو خمسين قدست نفسه ((وسمي توحيد أهل هذا العالم بالشهودي، لأن مقامهم مقام التجرد، فليس فيه اختلاف، واختلال وخلط، بحال من الأحوال، لعدم وجود الكثرة فيه، فإن الكثرات كلها ناشئة عن النفس ومنها وبها

وهذا المقام مقام، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، عميت عين لا تراه، لأنه ما غاب عنهم حتى يحتاجون إلى دليل يدلهم عليه، ولا بعد حتى تكون الآثار هي التي توصلهم إليه، بل يرون كل شئ مضمحلاً ومعدوماً سواه كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «وأن كل معبود من دون عرشك إلى

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه ١/ ٥.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ٢/ ٥٩٣.

قرار الأرضين السابعة السفلى باطل ما خلا وجهك الكريم ولا يرى في هذا العالم نور إلا نوره ولا يسمع صوت إلا صوته»[١] فأصحاب هذا العالم، هم يده ولسانه وسمعه وبصره كما في الحديث

عالم الملكوت

وهو عالم النفوس، وبداية التمييز للخلائق، مشروحين العلل، مبينين الأسباب، فالخلق في هذا العالم يتمايز كل من الآخر، ويعرف الشقي من السعيد، ووقته الدهر السفلي

توحيد عالم الملكوت

توحيدهم توحيد الذات قال البحر المحيط آية الله الشيخ محمد أبو خمسين قدست نفسه ((ويسمى توحيد أهل هذا العالم بالذاتي، لأنهم يوحدونه تعالى بالذات، لا أنهم فاقدين لباقي المراتب، بل معناه أن التوحيد ذاتي لهم كالملائكة، فإن التوحيد فيهم كذلك، لا بظهور اسم المعبود كعالم الأجسام

فأهل هذا العالم انتقلوا من أنفسهم، وانتبهوا إلى توحيده سبحانه، من غير واسطة ارسال رسل، وليس في هذا المقام شائبة تقليد أصلاً كما في عالم الأجسام فافهم))[٢] وأصبح توحيدهم ذاتياً، لأن كل شئ حاضر وواضح عندهم، فالملائكة عليهم السلام بمجرد خلقهم رأساً يعبدون خالقهم سبحانه، لأن أنوار الرب واضحة جلية، فلا يحتاجون إلى إرسال رسل، فبمجرد رؤيتهم إلى أنوار محمد وآلا محمد صلى الله عليه وآله، يعرفون التوحيد وعبادتهم، لأن المعلم للملائكة التقديس والعبادة هم عليهم السلام.

عالم الناسوت

وهو عالم الملك والشهود، وهو عالمنا المادي الكثيف عالم الدنيا والأجسام،

---

(١) مفاتيح الأنوار للشيخ محمد أبو خمسين ١/ ١٥٠.

(٢) مفاتيح الأنوار للشيخ محمد أبو خمسين ١/ ١٤٩.

المعبر عنه بما تحت فلك القمر، المتكون من العناصر المادية الأربعة، الماء والتراب والهواء والنار الجسمانية المحسوسة الشهودية، ووقته الزمان نسبة متغير إلى متغير

توحيد عالم الناسوت الدنيا

توحيدهم في هذا العالم توحيد العبادة، لظهور الفقر والضعف والفاقة لهذا العالم، وذلك لبعدهم عن مبدئهم، قال البحر المحيط آية الله الشيخ محمد أبو خمسين قدست نفسه ((وإنما سمي توحيد عالم الأجسام توحيد العبادة، لأن توحيدها بسبب ظهور اسم المعبود في هذا المقام، وإلا فيه جميع مراتب التوحيد يقيناً، بمعنى أن ظهور المعبودية فيه أكمل، لشدة ظهور الفقر والاحتياج والاضمحلال والتغيير فيه

ولهذا ورد في بعض الأخبار، وصرحت به العلماء إنما أنزل الله سبحانه الخلق من تلك العوالم إلى هذا العالم لئلا يدعوا الاستقلال والربوبية، ومن ثم ما وقع الإنكار وبعض الإقرار إلا هنالك، قال الله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أوضح بمعنى أن توحيدها راجع إلى نوع التقليد، ولهذا لولا الأنبياء والرسل يبلغونها وينذرونها، ويوعدونها بالوعد والوعيد، لم يوحدوه تعالى أبداً، ومع هذا كله ترى أكثرهم كافرين))[1] أي لولا الأنبياء والأوصياء والوعاظ، لما عبدوا الله تعالى، وذلك لتعلقهم الشديد بالأسباب، وغفلتهم عن المسبب وهو الجليل سبحانه

وهناك عوالم برزخية بين كل عالم وعالم منها :

عالم الأرواح

ويسمى عالم الرقائق، وهو برزخ بين عالم العقول الجبروت وعالم الملكوت النفوس، فهو وسط وبرزخ بين الأمور المعنوية في العقول والصورية في النفوس، المعبر عنه بورقة الأس، والعالم الثاني البرزخي هو

---

(١) مفاتيح الأنوار للشيخ محمد أبو خمسين ١/ ١٤٨.

عالم المثال

وهو مثل عالم الرؤيا، بين عالم الملكوت النفوس وعالم الناسوت الأجسام، فهو برزخ بين عالم المجردات من الملكوت والجسمانيات من الناسوت، فهو ليس مجرد كالنفوس ولا كثيف مثل الجسم.

فجميع العوالم عدا عالم الناسوت الأجسام يقال لها مجردة نسبياً، فعالم العقول مجرد عن الصور النفسية والمادة الجسمانية، وعالم النفوس مجرد عن المادة الزمانية.

أما عالم الأجسام الناسوت، المعبر عنه بعالم الملك، هو أكثف العوالم وأغلظها وأسفلها، ويسمى بدار التكليف، وهو هذه الدنيا التي نعيشها.

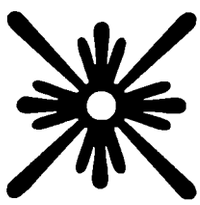

ولمّا عرفت أنّ معرفة الذّات تعالى شأنه بكل وجه محال، علمت أنّ التكلم فيه أيضاً كذلك، إذ التكلم لا يكون ولا يمكن منك إلاّ فيما تعلم، وأمّا ما لا تعلمه فلا يمكن لك التكلم فيه ❁ أما ترى أنّ عوام الناس لا يمكن لهم التكلم في المسائل العلمية، وليس ذلك إلاّ لعدم إطلاعهم بها، وكلّ من يتكلم بكلام لا بد له من تصور ما يتلفظ به ولو بطور من الأطوار، وإن كان في الواقع ونفس الأمر خطأ وباطلاً، كقولهم «شريك الباري ممتنع» حيث يتصورون أمراً مخلوقاً شريكا لله سبحانه، ويحكمون عليه بالامتناع، فالكلام اللفظي لا يصدر من عاقل إلاّ بعد تصور معنى له وتعقله، وكلاهما في الله سبحانه محال، فالكلام في ذات الله ممتنع ❁❁

❁ النهي عن التكلم في الذات

أنه بعد ما ثبت أن لكل لفظ معنى يدل عليه، ولا يمكن لأي لفظ من الألفاظ عند النطق به إلا بعد تصور معناه، سواء أكان هذا اللفظ معنوياً كما في عالم العقول الجبروت، أو صورياً كما في عالم الملكوت النفوس، أو مادياً جسمانياً كما في عالم الناسوت الملك، وقد عرفنا سابقاً أن إدراك القديم تعالى محال عقلاً وعقلاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه لا توجد مناسبة ولا مشابهة بين القديم والحادث المخلوق، فإذا ثبت عدم إدراكه وأحاطته يلزم عدم الكلام فيه، لأن الكلام وليد التصور والإحاطة، والحق تبارك وتعالى لا يحاط ولا يتصور، فإذا كان المخلوق لا يمكن أن يتحدث ويتكلم عن مخلوق إلا بعد تصوره وإدراكه، وإلا لا يمكن له التحدث والتكلم عنه، فكيف بالقديم الأزلي وهو الله سبحانه؟

إذن لما كانت ذات الله عزَّ وجلَّ لا تحاط ولا تدرك بأي وجه من الوجوه، امتنع الكلام عن ذات الله سبحانه، وذلك لأن اللفظ لابد له من تصور، أياً كان هذا التصور مجرداً أم مادياً، والتصور لا يمكن إلا فيما يدرك ويحاط به، بيد أن الجليل تعالى لا يحاط ولا يدرك

❀❀ الجاهل بالشئ لا يمكن أن يتحدث عنه

يذكر السيد كاظم قدس الله نفسه الزكية حال العوام من الناس، إنه لا يمكن لهم التكلم عن الأمور والمسائل العلمية سواء فقهية أو أصولية أو لغوية أو رياضية أو فلكية أو فيزيائية أو كميائية أو جلوجية أو غيرها من العلوم العليا، التي لا يمكن معرفتها إلا بعد الدراسة الطويلة كما هو معروف

هذا بصرف النظر من أن يكون الكلام صحيحاً أو خاطئاً، فكما يتكلم الناس بالصواب يتكلمون أيضاً بالخطأ إلا أنه على كل تقدير لابد لهم من تصور معنى لكلامهم.

كما حدا بالبعض التكلم عن وجود شريك لله جل وعلا في الأذهان بحيث قال أكثر الفلاسفة والمناطقة من المسلمين ـ عدا الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته ـ من وجود شريك لله جلَّ وعزَّ في الأذهان، وكتب الفلاسفة والمناطقة من المسلمين مشحونه و شاهدة عليهم، بادعائهم وجود شريك لله تعالى في الأذهان ممتنع في الخارج مع العلم أن الكلام بوجود شريك لله في الأذهان كما يزعمون، لابد لهم من تصور معنى في الذهن وإلا لم يصح الكلام، والحال إنه لا يوجد لله تعالى شريك لا في الخارج ولا في الذهن فيأتي إن شاء الله تعالى تتمة لهذا الموضوع فيما بعد

فالكلام لابد له من تصور في الذهن، وتعقل بالعقل أي شيء كانت هذه الصورة، والتصور والتعقل محال على الحق تعالى كما ذكر، فالكلام في ذات الله تعالى محال ممتنع بالعقل قبل الشرع

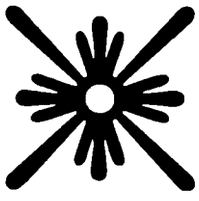

فينبغي للجماعة الصّوفيّة الّذين يتكلّمون في ذات الله، أن يتصّوروا الذّات العياذ بالله، ثمّ يتكلّمون فيها❁.

❁ تكلم الصوفية في ذات الباري تعالى

قول السيد كاظم رضوان الله عليه، فينبغي للصوفية الذين يتكلمون في ذات الله عزَّ وجلَّ، أن يتصوروا الذات سبحانه ثم يتكلموا والعياذ بالله تعالى عنها، فالصوفية ومن تبعهم من الفلاسفة المسلمين ومن نحى نحوهم في كلامهم في الذات المقدسة، وأخذهم كلام ابن عربي المخالف لمذهب الحق مذهب محمد وآل محمدﷺ الذي يشبه الشيعة لأهل البيتﷺ بالقردة والخنازير.

لذا تحدث بعضهم من أن الإرادة هي عبارة عن العلم بالنظام، وهذا النظام موجود وكائن في الذات، وهو قديم ومستفيض من الذات إلى الخارج، يعني ولادة الذات تعالى هذا النظام، وهذا نص كلامه ((ومعنى كونه مريداً أنه سبحانه يعقل ذاته، ويعقل نظام الخير الموجود في الكل من ذاته، وإنه كيف يكون، وذلك النظام يكون لا محالة كائناً ومستفيضاً))[١]

وقال أيضاً ((إن إرادته سبحانه بعينها هي علمه بالنظام الأتم، وهو بعينه هو الداعي لا أمر آخر))[٢]

وقال آخر منهم ((إن إرادته سبحانه هي العلم بنظام الكل على الوجه الأتم، وإذا كانت القدرة والعلم شيئاً واحداً، مقتضياً لوجود الممكنات على النظام الأكمل، كانت القدرة والعلم والإرادة شيئاً واحداً في ذاته، مختلفاً بالاعتبارات العقلية))[٣]

وعلى ذلك رتبوا أن المشيئة من الصفات الذاتية لله تعالى، ولازم ذلك أن كل ما

---

(١) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٣١٦.

(٢) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٣٣٣.

(٣) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٦/ ٣٣١.

تعلقت به المشيئة فهو كائن في الذات سبحانه فائضاً منها ـ والعياذ بالله ـ مع صراحة قول الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول ((المشيئة محدثة))[١]

وأما تفسرهم بأن المشيئة هي العلم، فهذه مخالفة للعقل لأنه يفرق بين مشيئة الإنسان وعلمه بالشيء، ومخالفة صريحة لمذهب أهل البيت وكلامهم عليهم السلام حيث ينفون أن تكون المشيئة هي العلم كما قال بكير بن أعين: قلت لأبي عبد اله الصادق عليه السلام: ((علمه ومشيئته مختلفان أو متفقان؟ فقال عليه السلام: العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنك تقول سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول سأفعل كذا إن علم الله))[٢].

انظر إلى كلام الإمام عليه السلام وإلى كلامهم تجد تضاد بين كلام الإمام عليه السلام وكلامهم، وهناك كلام وكلام في التحدث عن ذات الباري سبحانه وتعالى من الصوفية ومن تبعهم، يتحدثون عن ذات الله عزَّ وجلَّ بأمر تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمن ولداً، تركناه تنزهاً عن الترهات والخزعبلات، والله تعالى ولي التوفيق والسداد

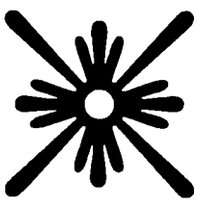

(١) الكافي للشيخ الكليني ١/ ١١٠.

(٢) الكافي ١/ ١٠٩.

«فليس الله عرف من عرف بالتشبه ذاته»[١] والأخبار في النّهي عن التّكلّم في الله كثيرة منها ما عن الإمام الباقر عليه السلام ((قال تكلّموا في كلّ شيء، ولا تكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلاّ تحيّراً))[٢] ومنها خبر أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((يا زياد إيّاك والخصومات فإنّها تورث الشّك، وتحبط العمل وتردّي صاحبها، وعسى أن يتكلّم بالشيء فلا يغفر له، إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به، وطلبوا علم ما كفوه حتّى انتهى كلامهم إلى الله فتحيّروا، حتّى كان الرّجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه، ويدعى من خلفه ويجيب من بين يديه)).[٣]

وفي رواية أخرى: ((حتّى تاهوا في الأرض))[٤] ليت شعري ما عذر من يتكلّم في الله سبحانه، بوجود هذه الأخبار وصراحة هذه الآثار في النّهي عنه ❁.

❁ مذهب أهل البيت عليهم السلام
في عدم الكلام في ذات اللّه تعالى

انظر بعين الدقة والإتباع لأئمة الهدى عليهم السلام، تجده واضحاً على عدم جواز الكلام في ذات الله تعالى، وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إياكم والتفكر

---

(١) عيون الأخبار للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٤.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ١/ ٩٢، التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٦، المحاسن للشيخ أحمد بن محمد البرقي ١/ ٢٣٨.

(٤) الكافي ١/ ٩٢.

في الله، فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً، لأن الله عز وجل لا تدركه الأبصار، ولا يوصف بمقدار))[١]

وقول الإمام الباقر عليه السلام لزياد: إياك والخصومات، المراد بها كلام حكماء اليونان وفلاسفتهم، وكلام الصوفية والمتكلمة، فالعجب من العلماء المذكورين حينما يتكلموا عن وحدة الوجود، أو أن الأشياء موجودة في الذات والعياذ بالله، هل أدركوا ما لم يدركه أئمة الهدى عليهم السلام، أم هناك مصدر غير الكتاب والسنة المطهرة، عصمنا وإياكم من زلل الأقلام، وخطل الأوهام.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٦.

الفصل الخامس
في أنّ اللّه سبحانه: ليس له مثل و لا مثال

ولا يعرف بمثل ولا مثال❁

❁ الحق جلَّ وعزَّ ليس له مثل ولا مثال

قال أحمد بن فارس في مقاييس اللغة: ((الميم و الثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نظيره. والمِثْل والمِثال في معنىً واحد، وربما قالوا مثيل كشبيه، تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً، قتله قَوَداً، والمعنى أنه فعل به مِثْل ما كان فَعَلَه.

والمَثَل: المِثْل أيضاً: كشبه وشِبْه. والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورَّى به عن مِثْلِه في المعنى))[1]

وَقال ابن منظور في لسان العرب ((مِثْل كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُهُ، بمعنى... والمِثْل الشِّبْه، يقال:

مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه بمعنى واحد... والمَثَل: الشيء الذي يضرب بشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه))[2]

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٥/ ٢٩٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٦١٠.

إذاً المِثل والمَثَل والمِثال يطلق على مشابهة شيء لشيء حتى يكون مثلاً أو مثالاً له، ولما كان الحق تبارك وتعالى ليس له مماثل ولا مشابه ولا مجانس من خلقه، لم يكن له مثل ولا مثال، ولا يعرف بمثل ولا مثال، لأنه تعالى كما قال الإمام الرضا عليه السلام: ((كنهه تفريق بينه وبين غيره))[١]

أي حقيقة ذات الله جلَّ وعلا غير حقائق الخلائق مطلقاً، فكل شيء له مثل أومثال أو شبه أو شبيه، فهو من خلقه وإلى خلقه لا يقاس بالخالق جلَّ وعلا، كما ذكرنا من قبل المخلوق إذا لم يكن له مثيل وشبيه لا يمكن وصفه، فكيف بمن ليس كمثله شيء مطلقاً؟ إذن لما أمتنعت مثليته وشبهيته من غيره، صار لم يكن له مثل ولا مثال

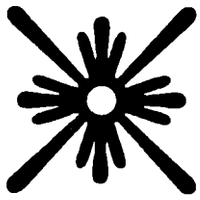

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار للمجلسي ٤/ ٢٢٨.

إذ لا شك أن الشيء الذي لا يناسبه و لا يشابه شيء، لا يمكنك أن تضرب له مثالاً، كما لا يقال: إن الماء كالنار، والحر كالبرد، والهواء كالتراب، إذ ليس بينهما مناسبة وجهة شبه، ولو لم يكن المناسبة شرطاً بين المثلين والمثال والممثل، لكان كلّ شيء مثالاً لكل شيء، وهذا بديهي الفساد كما في المثال المذكور❁ ولا ريب أن غير الواجب تعالى موجود ممكن، ولا شك أن الممكن لا يعرف ولا يدرك إلا الممكن❁❁

❁ الحق تعالى غير خلقه

هنا السيد كاظم الرشتي قدس الله نفسه الزكية يضرب أمراً عقلياً، على أن الحق تعالى ليس له مثل ولا مثال ولا يعرف بمثل ولا مثال، وهو أن المخلوق نفسه إذا أردت أن تضرب له مثالاً ما لتقربه إلى الأذهان، لا بد أن يكون بين هذا المخلوق والمخلوق المضرب به مثلاً من مناسبة ومشابهة بينهما، وإلا لكان كل شيء مثالاً لكل شيء وهذا بديهي الفساد، كما بين النار والماء، والحر والبرد، والهواء والتراب، والجسم والروح، حيث إن طبيعة النار مخالفة لطبيعة الماء بل هما ضدان، لأن طبيعة النار الحرارة واليبوسة، وطبيعة الماء البرودة والرطوبة، وكذا في الحر والبرد والهواء والتراب.

فلا بد من مناسبة ومشابهه بين المثل والمثال المضروب له، وإلا لكان كلُّ شيء مثالاً لكل شيء وهذا باطل

❁❁ كل ما سوى اللّه تعالى من مثل وغيره مخلوق

يقول السيد كاظم قدس الله نفسه المباركة، إن المثل والمثال على حسب الفرض، المضروب لله تعالى هو غير الحق تعالى قطعاً، لأن المثل غير الممثل به، والشبه غير المشبه به عقلاً

فالذي يضرب مثلاً لله تعالى بالضرورة هذا المثل غير الله سبحانه وإذا كان غيره

سبحانه فهو مخلوق، لأن الموجود إما الله تعالى أو خلقه كما نص على ذلك الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((وإنما هو الله عز وجل وخلقه، لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما))[١]

والمخلوق لا يمكن أن يتصور إلا مخلوقاً مثله، فالمثل والمثال المضروب لله عز وجل إنما هوخلق من خلقه، والمخلوق لا يشابه الخالق القدير في أي وجه من الوجوه، كما تقدم.

---

(١) عيون الأخبار للشيخ الصدوق ٢/ ١٥٦.

فالممكن إذا أراد أن يضرب مثالاً للواجب لزمه أمران:

الأول: أن يدرك ذات الواجب، حتى يعرف أن هذا المثال هل هو مثاله أو لا؟ وهذا محال كما عَرَفتَ سابقاً.

الثّاني: أن يأتي بالمثال من الممكن، إذ الواجب واحد، والممتنع ليس بموجود، وبين المثال والممثل لا بد من مناسبة، وإلا لم يكن مثالاً له، كما أن النهار ليس مثالاً لليل وبالعكس، لعدم المناسبة بينهما ❁

❁ فساد ضرب للّه تعالى مثلاً أو مثالاً

هنا يشير المؤلف رضوان الله عليه، بأن من يريد أن يضرب مثلاً أو مثالاً للحق تعالى، يلزمه أمران:

الأمر الأول: أن يدرك ذات الله تعالى حتى يستطيع أن يضرب مثالاً، هل هذا المثال يشابهه أولا؟ إذ بدون إدراك الشبه والمشابه بين المثل والممثل به، لا يمكن أن تضرب مثلاً أو مثالاً، ، فأنت لما تقول بين الفلفل والنار شبه ومثل في الحرارة، أي كما أن الفلفل حار كذلك النار أيضاً حارة، فالحكم بالحرارة بينها بعد إدراكهما، وقبل الإدراك لا يمكنك الحكم بالحرارة، وهذا أمر بديهي الوجدان، بينما إدراك ذات الله تعالى محال عقلاً ونقلاً كما تقدم في الفصل السابق

الأمر الثاني: إن المثال المؤتى به ليضرب للحق تعالى لا شك أنه من الخلق أنفسهم، بحيث لا يمكن أن يضرب مثالاً قديماً غير الله تعالى، فلو ضرب مثالاً قديماً لزم تعدد القدماء، وهو باطل كما تقدم بأدلة التوحيد السابقة، من دليل الفرجة والتمانع والتمايز وغيرها، فالله تعالى واحد أحد

وأيضاً لا يمكن أن يضرب مثلاً كما يزعمه البعض الشريك للحق تعالى، الموجود في الذهن الممتنع في الخارج، فهذا أيضاً باطل، لأن الشريك المزعوم هو ممتنع فكيف يضرب به مثلاً؟ فما بقى إلا أن يكون المثال من المخلوقات، ولا يو

مناسبة بين القديم والحادث كما ذكر، فلا يكون هذا المثل منطبقاً عليه تعالى فيكون باطلاً، كما أن الليل وهو مخلوق لا يكون مثالاً للنهار وهو مخلوق وكذا العكس، وذلك لعدم الإدراك و المناسبة والمشابهة بينهما، فكيف بمن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

وإلا لزمه أن يكون للواجب مثل وشبيه، والله عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ❁ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[2].

والنهي حقيقة في الحرمة، يعني من ضرب مثلاً لله، وارتكب ذلك فمأواه جهنم ويقول: أيضاً و ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3] يعني أن الله منزّه ومبرء من أن يضرب له مثل، وكلّما ضرب له مثل فالله أعلى منه، إذ الممكن لا يعرف ولا يدرك إلا ممكناً مثله، والله سبحانه أعلى من الإمكان ﴿وَهُوَ﴾ واجب، فظهر أن من ضرب له مثالاً أو شبهه بخلق، فهو فاسد العقيدة باطل الرأي، سخيف القول ❁❁

❁ يعني لو فرض أنه يجوز أن يضرب مثلاً ومثالاً، حتى مع عدم المناسبة والمشابهة، للزم أن يكون للحق تعالى مثل ومثال، بيد أن هذا يتعارض مع ما وصف به نفسه في كتابه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4]

❁❁ النهي عن ضرب المثل للّه تعالى

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنهى عن ضرب المثل لله تعالى، كقوله تعالى:

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[5]

فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟﴾ هنا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية المفيدة للنهي،

---

(١) سورة الشورى آية ١١.
(٢) سورة النحل آية ٧٤.
(٣) سورة النحل آية ٦٠.
(٤) سورة الشورى آية ١١.
(٥) سورة النحل آية ٧٤.

والنهي حقيقة في الحرمة، كما أن الأمر ظاهر في الوجوب، كقوله تعالى:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١]

فالنهي في ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ كما ذكر حقيقة في الحرمة، ومن يفعل الحرام يستحق العذاب الأليم، مثل الذي يعصي الله تعالى في نواهيه، من إرتكاب المحرمات المعروفة، لذا في معرض آخر الله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢] بمعنى أنه جلَّ وعزَّ مبرء ومنزه من أن يضرب له مثل من المخلوقين، فالله سبحانه أعلى من كل مثل يضرب له، لأنه لا يعرف كنهه إلا هو سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٣]

فلا أحد يدرك كيف الحق إلا الحق نفسه سبحانه وتعالى، فالمخلوق لا يدرك إلا مثله، لا يتعدى رتبته، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ((وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها))[٤]

فلا يمكن للمخلوق أن يصل إلى رتبة القديم الواجب وهو الله تعالى، فإذن كل مثل أو مثال فهو مخلوق راجع إلى المخلوقين، لأن كل متصور من الخلق راجع إلى الخلق أنفسهم، كما قال مولانا الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم))[٥]

فظهر أن الممكن لا يدرك إلا ممكناً مثله، والله تعالى واجب قديم لا يدرك، فضرب مثلاً ومثالاً لله تعالى، قول خارج عن جادة الحق المبين والصراط المستقيم.

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٨.

(٢) سورة النحل آية ٦٠.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٤/ ٢٣٠، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ١/ ٢٩٩، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ٣/ ٨٨.

(٥) البحار للمجلسي ٦٦/ ٢٩٣، نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ١/ ٩٣، اللمعة البيضاء للتبريزي ١٦٩.

والموجودات بالأمواج، والواجب أيضاً بالحبر الّذي في الدواة والموجودات بالحروف، والواجب أيضاً بالواحد والموجودات بالأعداد، كما قال شاعرهم:

وما الخلق في التمثال إلاّ كثلجة
وأنت لها الماء الّذي هو نابع
لكن يذوب الثّلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وأمثال هذه الأشعار والخرافات منهم كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها❁.

❁ خزعبلات الصوفية

والعجب ليس من الصوفية، بل العجب ممن يأخذ عنهم، ويدعي أنه على مذهب أهل البيت عليهم السلام. فقولهم:

وما الخلق في التمثال إلا كثلمة وأنت لها الماء الذي هو نابع

هذا تصريح في وحدة الوجود، بأن وجود الحق عز وجل ووجود المخلوقات واحد، فالفارق بين وجوده ووجود الخلق الماهيات، وهي المعبر عنها بالأمواج، أو أن الذات والعياذ بالله تعالى بالماء والخلق بالثلج، وهؤلاء مثل المجسمة يمثلون الجليل سبحانه بالشاب الأمرد له رأس ويدان ورجلان وعينان وأذنان وأعضاء جلّ عن ذلك علواً كبيراً

والكثير الكثير من الكلمات والاعتقادات المخالفة لأهل البيت عليهم السلام المأخوذة من أهل التصوف، ونقف هنا عن نقل الترهات والخزعبلات، لأن الأطفال والفطرة والكتاب يكذبهم، بأنه ليس كمثله شئ مطلقاً.

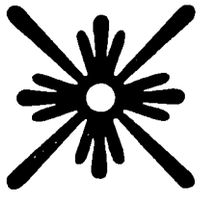

الفصل السّادس
إن اللّه سبحانه ليس له مشابه، ولا مماثل، ولا مجانس، ولا مساوي، ولا مطابق، ولا محاذي، ولا مناسب

أمّا أنّه ليس له مشابه، يعني في صفة من الصّفات، فلأن المشابهة عند الحكماء هي الموافقة في الكيف، والكيف عرض من الأعراض يعرض للأجسام، والعرض هو القائم بالغير، يعني ليس له وجود واستقلال إلاّ بمحل ومكان وموضوع، كعروض السّواد والبياض للأجسام، وعروض الحرارة والبرودة للماء، فالماءان الحارّان مثلاً متشابهان لموافقتهما في الكيف وهو الحرارة، وكذلك الحار والزنجبيل، والفلفل والزنجبيل متشابهان لموافقتهما في الكيف وهو الحرارة، وكذلك الماءان الباردان، والماء البارد والكافور والسّمك ونحوها من المتشابهات أيضاً لموافقتهما في الكيف وهو البرودة ❁

❁ الذاتي والعرضي

قبل البدأ في هذا الفصل، نقدم مقدمة للقاريء ليسهل عليه المعنى، وهي الذاتي والعرضي، ما تعريفهما وما يعني الذاتي وما يعني العرضي؟

الذاتي:

((هو المحمول الذي تتقوم ذات الموضوع به، غير خارج عنها))[١]

أي إن القضيه الحمليه تتكون من موضوع ومحمول، والموضوع هو المبتدأ والمحمول هو الخبر نقول مثلاً:

الأسد حيوان زائر، فالأسد موضوع وهو مبتدأ، وحيوان زائر محمول وهو خبر، أي تحمل الحيوان الزائر على الأسد، بحيث يكون المحمول ـ وهو الحيوانية الزائرية ـ تكوّن ذات الموضوع وهو الأسد، بحيث لو رفعنا الحيوانية والزائرية عن الأسد لفني وانعدم، وكذا الكلب بأنه حيوان نابح، والديك حيوان صائح، والفرس حيوان صاهل، والغراب حيوان ناعق. . . الخ.

فالذاتي إذن هو قواعد وجزئيات أو لبنات ذات الشيء وهو الموضوع، بحيث لولا هذه الذاتيات والأجزاء لانتهى الموضوع، وتفكك وضاعت هويته، فالذاتي هو الظاهر والقائم بنفسه المقوِّم لغيره

العرضي:

((هو المحمول الخارج عن ذات الموضوع، لاحقاً له بعد تقومه بجميع ذاتياته، كالضاحك اللاحق للإنسان، والماشي اللاحق للحيوان))[٢]

فالعرضي هو الخارج عن ذات الموضوع، مثل الضاحك والكاتب والخطيب الخارج عن حقيقة عبد الله وعلي ومحمد، تقول محمد كاتب، وعلي خطيب، فالكتابة والخطابة أمران خارجان عن ذات علي ومحمد، ولاحقان بهما، و عارضان عليهما، فليست الكتابة والخطابة من ذاتيات علي ومحمد، بل هما أمران خارجيان

إذاً العرضي هو المحمول الظاهر في غيره، أي لا يمكن أن يقوم الضحك بدون موضوع وهو علي مثلاً، وكذا البكاء، وكذا الخطابة والكتابة لا يمكن أن تقوم وتظهر

---

(١) منطق المظفر ٧٨.

(٢) منطق المظفر ٧٩.

لوحدها بدون كاتب وخطيب وضاحك. . . الخ.

فالعرضي إذاً هو من مقولة الكيف القائم بغيره، مقابل الذاتي القائم بنفسه المقوم لغيره

فالسواد والبياض، أو الحرارة والبرودة، والصحة والمرض، والطول والقصر، لا يمكن لها أن تقوم بنفسها، لا بد لها من ذاتي ومحل تحل فيه.

اللَّه تعالى ليس له مشابه

فالحق تعالى ليس له مشابه، لأن المشابهة تكون بين طرفين في جهة جامعة تجمعهما وهي الكيف، وذلك مثل المائين الباردين أو الحارين، يقال لهما هذا بارد وذاك بارد، فهما متشابهان في الجهة الجامعة العرضية، وهي البرودة أو الحرارة

كما يقال إن بين الفلفل والزنجبيل مشابهة وموافقة في الكيف وهي الحرارة، حيث إن الفلفل حار والزنجبيل حار أيضاً، وكذا السمك والكافور والماء البارد في جهة جامعة لها وهي البرودة، حيث إن السمك والماء والكافور، فالجهة الجامعة لها البرودة.

ولما كان الواجب سبحانه ليس له مشابهه، لا في الكيف ولا الكم، امتنعت مشابهته بأحد من الخلق مطلقاً.

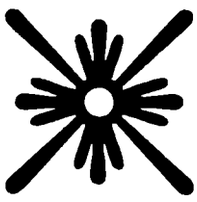

وحيث إن الواجب تعالى شأنه لا يعرضه عرض وإلا لزم أن يتأثّر وينفعل، فينبغي أن لا يكون له عرض يعرضه❁

❁ الواجب تعالى لا يعرضه عرضي

الله سبحانه وتعالى ليس له عرض وجوهر، وكم وكيف، كما في المقولات العشر، حيث قال بها جمهور المشائين على أن المقولات عشر وهي ((الجوهر، والكم، والكيف، والوضع، وأين، ومتى، والجدة، والإضافة، وأن يفعل، وأن ينفعل))[١] فهذه المقولات العشر التي يقول بها الحكماء، واحدة جوهر، والتسع الباقية أعراض تعرض على الجوهر والجسم

فالكيف عرض من الأعراض كما يعرف بأنه ((عرض لا يقبل القسمة ولا النسبة لـ)[٢] أي إن الطول والعرض وغيره من العرض لا يمكن تقسيمه إلى أقسام بما هو طول أو عرض، فالنصف يقال له طول والربع يقال له طول والثلث وغيره من التقسيمات أيضاً يقال لها طول، ولا النسبة لذاته أي ليس بين طول الجبل وطول الإنسان بما هو طول لذاته، نعم قد يقال الجبل أطول من الإنسان، ولكن الطول بما هو طول لا نسبة لذاته، فالأكثر طولاً بالنسبة للأقل كلها يقال لها طول بما هو طول، وكذلك بقية الأعراض

فلو كان للواجب سبحانه عرض لزمه أمران:

الأمر الأول:

التأثر أن يكون متأثراً، وكونه متأثراً هو أن ينفعل، وهي من مقولة العرض كما ذكر من المقولات العشر، بمعنى لو كان له كيف في صفة من الصفات بينه وبين خلقه لزم تأثره بهذه الصفة، مثلاً تقول ـ والعياذ بالله تعالى ـ الجليل سبحانه له طول

---

(١) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٠٢.

(٢) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٢٨.

وعرض كما يذهب إلى ذلك المجسمة، يلزم من ذلك انفعاله وتأثره بالطولية والعرضية، كما نحن الخلق تتأثر شخصيتنا بطولنا وقصرنا، حيث يقال فلان طويل وآخر قصير، فالتأثر بالغير يدل على التغير والتغير يدل على الحدوث والخلق هذا أولاً

ثانياً: هذا الغير المتأثر به إما أن يكون قديماً أو حادثاً

فإن كان قديماً تعدد القدماء، وإن كان حادثاً لزم تأثر القديم بالحادث، وهذا باطل لأنه لا توجد نسبة بين القديم والحادث وهذا خلف

الأمر الثاني:

الإنفعال وذلك مثل إنفعال الماء القليل بقطرة الحبر أو الدم، والإنفعال يقتضي التغير، والتغير من صفات الحدوث لا القديم الأزلي سبحانه وتعالى.

إذاً فالحق جلَّ وعزَّ ليس له عرضي يعرضه، للزوم العرضية له تعالى الحدوث، بيد أنه قديم ليس كمثله شيء من الخلق مطلقاً.

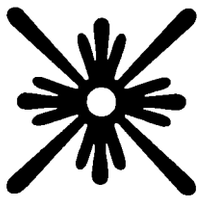

فظهر أن ليس له كيف الّذي هو من الأعراض، فليس له شبيه أيضاً، إذ المشابهة كما قلنا هي موافقة شيئين في الكيف، أمّا المماثل يعني ليس له مثل، فلأنها هي الموافقة في الحقيقة النّوعيّة، والحقيقة النّوعية هي الذّات والحقيقة، مع قطع النّظر عن الأمور الخارجية، فيقال إنّ زيداً وعمراً وبكراً وخالداً مثلاً، مماثلون لموافقتهم في الحقيقة وهي الإنسان، وإنّما اختلافهم وتعدّدهم باعتبار الأمور الخارجيّة، كالطول والقصر والعرض والسّواد والبياض والسمن والضعف وأمثلها من الهيئات المختلفة، لا يصح على الواجب تعالى، فظهر أن جميع المذكورات لا يصح إطلاقها على الله تعالى وهو محال عليه ❁.

❁ الحق تعالى ليس له مماثل

قبل البدء نقدم مقدمة منطقية وهي:

((إذا قسنا لفظاً إلى لفظ، فلا تخرج تلك الألفاظ المتعددة عن إحدى قسمين:

١ ـ إما أن تكون موضوعة لمعنى واحد، فهي ((المترادفة)) إذا كان أحد الألفاظ رديفاً للآخر على معنى واحد. مثل أسد وسبع وليث، هرة قطة، إنسان بشر

فالترادف: ((إشتراك الألفاظ المتعددة في معنى واحد))

٢ ـ وإما أن يكون كل واحدٍ منها موضوعاً لمعنى مختصٍ به، فهي ((المتباينة)) مثل: كتاب، قلم، سماء، أرض، حيوان، جماد، سيف، صارم

فالتباين: (أن تكون معاني الألفاظ متكثرة بتكثر الألفاظ))[1]

فإذا قيس لفظ مع لفظ آخر، إما أن يكون بينهما ترادف بحيث كل لفظ يفيد نفس المعنى من اللفظ الأول والثاني والثالث... الخ.

---

(١) منطق الشيخ محمد رضا المظفر ٤٥.

أو لا يكون كذلك، بل كل لفظ يكون له معنى مستقل، مثل اسم الأرض والسماء والباب والبيت.. الخ.

فكل لفظ له معنى مستقل ويسمى هذا اللفظ بالنسبة للفظ الآخر متباين، أي لفظ بيت يباين لفظ سيارة وهكذا.

والتباين باعتبار إختلاف معاني ألفاظه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: المثلان، المتخالفان، المتقابلان

القسم الأول المثلان

((هما المشتركان في حقيقة واحدة بما هما مشتركان، أي لوحظ واعتبر اشتراكهما فيها، كمحمد وجعفر، اسمين لشخصين مشتركين في الإنسانية بما هما مشتركان فيها))[1]

فالمثلان إن كانا مشتركين في النوع أي نوع الإنسان مثلاً، كما في محمد وجعفر وعلي، وصادق وموسى وغيرهم، فهم متماثلون في نوع الإنسان، ومشتركون في الإنسانية، وإن كان في نفس الأمر أن كل واحد مخالف للآخر في الصفات والخواص الأخرى، التي تخص كل فرد فرد عن صاحبه.

أما الحق سبحانه ليس له مماثل، لأنه ليس له مشابه من خلقه مطلقاً، لأنه ليس كمثله شيء

المتجانسان

وإذا أشتركا في الجنس سميا متجانسين، كما إذا اشترك الفرس والنملة والأسد والبعوضة وبقية الحيوانات في الحيوانية بحيث يصدق على كل واحدٍ منهم أنه حيوان، والحيوانية جنس للجميع، فيقال لهم أنهم متجانسون في الحيوانية، بحيث

---

(١) منطق المظفر ٤٦.

تكون الحيوانية الجنس هي الجهة الجامعة التي تجمعهم، ولما كان الجليل عزَّ وجلَّ ليس له مشابه انتفت مجانسته لغيره مطلقاً

المتساويان

إن كان الاشتراك بين جعفر ومحمد والفرس والبعوضة وغيرهم في الكم فهما متساوون في

الكم

قد عرف المعلم الثاني الفارابي أبو نصر محمد بن طرفان، وابن سينا الكم بأنه ((العرض الذي بذاته يمكن أن يوجد فيه شيء واحد يعده))[١]

أي كل شئ يمكن أن يعد بواحد إلى بقية الأعداد فهو كم، لأنه من كان له واحد فله اثنان إلى آخره

وهو ينقسم إلى قسمين:

الكم المتصل

هو بما يقبل الإنقسام إلى غير النهاية، مثل السطح والخط والعرض وهو ينقسم إلى قسمين

((قار وغير قار، القار هو الثابت المجتمع الأجزاء بالفعل كالسطح، وغير القار هو الذي لا تجتمع أجزاؤه المفروضة بالفعل كالزمان، فإن كل جزء منه بالفعل قوة للجزء التالي، فلا تجتمعان بالفعل، إذ فعلية الشيء لا تجامع قوته))[٢]

أي عند الفلاسفة الزمان من الكم غير القار ويعنون بذلك أنه لا يمكن أن يجتمع الزمان الماضي والحاضر بالفعل، مثلاً أمس لما ذهب لا يمكن أن يجتمع مع اليوم

---

(١) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٢٣ .

(٢) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٢٤ .

بالفعل، بمعنى أن أمس والقرون الماضية عدمت وفنت ولا يمكن رجوعها لأنها غير قارة، وهذا غير صحيح

أما عند الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته يقولون إن الزمان قار في خزانة الله تعالى وعلمه بالفعل، كما قال تعالى عن القرون الماضية وهي الزمان والمكان والأحداث لما سأل فرعون نبي الله موسى صلى الله على نبينا وآله وعليه السلام بقوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[١] أي الزمان والمكان موجود عند الله تعالى بالفعل، لذا يوم القيامة الله سبحانه يأتي بالأيام والليالي والسنين والشهور جلية واضحة كما قال رسول الله ﷺ ((والليالي والأيام والشهور شهوده عليه أو له))[٢] وهذا الأمر واضح في شهادة الأيام والليالي في روايات أهل البيت عليهم السلام كما في البحار والكافي وغيرهما من كتب الأحاديث.

والقار ينقسم إلى ((الجسم التعليمي وهو القابل للإنقسام من جهاته الثلاثة: العرض والطول والعمق

والسطح هو القابل للإنقسام في الجهتين: العرض والطول، والخط وهو القابل للإنقسام في جهة واحدة))[٣] الجسم التعليمي هو أيُّ جسم من الأنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد كالحجارة وغيرها، فكل جسم له أبعاد ثلاثة من الطول والعرض والعمق يسمى جسماً تعليمياً

والسطح بما هو سطح مجرداً عن الجسم بما هو جسم، ينقسم إلى قسمين العرض والطول فقط بدون العمق، لأنه مع العمق يكون جسما تعليمياً

والخط بما هو خط مستقيم ينقسم إلى جهة واحدة فقط وهي الطول

---

(١) سورة طه ٥١ـ ٥٢.

(٢) البحار ٧/ ٣١٥.

(٣) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٢٤.

الكم المنفصل

((هو العدد مبدؤه الواحد وهو عاد لجميع أنواعه))[١]

أي الأعداد من الواحد إلى مالا نهاية، ويدخل فيه الموزون بالكيلو وغيره، والمساحة بالمتر وغيره، بيد أن الباري سبحانه ليس له كم مطلقاً، لأن الكم من الأعراض والأعراض قائمة بالجوهر، والله عزَّ وجلَّ ليس بعرض ولا جوهر لأنه ليس كمثله شئ سبحانه

المتشابهان

فإن كان الاشتراك في الكيف مثل الحرارة والبرودة والصحة والسقم، سميا متشابهان، تقول الحمى تشبه النار في الحرارة وهكذا.

المتخالفان

((هما المتغايران من حيث هما متغايران))[٢] مثل الجدار وزيد والسماء والأرض، فالمتخالفان أيضاً يصدقان على المتماثلين من محمد وعلي فهما متماثلان في الإنسانية ومتخالفان في صفاتهما، فالتخالف أعم من التماثل، والجليل تعالى ليس متخالفاً لأن التخالف يقع في رتبة وصقع واحد يبد أن رتبة القديم مغايرة لرتبة الحادث مطلقاً، كما قال مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((كنهه تفريق بينه وبين غيره وغيوره تحيد لما سواه))[٣] فلا شئ من القديم بحادث ولا عكس، وثانياً المتغايران لا بد لهما من الإحاطة وإلا لا يمكن القياس بالتخالف والحق تعالى لا يحاط.

---

(١) نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي ١٢٥.

(٢) منطق المظفر ٤٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ٢٢٨.

المتقابلان

((هما المعنيان المتنافران اللذان لا يجتمعان في محل واحد، من جهة واحدة، في زمان واحد، كالإنسان واللا إنسان، والأعمى والبصير، والأبوة والبنوة، والسواد والبياض فبقيد وحدة المحل دخل التقابل بين السواد والبياض مما يمكن اجتماعها في الوجود كبياض القرطاس وسواد الحبر، وبقيد وحدة الجهة، دخل مثل التقابل بين الأبوة والبنوة مما يمكن اجتماعهما في محل واحد من جهتين إذ قد يكون شخص أباً لشخص وابناً لشخص آخر.

وبقيد وحدة الزمن دخل مثل التقابل بين الحرارة والبرودة مما يمكن اجتماعها في محل واحد في زمانين، إذ قد يكون جسم بارداً في زمان، ونفسه حاراً في زمان آخر))[1] والجليل سبحانه وتعالى ليس مقابلاً لغيره، لأن التقابل يكون في رتبة واحدة، وليس في رتبة الوجوب إلا الواجب تعالى، وكما أنه ليس مقابلاً لغيره، كذلك ليس مماثلاً ولامجانساً ولامشابهاً ولا مساوياً ولا مخالفاً لغيره فلو كان كذلك للزمه عدة محاذير وهي:

أولاً:

مشابهته بخلقه وهو تعالى ليس كمثله شيء

ثانياً:

أن تكون جهة المشابه التي تجمع القديم بغيره، إما قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة لزم تعدد القدماء، وإن كانت حادثة لزم تأثير الحادث بالقديم ووصوله إلى صقع القدم وهذا باطل عقلاً ونقلاً

ثالثاً:

أن تكون الجهة الجامعة بين القديم وغيره أعلى من المشتركين، كالإنسانية التي

---

(١) منطق المظفر ٤٧.

تجمع بين محمد وعلي وجعفر وباقر فالإنسانية أعلى منهم، ولا يجوز أن يكون شيء أعلى من الخالق عزَّ وجلَّ.

رابعاً:

أن تكون الذات والعياذ بالله تعالى مركبة مما ما به الاشتراك من التماثل أو التجانس أو التخالف أو غيرها، ومما به الأمتياز، كل يمتاز عن الآخر بصفاته الخاصة، وهذا يقتضي التركيب، وكل مركب حادث

إذن فرض وجود مماثل له سبحانه ـ والعياذ بالله تعالى ـ محال للزوم التركيب، وكونه مثل خلقه، بيد أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فليس له مماثل مطلقاً مما يدرك ومما لا يدرك، لأن جميع ما سواه مخلوق، والقديم الأزلي غير خلقه جل وعلا.

الفصل السّابع
﴿ليس كمثله شيء من خلقه مطلقاً﴾

إنّ مختصر الكلام في هذا المقام، أنّه كلّما ترى صفة من الصّفات الّتي هي صفة الممكن، ويجب أن يتّصف بها، وجب سلبها من الواجب تعالى، إذ عرفت أن الممكن فقير محتاج ذليل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة، وصفاته كلها صفات الفقر، وأما الواجب تعالى فهو غني مطلق وقوي عزيز، وجميع المخلوقات في قبضة قدرته ❁

❁ الحق تعالى غير خلقه

هنا يذكر السيد كاظم قدس الله نفسه المباركة قاعدة كليه وهي:

إن كل شيء اتصف به الممكن المخلوق من صفاته الخاصة به، يجب أن تسلب هذه الصفة من الحق تبارك تعالى، لأن الله سبحانه غير خلقه مطلقاً، فلا شيء من الخلق يصدق على القديم، ولا شيء من القديم يصدق على الخلق، كما نص على ذلك مولانا الإمام علي بن موسى الرضا أرواحنا لهما الفداء بقوله ((كنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه))[1]

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار ٤/ ٢٢٨.

أي حقيقة الله سبحانه غير خلقه مطلقاً، مما يعلم ومما لا يعلم، وغيوره تحديد لما سواه أي لما نقول مثلاً سمع وبصر وقدرة الله غير سمع وبصر وقدرة المخلوق، فهذه الغيرية لا تحدد وصف سمع وبصر وقدرة الله تعالى، بل تحدد وصف سمع وبصر وقدرة المخلوق خاصة.

وجميع صفاته صفات القدرة والقوة، فلا يمكنك أن تثبت للغني القوي القادر صفات الفقير العاجز وبالعكس، بل لا بد أن تثبت لكلّ واحد منهما ما يختص به من الصفات❁، وصفات الممكنات ممتنعة ومحال في حق الواجب تعالى، للزوم النقص والإحتياج، وكذلك صفات الواجب ممتنعة في حق الممكنات، فما في الممكن ليس في الواجب وبالعكس ❁❁

❁ صفات القوة للخالق والضعف للمخلوق

حيث إن الموجود لا يخلو من حالتين هما:

القديم الأزلي: وهو غير مسبوق بالغير مطلقاً، المتصف بجميع صفات الكمال والقوة، فعلمه بكل شيء الظاهر والباطن، وما تخفي الصدور على جميع ما سواه، وقدرته عامة مطلقة على كل شيء، فلا أحد من الخلق يستعظم على قدرته وهيمنته، فالكل في قبضته وتحت تصرفه من العرش إلى ما تحت الثرى وكذا بصره وسمعه وحكمته وأمره.....الخ

الممكن المحتاج: هو القسم الآخر وهو المحتاج في كل شيء من وجوده وصفاته، فهو الفقير الصرف، فليس في صفاته أو وجوده استقلال مطلقاً، قال تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1] كما أن الله سبحانه هو الغني مطلقاً، الممكنات والمخلوقات هم الفقراء مطلقاً

❁❁ ما في الممكن ليس في الواجب

كل صفه يتصف بها الممكن المخلوق ممتنع إثباتها للواجب تعالى، لأن صفات الممكنات صفات الضعف والفقر والإحتياج، وهذه الصفات منزه عنها الحق تعالى، وإلا لزم أحد أمرين

---

(١) سورة فاطر، آية (١٥).

الأمر الأول: التسلسل أي لو فرض اتصاف الواجب سبحانه بصفة من صفات المخلوقين، لزم احتياجه إلى الغير، وإذا فرض في الغير الإتصاف بصفة المخلوقين، لزم احتياجه وهكذا إلى مالا نهاية فيلزم التسلسل الباطل، أو يستند إلى غني مطلق، غير محتاج إلى أحد أبداً فيلزم المطلوب

الأمر الثاني: إن الخلق يرجعون في سد احتياجهم من الوجود والرزق والحياة والإماته وشؤنهم إلى غني مطلق، لا يحتاج إلى أحد أبداً، والغير يحتاج إليه وهو الله سبحانه وتعالى فيلزم المطلوب

وفي المقابل أن صفات الواجب أيضاً ممتنعة في حق المخلوقات الممكنات، وإلا لزم تعدد القدماء أي لوفرض اتصاف الممكن المخلوق بصفات القديم الأزلي، لزم قدمه واستقلاله فيصبح إلهاً، وإذا كان إلهاً يكون كل الممكنات آلهة قديمة، فيقتضي تعدد القدماء، وهو باطل كما تقدم

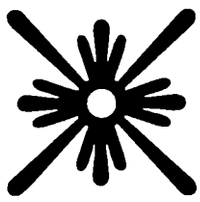

فظهر أن جميع ما تتصور من صفات الممكنات، كالجسم، والجوهر، والعرض، والكم، والكيف، والمكان، والإمكان، والزمان، والقوة، والفعل، والأبوة، والبنوة، واللطف، والغلظة، والتوالد، والتناكح، والتناسل، والإتحاد، والمواخاة، والنوم، والغفلة، والتجويف، والأكل، والشرب، والآلات، والأعضاء، والجوارح، والملبوس، والمشروب، والجهل، والعجز، والغرابة، وأمّا الذّات والحقيقة فلا اختلاف بينهم فيها، فإذا سئلت عن حقيقة زيد وعمر وخالد يقال في الجواب إنسان فهي حقيقة مشتركة بينهم، وهم متفقون وموافقون في تلك الحقيقة، فكل واحد من هؤلاء المماثلين مركب من شيئين:

الأوّل: الحقيقة المشتركة بين الكلّ.

الثّاني: الهيئات والحدود الّتي يمتاز بها كل واحد عن الآخر، ويختص باسم مخصوص، وليس لله سبحانه حقيقة مشتركة، وإلاّ لزم أن يكون مركّباً من الحقيقة والهيئات والحدود المميزة والمشخّصة، كما عرف في المثال المذكور، فثبت أن ليس له مماثل❁

❁ الحق تعالى لا يماثل أحداً

تقدم الكلام عن التماثل بين شخصين أو أكثر، في اشتراكهم في جهة وافتراقهم في جهات، كاشتراك محمد وعلي وحسن وحسين وجعفر وموسى في الإنسانية، بحيث يصدق عليهم جميعاً أنهم إنسان، ويشتركون في الإنسانية، ويمتاز كل واحد منهم بصفاته الخاصة من: الكم والكيف والجهة والرتبة والمكان والزمان والجهة، وغير ذلك من السواد والبياض والطول والقصر، فكل ما نعرفه ونتصوره بأذهاننا إذا قارنا بين شخص وآخر يظهر لنا أمران:

الأمر الأول نتفق فيه، والأمر الآخر نختلف عنه

فنحن مركبون من جهتين، جهة اتفاق وهو الإنسانية، وجهة اختلاف وهو صفاتنا الخاصة بنا الكثيرة، فلو كان الحق تبارك وتعالى يوجد فيه تماثل بينه وبين غيره ولو في الوجود، أي لو قلنا إننا نماثل الحق جلَّ وعزَّ في الوجود، فكما يصدق علينا أننا موجودون، كذلك الله تعالى موجود فوجوده مثل وجودنا، كما يقول به الأكثرية من الفلاسفة، ويمتاز كل واحد منا بصفاته الخاصة قال الملا صدرا في عرشيته ((إن تخصيص أفراد الوجود وهويّاتها بماذا على سبيل الإجمال، أعلم أنّك قد علمت أنّ الوجود حقيقة نوعيّة بسيطة لا أنّه كلّى طبيعي يعرض لها في الذّهن أحد الكليّات الخمسة المنطقيّة إلاّ من جهة الماهيّة المتّحدة بها إذا أخذت من حيث هي هي، فإذن نقول تخصيص كلّ فرد من الوجود إمّا بنفس حقيقته كالوجود التامّ الواجبي جلّ مجده، وإمّا بمرتبة من التقدّم والتأخّر والكمال والنّقص كالمبدعات، وأمّا بأمور لاحقة كأفراد الكائنات))[1]

فرد عليه الشيخ الأوحد الشيخ أحمد الأحسائي بقوله

((وقوله فإذن نقول تخصيص كلّ فرد من الوجود، إمّا بنفس حقيقته كالوجود التامّ الواجبي جلّ مجده، صريح بأنّ الوجود الواجب تعالى ربّى فرد من أفراد تلك الحقيقة، وتلك الأفراد تميّز بعض أفرادِها عن بعض تعيّناتها، وهو عزّ وجلّ لشدّة تماميّته وغناه المطلق عن كلّ ما سواه كان تعيّنه بنفسه، لاستغنائه عمّا سواه، وقد تتعين بعض أفرادها بخصوص مرتبة ((مرتبته خ ل)) من التقدّم والتأخّر والكمال والنقص، أي بتأخّرها عن رتبة من لا يتناهى سبقه، وتقدّمها على من يتناهى، وكمالها بالنّسبة إلى من دونها، ونقصها عن الكمال المطلق الّذي لا يحتمل النّقصان بوجه، لا من ذاته ولا بالنّسبة إلى غيره

فبهذه الاعتبارات خاصّة تعيّنت لبساطتها وعدم حاجتها إلى تكميل وتتميم من غير مفيضها، كالمبدعات الكليّة الأوّلية الّتي لا ينتظر بكمالها شيئاً لتجرّدها عن

---

(١) شرح المشاعر للشيخ أحمد الإحسائي ٣٤٤ ط كرمان.

الاستعدادات والاضافات، ولهذا قد تشارك الواجب في بعض ما تفرّد ((تقرّر خ ل)) به كما ذكره المصنف في أوّل هذا الكتاب، في قوله ومسألة أنّ البسيط كالعقل وما فوقه كل الموجودات

يشير إلى ما يأتي بعد في هذا الكتاب، ومراده أنّه والواجب في غاية البساطة، وبسيط الحقيقة كلّ الأشياء، وقد يكون بعض أفرادها كسائر أفراد الكائنات، يعني غير المجرّدات كالعقول، يعني تتعيّن تلك الأفراد بأمورٍ غير هويّاتها تلحقها وترتبط بها، وبها يتميّز بعضها عن بعض، وتلك الأمور هي الأمور المشخصات لسائر الأشخاص، والمنوّعات لسائر الأنواع، والمجنّسات للأجناس، فحقيقة الوجود بسيطة واحدة، تتمايز أفرادها بثلاثة مشخصات: الفرد الأكمل هو الواجب يتعيّن بذاته خاصّة لشدّة كمال غنائه، والمبدعات كالعقول تتعيّن بنفس مراتبها بالنّسبة إلى بعضها من التقدّم والتأخّر، والكمال والنّقص، وسائر أفراد الكائنات بما يلحقها من الحدود والنّسب والأوضاع، وما أشْبَه ذلك

وأقول وأنت إذا طلبت الحقّ وتفهّمتَ هذا الكلام تبرّأتَ من هذا المذهب، والاعتقاد المبني على الإشتراك المعنوي في الوجود، لأن هذا هو القول بوحدة الوجود، . . . والحقّ الحقيق بالاتباع هو أنّ وجود الله سبحانه وحده لا شريك له، ولا يدخل في عموم، ولا يدرك له مفهوم، ولا يعرف أحد من خلقه شيئاً ممّا هو عليه، إلا بما دلّ على نفسه على ألسن أنبيائه وحججه عليهم السلام))[1]

وعلى ذلك التركيب للحق تعالى مما به الاشتراك في الوجود على حسب الفرض، ومما به الامتياز كل يمتاز عن الآخر بصفاته الخاصة، وكل مركب محتاج، وكل محتاج حادث مخلوق.

إذن الحق تعالى ليس له مماثل حتى في الوجود كما تقدم في الفصل السابق، نعم الله عزَّ وجلَّ موجود لكن وجوده عين ذاته، وذكر هنا أنه ليس له تماثل، مع ذكر التماثل من قبل للتأكيد من المؤلف

---

(١) شرح المشاعر للشيخ أحمد الإحسائي ٣٠٠ ط كرمان.

وأمّا المجانس وهو المشابه في الجنس، فهو بعينه كالمماثل، ويعرف الفرق بينهما من له يد في علم المنطق لا تفيد معرفته للعوام فائدة مثمرة، وإنّما وضع هذه الرسالة لفهم العوام، ومفسدة كليهما واحد، إذ ليس له جنس يعني حقيقة مشتركة بينه وبين غيره، وإلاّ لزم التركيب، وهو نقص إذ يلزم من التركيب الإحتياج، إذ المركب يحتاج في تركيبه إلى الأجزاء، والإحتياج صفة الممكن، فالواجب تعالى شأنه ليس بمحتاج، فلا يكون له مجانس ❁.

❁ ليس للحق تعالى مجانس

التجانس هو عبارة عن الاشتراك في الجنس، والجنس هو المكون للنوع، تقول مثلاً في تعريف الأسد بأنه حيوان زائر، والفرس بأنه حيوان صاهل، والديك بأنه حيوان صائح، والكلب بأنه حيوان نابح. . . . . الخ

فالنوع مثل الأسد والفرس والديك والكلب، والجنس مثل الحيوان الذي يشترك معه غيره بحيث يشترك في الحيوان كل هذه الأنواع من الأسد وغيره، أما الزائر والنابح والصائح إلى أخرها يقال لها الفصول كما هو مبين في علم المنطق، فبين الأسد والفرس والكلب والديك اشتراك في الجنس وهي الحيوانية، أي كلهم حيوان ويمتازون بالفصول، من الزائرية والنابحية والصائحية. . . . . الخ

فلو كان للحق تعالى مجانس أي يلتقي مع خلقه في جهة من الجهات تجمعهم، للزم تركيبه من جهة الجنس، واختلافه من جهة الفصل على حسب الفرض، وكل مركب محتاج إلى أجزائه، وكل محتاج مخلوق ضعيف، و بطلان التجانس نفس محذورات التماثل فراجع.

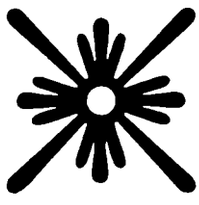

وأمّا أنّه ليس لله مساوي، فلأن المساواة هي الموافقة في الكم، والكم عرض قائم بالجسم، كالطول والعرض والعمق، فالشيئان الموافقان فيها يسميان بالمتساويين، وإن لم يتساويا فيها فبالمتفاوتين

وأمّا الواجب تعالى فما ذكر محال فيه، لما قلنا إنّه لا يحله عرض، وليس له طول وعرض وعمق، فليس له مساوي ❁.

وأمّا أنّه ليس للواجب تعالى مطابق، فلأن المطابقة هي الموافقة في الوضع، والوضع هو نسبة شيء لشيء، سواء كانت النسبة بين أجزاء الشّيء، أو بين الأجزاء وأمر خارج، وهو أيضاً من الأعراض، والعرض لا ينبغي له سبحانه❁❁

❁ ليس للّه سبحانه مساوي

المساواة كما تقدم هي الموافقة في الكم، والكم عرض كما عرف من قبل تقول مثلاً: أنا مساوي علياً في طوله، ومساوي محمداً في عرضه، وهذا الإناء يساوي هذا الإناء في العمق، فإن كان بينهما موافقة في الطول والعرض والعمق فهما المتساويان، وإن لم يكن بينهما مساواة أي اختلف طول أو عرض أو عمق أو وزن أو مساحة أحدهما عن الآخر فهما متفاوتان، والتفاوت أيضاً من الكم الذي هو عرض من الأعراض يحل في الجسم

فالواجب تعالى ليس له مساوي، لأنه ليس كمثله شيء، فلو كان له مساوي، للزم تركيبه من نفسه وذاته ومن العرض القائم به وهو الكم، فيكون مركباً محتاجاً مخلوقاً.

وثانياً: إن هذا الكم لا يخلو إما أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان قديماً تعدد القدماء

وإن كان حادثاً لزم تأثر القديم بالحادث، أو وصول الحادث إلى صقع القدم، وهذا محال عقلاً ونقلاً، لأنه لا توجد نسبة بين القديم والحادث المخلوق بوجه من الوجوه

❁❁ الحق تعالى لا يطابق خلقه

قبل البدء في هذا البحث، يحبذ أن نقدم مقدمة منطقية، ذكرها المناطقة في كتبهم، حتى يستفيد القاريء الكريم من البحث وهي:

الدلالة: من مباحث علم المنطق الدلالة، والدلالة تعني ((كون الشيء بحيث يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والأول هو الدال، والثاني هو المدلول))[1]

وشرح هذا التعريف هو أنك إذا كنت جالساً في البيت، ورأيت أشعة الشمس، علمت أن الشمس قد طلعت وإن لم تر قرص الشمش، فالأشعة يقال لها دال والشمس مدلول، وهذه الحالة يقال لها دلالة.

أقسام الدلالة

تقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام وهي:

١ ـ الدلالة العقلية

((وهي فيما إذا كان بين الدال والمدلول، ملازمة ذاتية في وجودها الخارجي، كالأثر والمؤثر، فإذا علم الإنسان ـ مثلاً ـ أن ضوء الصباح أثر لطلوع قرص الشمس، ورأى الضوء على الجدار ينتقل ذهنه إلى طلوع الشمس قطعاً، فيكون ضوء الصبح دالاً على الشمس دلالة عقلية، ومثله إذا سمعنا صوت متكلم من وراء جدار نعلم بوجود متكلم ما.

٢ ـ الدلالة الطبعية

وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين ملازمة طبعية، أعني التي يقتضيها طبع الإنسان، وقد يتخلف ويختلف باختلاف طباع الناس، لا كالأثر بالنسبة إلى المؤثر الذي لا يتخلف ولا يختلف

---

(١) جوامع الكلم للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ٦٠٢، وكذا عرفت الدلالة كل كتب المنطق الأخرى.

وأمثلة ذلك كثيرة، فمنها اقتضاء طبع بعض الناس أن يقول: (آخ) عند الحس بالألم، و(آه) عند التوجع، و (أف) عند التأسف والتضجر، ومنها اقتضاء طبع البعض أن يفرقع أصابعه أو يتمطى عند الضجر والسأم، أو يعبث بما يحمل من أشياء أو بلحيته أو بأنفه أو يضع أصبعه بين أعلى أذنه وحاجبه عند التفكر، أو يتثاءب عند النعاس. . . .

فإذا علم الإنسان بهذه الملازمات، فإنه ينتقل ذهنه من أحد المتلازمين إلى الآخر، فعند ما يسمع بكلمة (آخ) ينتقل ذهنه إلى أن متكلمها يحس بالألم، وإذا رأى شخصاً يعبث بمسبحته يعلم بأنه في حالة تفكير. . . . وهكذا))[1]

٣ ـ الدلالة الوضعية

وهي عبارة عن دلالة الألفاظ على معانيها، مثل دلالة لفظ السماء على معنى السماء، والأرض على معنى الأرض، والباب على معنى الباب، والماء على الماء والبيت على البيت، أو دلالة علامة إشارات المرور أو الرموز العلمية أو غيرها

واضع اللفظ للمعنى

هنا بحث أصولي وهو من واضع اللفظ على معناه؟ ذهب بعضهم إلى أن الواضع هم الناس الأوائل، والأصوب هنا أن الواضع هو الله تبارك وتعالى كما ذهب إليه الشيخ أحمد الإحسائي وغيره، واستدلوا على ذلك بقوله سبحانه ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2] فهذه الآية واضحة أن الواضع هو الله سبحانه وتعالى

العلاقة بين اللفظ والمعنى

اختلف المناطقة والأصوليون في معنى دلالة اللفظ على معناه، بعض منهم قال تنشأ العلاقة بين اللفظ والمعنى من باب التواضع واصطلاح الناس بعضهم مع بعض،

---

(١) منطق المظفر ٣٦.

(٢) سورة البقرة ٣١.

كما ذهب إلى هذا الشيخ محمد رضا الظفر رحمه الله بقوله ((الدلالة الوضعية: وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين، تنشأ من التواضع والاصطلاح، على أن وجود أحدهما يكون دليلاً على وجود الثاني، كالخطوط التي اصطلح على أن تكون دليلاً على الألفاظ، وكإشارات الأخرس، وإشارات البرق واللاسلكي والرموز الحسابية والهندسية، ورموز سائر العلوم الأخرى، والألفاظ التي جعلت دليلاً على مقاصد النفس))[١]

والبعض يقول ويفترض ((إن العلاقات اللغوية بين اللفظ والمعنى نشأت في كل لغة على يد الشخص الأول أو الأشخاص الأوائل الذين استحدثوا تلك اللغة وتكلموا بها، فإن هؤلاء خصصوا ألفاظاً معينة لمعان خاصة، فاكتسبت الألفاظ نتيجة لذلك التخصيص علاقة بتلك المعاني، وأصبح كل لفظ يدل على معناه الخاص، وذلك التخصيص الذي مارسه أولئك الأوائل، ونتجت عنه الدلالة يسمى بـ (الوضع)، ويسمى الممارس له (واضعاً)، واللفظ (موضوعاً)، والمعنى (موضوعاً له)))[٢]

العلاقة بين اللفظ والمعنى على سبيل التكرار

ويرى السيد محمد باقر الصدر رحمه الله بقانون العلاقة بين اللفظ والمعنى على سبيل التكرار كما يقول ((والقانون العام هو أن كل شيئين، إذا اقترن تصور أحدهما مع تصور الآخر، في ذهن الإنسان مراراً عديدة، ولو على سبيل الصدفة، قامت بينهما علاقة وأصبح أحد التصورين سبباً لانتقال الذهن إلى تصور الآخر))[٣]

المناسبة بين اللفظ والمعنى ذاتية

والبعض قال إن المناسبة بين اللفظ والمعنى مناسبة ذاتية فمن القائلين بذلك

---

(١) منطق المظفر للشيخ محمد رضا المظفر ٣٦.

(٢) الحلقة الثانية للسيد محمد باقر الصدر ٧٧.

(٣) الحلقة الثانية للسيد محمد باقر الصدر ٧٨.

((عباد بن سليمان الصيمري وعلماء التكسير من أهل الجفر وأهل الهيمياء وبعض المعتزلة وغيرهم إلى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة ذاتية، بسببها نشأت دلالة اللفظ على المعنى))[١]

فهؤلاء المذكورون من القائلين بالمناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى، وهذا القول بالمناسبة الذاتية رفضها أغلب المناطقة والأصوليين، إلا أنه القول المنصور عند جماعة من العلماء، منهم الشيخ أحمد الأحسائي وأعلام مدرسته.

رأي الشيخ أحمد الأحسائي في المناسبة الذاتية

على قلة القائلين بالمناسبة الذاتية، بين اللفظ والمعنى من علماء الأصول واللغة، إلا أن الشيخ أحمد الأحسائي قدس الله نفسه وأعلام مدرسته يقولون بالمناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى، ويستدلون عليها بالأدلة العقلية واللغوية والشرعية على مطلوبهم.

ولنذكر هنا كلام الشيخ أحمد الأحسائي في المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى، مع أدلته من كتابه جوامع الكلم، ليعلم الآخرون نص كلامه، لأن الأكثر يسمع ولم يقرأ، فهنا نحب أن نضع النقاط على الحروف، وإن أطلنا الكلام لتعم الفائدة للجميع قال الشيخ أحمد الأحسائي ((وأقول إن الأصح ما ذهب إليه أهل المناسبة، لما ذكرنا في المسألة الرابعة، من الإشارة إلى أسماء الأصوات، واشتقاقات بعض الكلمات، فإن كثيراً من المعاني تظهر فيها المناسبة، كالخضخضة والطنطنة وكالغليان والنزوان وغير ذلك، فتجد فيها صورة تشابه حركة مسماها، وحروفاً تناسب أصواتها أصوات مسماها، بحيث لو سمعها من لم يكن عالماً بالوضع، وقيل له في مسمى الخضخضة، ما اسم هذه؟ أخضخضة أم (مرحلة) مرجلة مثلاً، لقال الأولى أن يسمى خضخضة، ولا يناسب أن تسمى مرجلة (مرحلة)، وهذا شيء يعرف بالطبع والعقل، وليس لذلك دليل إلا ما تدركه الفطنة من المناسبة، قال الأكثر لو دلت الألفاظ

---

(١) جوامع الكلم للشيخ أحمد الأحسائي ٦/ ٢٣١.

بالذات، لامتنع اختلافها باختلاف الأمم في الأصقاع والأزمان، ولاهتدى كل أحد إلى وضع وهو معلوم البطلان، ولأنا نعلم بالضرورة أن لو وضعنا لفظ الكتاب لمعنى النار وبالعكس أمكن ودلت اللفظتان كما دلتا في اللغة!!!

والجواب أن نقول إن المناسبة لا نريد منها خصوص المناسبة الشخصية، بل قد تكون مناسبة نوعية، كمناسبة الإنسان لزيد وعمرو، أو جنسية كمناسبة الحيوان لزيد والفرس، بل لا نريد منها ظاهراً إلا مطلق الصلوح الذاتي للمسمى في المادة والهيئة، فإذا أخذت حروفاً أو لفظاً، ولذلك المأخوذ صلوح نوعي أو غيره من جهة مادته لمادة معنى أو معان متكثرة، كان وضعه مع الهيئة الشخصية الوضعية أو الاستعمالية المناسبة لهيئة المسمى دالاً بالذات على المسمى، لأنا لا نريد بالمناسبة الذاتية بينهما إلا صلوح اللفظ بمادته وهيئته لمشاكلة المعنى بمادته وهيئته، سواء كان ما من المادة شخصياً أم نوعياً أم جنسياً، وأما صلوح هيئة اللفظ لهيئة المعنى، فنعتبر شخصية الإرتباط بينهما، وإن كان للفظ هيئة نوعية أو شخصية بحيث يصلح بعض أفرادها لمشاكلة بعض هيئات بعض المعاني، كالحيوان الصالح للإنسان والفرس، فإنه مشتمل على حصص كل حصة صالحة لكل نوع من أنواع الحيوان في الجملة، كحصص الخشب الصالحة للسرير والباب والسفينة والصندوق، وإنما تتمايز الأنواع بالصور فإذا أخذت حصة من الحيوان، ولفظها حيوان، وضممت إليه لفظ ناطق، الذي مدلوله في الإنسان هو الهيئة الإنسانية، بمنزلة هيئة السرير فيه دل على الإنسان، وإن ضممت إليه لفظ صاهل الذي مدلوله في الفرس، هو الهيئة الفرسية كذلك دل على الفرس، فالحيوان مادة الكل الصالحة لكل من الأنواع بالهيئة الوضعية المناسبة لهيئة الموضوع له، فحيوان مع ناطق يصلح للإنسان و لا يصلح للفرس ومع صاهل يصلح للفرس، ولا يصلح للإنسان، وذلك لخصوص الهيئة النوعية بالنوع، ويصلح أحدهما للآخر في الهيئة الجنسية، لأنها لا تنافيها النوعية، كما أن الشخصية لا تنافي النوعية

ثم لما كانت المواد تصلح للذوات المختلفات بالهيئات المناسبة لها، فإنها هي الماهيات الأولى (الأول)، ومع اجتماع حصة منها بهيئتها تحصل الماهية الثانية التي

هي الحقيقة، كانت الألفاظ كذلك مع هيئاتها لتساوي مراتب الوجود في الأكوان والأعيان والتكونات، فمن عرف واحداً عرف الآخر

وبيان ذلك أن المناسبة من جهة المادة، فلصلوحها للمختلفات من المعاني في ساير اللغات، وأما المناسبة بالهيئة الخاصة بالمعنى الشخصي، فلأن الهيئات كثيرة حتى للمعنى الواحد

فأهل هذه اللغة مثلاً يأخذون مادة من اللفظ لها صلوح مع هيئة من هيئات اللفظ لمناسبة ذلك المعنى المخصوص، فيدل عليه لمناسبة مادته لمادة المعنى، وهيئته لهيئته، ولمناسبة حقيقة اللفظ لحقيقة المعنى، وأهل اللغة الأخرى مثلاً يأخذون تلك المادة بعينها، ويصورونها بتلك الصورة لذلك المعنى، فيكون من توافق اللغتين، أو يصورنها بصورة أخرى تناسب هيئة أخرى لذلك المعنى، لأن له هيئات متعددة، والواضع يأخذ الهيئة التي تحضر أمام نضره، حال التصور للوضع، وترجيحها دون غيرها من الهيئات بموافقتها لطبع أهل تلك اللغة، مثلاً كالدلو فإن له هيئات متعددة مثلاً: له استدارة وله عمق وله هيئة كالكرة الناقصة أو كالأسطوانة، أوكالمخروط الناقص، أوكقطعة الكرة وغير ذلك، وله هيئات مستفادة من الجلود، وهي لونه أو لينه أو عدم انكساره كالخزف أو غير ذلك

فنظر واضع لغة العرب إلى هيئة من هيئاته، تناسب تقديم اللام على الواو، فقال: دلو، لأن ذلك مناسب للطبع العربي

ونظر واضع لغة العجم، إلى هيئة أخرى من هيئاته تناسب تقديم الواو على اللام، فقال: دول، لأن ذلك مناسب للطبع العجمي، أو يصورون تلك المادة بالهيئة الأولى، لمعنى غير معنى الأول، بل قد يكون نقيضه، إذا لحظ الواضع حال الوضع هيئة من هيئات المعنى الثاني، توافق هيئة اللفظ الأولى كالمعنى الأول، لأن الوضع بإزاء المعنى لتعيين الغرض منه، وهو قد يختلف باختلاف طباع أهل اللغات، كما يختلف الغرض من المربع المستطيل، فقد يلحظ جهة العرض منه، ولا يلتفت إلى الطول، فينظر مقدار الضلعين القصيرين المتقابلين، وقد يلحظ الطول فينظر (فيقدر خ) مقدار الضلعين الطويلين، والتعيين إنما هو للشيء من جهة ما يراد منه لا من كل

جهاته، وهو من المناسبة الذاتية، وإذا نظرت إلى صنع الله سبحانه، رأيت أن الشيء الواحد قد يناسب شيئين متضادين مناسبة ذاتية، كالهواء مثلاً، فإنه يناسب النار مناسبة ذاتية بحرارته، ويناسب الماء مناسبة ذاتية برطوبته، وكذلك اللفظ الواحد للمتناقضين والمتضادين بجهتيه أو بجهة واحدة، إذا كان الغرض المقتضى للتعيين الذي لأجل الوضع فيهما واحد، كالقرء للحيض والطهر وعسعس الليل، وكالجون للأبيض والأسود، فإن الوضع في الأول لما يستبرء به الرحم، وهو حاصل في الحيض والطهر، والثاني لحركة الميل التدريجية السيالة، فإنها واحدة في الإقبال والإدبار، وأما في الثالث فإنه للخالص عن الشوب من البياض والسواد، وإنما أختص بهما دون خالص الحمرة والخضرة وغيرهما، لحضور أحدهما في ذهن الواضع والمخاطب عند ذكر الآخر، فهو أخص من لفظ خالص، فكان للواضع نظران إليهما نظير باعتبار تضادهما وتغايرهما، فوضع أبيض وأسود، ونظر باعتبار اجتماعهما في الذهن أبداً، وتساويهما في الخلوص الخاص، فوضع جوناً للأبيض بلحاظ الأسود، وللأسود بلحاظ الأبيض

أوإن واضع اللغة الثانية يأخذ مادّة غير ما أخذ الواضع الأول، لأن هذه المادة أيضاً لها صلوح لهذا المسمى أيضاً، أو عند آخرين، ومثال ذلك كالخشب، فإنّ له صلوحاً للسرير مع الهيئة المخصوصة، ولا يختص بالخشب بل يمكن من الحديد والذهب والفضة، وسائر المعادن المنطرقة والمتماسكة، كالياقوت وساير الأحجار، والنجار الذي هو نظير الواضع فيما نحن فيه متعدداً كان أم متحداً، يعمل السرير من المادة التي اعتاد بها أهل السرير أو أرادوا، وكلها تصلح في نفس الأمر للسرير بالهيئة التي تناسب لهم من العلو والقصر، والسعة والضيق، والتحجي وعدمه، وكلها هيئات السرير، والمادة التي لا تصلح للسرير كالماء، فإنه لا يصلح لذلك، والهيئة التي لا تصلح للسرير كهيئة الكرة أو المخروط، وكلما أشرنا إليه على اختلاف المواد والهيئات، تحصل منه المناسبة الذاتيّة لكل معنى بكلّ لغة، كما نبهناك عليه

وليس المخصص تخصيص الواضع بغير اللفظ، بل التخصيص من الواضع إنما هو بالمواد والهيئات المناسبات للمعنى، كما لو كان عندك صندوق فيه بيت ـ

وبيت مستدير، وإذا أردت أن تضع في كل واحدٍ منهما شيئاً من معمولاتك، بحيث يستقر في البيت كالمعنى في اللفظ (ولا يضطرب في اللفظ خ)، كاللفظ إذا استعمل في معنى لا يناسبه، فإنك تضع شيئاً مربعاً وشيئاً مستديراً، فإذا أراد الغير أن يضع كل واحد في بيت من الصندوق، دلّته هيئة المربّع، على أنّ المناسب له أن يوضع في البيت المربّع، فإن وضعه في البيت المستدير اضطرب ولم يستقر، وكذا المستدير، ولم يحصل الاستقرار والمناسبة حتى يضع المربع في المربع، والمستدير في المستدير، وليس ذلك إلا للمناسبة وعدمها فافهم

فظهر الدليل (دليل خ) الحق على خلاف رأي الأكثر، وبطل ما كانوا يعملون.

[المناسبة الذاتية للأسماء]

وأما في أسماء الأعلام وبيان المناسبة فيها، فكذلك إلاّ أن الهيئة الوضعية الشخصية تكون نوعية بالنسبة إلى كل الأعلام، فتكون مادة اللفظ وهيئته معاً مادّة نوعية صالحة لكل واحد بالهيئة الاستعمالية الشخصية، فإذا أضفتها إلى مادة دل كما قلنا، والاستعماليّة وضعية النوع كعلاقة المجاز، ويأتي التمثيل لها فيما بعد

وأما قول الأكثر أنّ لو كانت دلالة اللفظ بسبب المناسبة الذاتيّة، لما صح وضع اللفظ الدال على معنى بالمناسبة الذاتية لنقيضه أو ضاده إلى الخ.

فجوابه أنّا نقول بالمناسبة، ولا ينافيه وضع اللفظ الواحد لنقيضين، إذ يجوز أن يجمع النقيضين مناسبة، فيوضع لفظ لهما يطابقهما، والمناسبة قد تكون نوعية، وقد تكون شخصية في المادة أو في الصورة، كالعين اسم للناظرة، والجارية، والذّهب مثلاً، فإنّ الباصرة هي منبع الإبصار، وإدراك المرئيات الذي فيه تدبير الحيوة في المرئيات، على ما حقّق في علم الحقيقة

فهي عين ذلك وحقيقته، وفيها نوع استدارة من جهة الصورة ومن جهة الإدراك، والجارية هي منبع الماء، الذي هو حيوة الأشياء، وبه حفظ تدبيرها، لأنه أثر العلم، وفيها نوع استدارة من جهة الصورة، ومن جهة فعل الماء في النباتات وغيرها، والذهب هو منبع طبائع المعادن، وبها حياتها وبقاؤها، وهو سر الشمس التي بها بقاء الأشياء على ما حقق في علم الصناعة

وفيه نوع استدارة من جهة تساوي أجزائه في الثبات والبقاء والوزن والصبغ، ومن جهة استواء أثره بالنسبة إلى المعادن، لأنّه قطبها الذي تدور عليه، فكان بين هذه تشابه من جهة المادة والهيئة الصورية والمعنوية، وكل من هذه إسمه عين مثلاً، فالعين يشار بها إلى العلم، الذي هو الماء الذي به حياة كل شيء، فهو مناسب للمسميات الثلاث، والياء يشار بها إلى اللين الموجود في الثلاثة، والنون يشار بها إلى العين الذي هو الذات، وإلى ما منه مدد لغيره كهذه المسميات

فهذه الحروف الثلاثة فيها أيضاً نوع استدارة، وفيها مشابهة في معناها، وصورتها للمسميات الثلاثة في المادة والصورة نوعية وشخصية، ولا تستغرب ما أشرنا إليه من جهة المناسبة، لأن الواضع إنما نص على التخصيص بالتعيين لغرابة المشابهة والمناسبة، لأن المناسبة قد تكون بين المواد، وقد تكون بين الصور، وقد تكون بين الجميع، وكذلك وضع عسعس الليل إذا أدبر أوأقبل، لأن إقبال الليل سيال بالتدريج لا بالتنقل والإدبار، كذلك فناسب عسعس لهما لأن عين عسعس حرف مجهور، يدلّ على عدم خفاء في الإقبال والإدبار، والسّين حرف مهموس يدل على خفاء ابتدائهما، وتكرير الحرفين يدلّ على كونهما سيّالين لا منتقلين، وصفير السّين يدلّ على هيئة سيره في الإقبال والإدبار، وبالجملة قد تجمع الضدين مناسبة واحدة، كما في الإقبالّ والإدبار في اللّيل من السّير السّيال، فيوضع الاسم مناسباً للحالة الجامعة للضّدين، مثلاً فلو لم يكن بينهما مناسبة في حال ما، لم يوضع اسم واحد لهما، ولمّا كان الضّدان أو النقيضان أو المتخالفان لا بدّ وإن يحصل لهما أو لأحدهما مائز يميّز أحدهما من الآخر، فإن وضع لكلّ واحد اسم غير الاسم الآخر فحسن، وإن وضع لهما اسم واحد فالمتكلم الحكيم إن أراد بالخطاب به تنبيه المخاطب، واستعداده وتهيئته للتكّليف، اكتفى بالاسم نفسه، وإن أراد التكّليف بأحد معنييه على التعّيين في وقت الحاجة قرن إليه قرينة تعيّن المراد، فيكون بتلك المادة والصّورة المركبّة دالاً على المعنى المعيّن، وبيان ذلك كما ذكر في المسألة السابقة

فقولهم بامتناع وضعه لضدّ معناه أو نقيضه، فإما أن يدلّ على الثّاني أو لا، فإن كان الأوّل لزم اجتماع الضّدين أو النّقيضين في الاسم الواحد، لأنّ مناسبة اسم

لمعنى ضّد مناسبة ضّده، وكذا في النّقيضين، وإن لم يدلّ لزم تخلّف ما بالذآت، منقوض بما بيّناه من أنّ الضّدّين قد تجمعهما حال، وإن افترقا في حال آخر، به يحصل التّضاد، وكذا في النقيض ومناسبة الاسم للحال الجامعة، ويكون بذلك دالاً

فإن قالوا لا تعقل الدّلالة بهذا النحّو

قلنا : إن أردتم بعدم المعقوليّة عدم حصول المناسبة في الاسم لنقيضين، لتناقض المناسبة، قلنا قد ذكرنا جواز حال للمتناقضين تجمعها هي مناط المناسبة في الاسم لهما، وإن أردتم بعدم المعقوليّة عدم فهم الدّلالة

قلنا المانع غرابة المناسبة ودقّة المأخذ، وذلك لا ينافي وجود المناسبة، وإرادة الواضع المتعلّقة بجعلها دالّة، وإن لم ندركها كما هو شأن كثير من الأمور والأحكام للمعتقدات التّي لا تدرك مأخذها، وإن أردتم بعدم المعقوليّة، أنّها لا تعيّن، قلنا كذلك ما تدّعون أنتم من أنّ المخصّص هو إرادة الواضع، إذ هي لا تعيّن إلا بالتّنصيص، فإذا قلتم إنّ الدّالّ هو الوضع، والمخصّص هو الإرادة، والمعيّن هو التّنصيص، قلنا الدّالّ هو المناسبة الموضوعة، والمخصّص هو الإرادة بالمناسبة لا الإرادة وحدها، فإن الواضع لمّا أراد التّخصيص خصّص بالمناسبة، لأنّ ذلك هو شأن الحكمة والاقتدار البالغ، والمعيّن هو التّنصيص

فأيّما أقرب قولكم الدّالّ هو الوضع، أم قولنا الدّالّ هو المناسبة الموضوعة، على أنّه لولا المناسبة الموضوعة، لقبح من الحكيم القادر العليم التّخصيص بدون مخصّص، فإنّه ترجيح من غير مرّجح وهو محال، وقولكم إنّا لا نقول بالتّرجيح من غير مرجح، وإنّما نجوز التّرجّيح (الترجح) من غير مرجّح

جوابه أن التّرجّح من غير مرجّح، وإنّ أمكن لكنّه لا يحسن هنا، لأنّ التّرجّح يجري في نادر الأفعال لا في جميع الأحوال

وقولكم هذا يلزم منه أنّ جميع الأسماء مع جميع المسميات هكذا، وهذا طريق الإهمال، وفيه إبطال الحكمة من أصلها، ولا يرضى به عاقل

وقولكم إنّ المخصّص هو الإرادة كالسّابق في الخطاء، لأنّ الإرادة لا تخصّص

بنفسها لتساوي جميع الأشياء بالنّسبة إليها فلا بدّ في تخصيصها من حكمة، وهي قرن الأشياء بما يناسبها ويوافقها، فلا تخصّص بالإهمال وإلاّ فيلزم العبث واللّعب

وقولكم إن كان الواضع هو الله فإرادة تخصيص الوضع منه سبحانه، كإرادة تخصيص حدوث الحادث بوقت مع تساوي نسبة الأوقات إلى الحادث، وإن كان هو البشر كان كإرادة تخصيص الأعلام بالأشخاص مردود

بأناّ لا نسلّم أنّ الأوقات متساوية من جميع الأحوال بالنّسبة إلى الحادث بل لو نظرتم بعين البصيرة لعرفتم أنّ الحادث لا يمكن أن يوجد على ما هو عليه إلاّ في وقته المخصوص، ولا يمكن في غير ذلك الوقت، إلاّ إذا غيّر الله سبحانه الأوضاع والأسباب، ويسبّب أسباباً أخر وأوضاعاً أخر، فإنّه سبحانه على كل شيء قدير، وكيف يجوز ما قلتم؟ وأنتم تقولون إنّ الله علّة تامّة لوجود الأشياء!!

وكيف يجوز تأخّر المعلول عن العّلة التّامّة، التي لا تنتظر كمالاً ولا تماماً، فعلى قولكم يبطل النّظام، ولا يجوز تأخرّ الحادث عن الأزل، أماّ بطلان النّظام فلأنّه لا يمكن تقدم الأب على الابن في الوجود، ولا الأوّل على الآخر، ولا أمس على اليوم وهكذا، لأنّ جميع الأشياء بالنّسبة إليه سبحانه متساوية، والحوادث عندكم صالحة لجميع الأوقات، وأمّا عدم تأخّر الحادث عن الأزل فلأنّ ثاليس الحكيم القائل بقدم العالم، إنّما احتجّ بمعنى ما ذكرتم، فان صحّ قولكم ثبت قول ثاليس بقدم العالم، ونحن نقول إنّ وقت وجود زيد من أسباب وجوده الخاصّة به، فلا يمكن إيجاده إلاّ في ذلك الوقت المخصوص، لا لنقص في قدرة القادر ولا عدم تمام في العلّة، وإنّما هو لنقص قابليّة الموجود للوجود فإذا تمتّ قابليّته للوجود، بوجود جميع ما يتوقّف عليه من الأسباب، الّتي من جملتها المكان والزّمان الخاصّان به وجد، وأين هذا من ذاك؟ فافهم

وإماّ التشبيه بتخصيص البشر الأشخاص بالأعلام مع تساويها فباطل، لما قلنا في المسألة الرّابعة من أنّ المناسبة من جهة الصّورة الشّخصّية المركّبة، وأمّا المادّة والصّورة الأولى فهما نوعيّان في الأعلام والمرتجلات، فلاحظ ما ذكرنا سابقاً ينكشف عنك الغبار، ويتبيّن اللّيل من النّهار

والصّورة المركبّة هي المركبة من الصّورة الأولى ومن الاستعمال الخاصّ، فإنّه يتركبّ منهما صورة شخصية مناسبة لذلك الرجّل، على نحو ما ذكرنا، لأن إرادة تخصيص زيد بمسمّاه لا تعيّنه، ولا تكون الإرادة مخصصة، ولا يلزم من عدم فهم من وضع زيداً على مسماه معنى ما أقول من أنّه ركبّ من الهيئة الأولى ومن هيئة الاستعمال هيئة مناسبة لمسمى زيد، عدم حصول الهيئة المركبةّ لأنّ أخذه لفظ زيد ووضعه على ابنه، وتخصيصه به من دون إخوته، هو الاستعمال الخاصّ، وهيئة الاستعمال هي وضعه عليه وتخصيصه به، بحيث لا يراد به غيره، وقد دلّ الاسم بمناسبة مادته وهيئته التركيبيّة على مسّماه على نحو ما ذكرنا

وأيضاً قد أتفق علماء التكّسير وعلماء الجفر، أن الحروف لها طبائع جزئيّة مرتبطة بمعاني مسمّياتها، وأنّ لها أفعالاً في المعاني، إذا رتّبت على وضعها الطبيعّي بشروطه، لا تختلّف آثارها وأنها بمنزلة الظّاهر للباطن، واتّفاقهم حجّة وصحة ما ذكروا مما لا إشكال فيها، لأنّ قول المعصوم عليه السلام داخل في جملة قولهم، وقد حقّقنا هنا (هذا خ) في مباحثاتنا، بما لا مزيد عليه، وقد دلّت الأخبار عن الأئمة الأطهار، بأن لها معانٍ يشار بها إليها، كما (لما خ) روي عن الصّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)) أنه قال العين علمه بالله، والباء بونه من الخلق، والدّال دنوّه من الخالق بغير إشارة، ولا كيف، وما ورد في تفسير أوائل السّور والبسملة، من أنّ الباء بهاء الله، والسّين سناء الله، والميم ملك الله، أو مجد الله على رواية، وما روى عن عيسى عليه السلام في تفسير أبجد للمعلم وغير ذلك، مما لا يكاد يخفى على أحد، وقد روى عن عليّ عليه السلام إنه قال (الرّوح في الجسد كالمعنى في اللّفظ) ولا إشكال في أنّ الجسد بينه وبين الروح مناسبة ذاتيّة، بحيث لا تصلح روح زيد لجسد عمرو، وكذلك اللّفظ المشبّه بالجسد، ولهذا كثيرًا ما يجري على ألسنة العلماء، الألفاظ قوالب المعاني، بحيث لا يتناكرون في معناه، ولا معنى له إلاّ ما أشرنا إليه، فإنّ المقلوب هيئته هيئة القالب، وهذا عند من يعرف ممّا لا أشكال فيه ولا ريب يعتريه

ولا يقال إنّ الحرف إذا كان فيه مناسبة ذاتيّة لمعنى لا يصلح استعماله في غيره

لأنا نقول إنّ ذلك إنّما يتمّ لو كانت تلك المناسبة شخصّية، أمّا إذا كانت نوعيّة فإنها تصلح لغيره، ولا سيما مع ضميمتها إلى مناسبة الحرف الآخر، وقول الرضا عليه السلام (إن الله خلق الحروف وليس لها معان إلاّ أنفسها) يريد به أنّه ليس لها معان مستقلّة كمعاني الكلمات، وهو كما ذكر عليه السلام وإنّما نقول إنّ لها طبايع إذا اجتمعت حيى بها المعنى، يعني يظهر بها المعنى الحادث بها كما قالوا إنّ الله خلق الأرواح الحيوانيّة من الحركات الفلكيّة، فحصل بتضامّ بعضها إلى بعض الحركات الحيوانيّة والشعّور وغير ذلك، مع أنّها حال تفرقها موات كذا أشاروا إليه، وجهة التّمثيل أنّ المعنى إذ أردت أخراجه إلى زيد الفّت له حروفاً توافقه، لأنّها له كالبذر، فإذا ألّفتها على هيئه تناسب جهة من هيئاته، وتكلمّت به لزيد، فهم زيد بطبائع تلك الحروف، وهيئة تركيبها معنى ما تدلّ عليه، بتلك المناسبة، وليس المعنى الذي نشأ من لفظك، هو نفس المعنى الذي في قلبك، إذ لو أخرجت ما في قلبك حقيقة إلى زيد لما كنت تعلمه بعد ذلك لخلوّ قلبك منه، وإنّما المعنى الذي فهم زيد، متولّد من لفظك، وهو يشابه ما عندك ومظهر له، ونظيره إذا قدحت بالزّناد من الحجر ناراً، فإنّ هذه النّار متولّدة من الحجر، بواسطة القدح، والنّار الكامنة لذاتها لا يخرج منها شيء، ولا ينقص كمّها، وهي أبداً كامنة، وهذه النّار الخارجة تشابهها، لأنّها مظهر لها، بل إنّما تولّدت من الهواء، الذي استحال بحك الحديد على الحجر، لما بينهما من اليبوسة والصّلابة، وكذلك أنت أوجدت من الهواء حروفاً، قد قطعتها منه باللّسان والشفّة واللّهاة والأضراس والحلق، وألّفتها حتّى جعلتها بتأليفك قالباً لما تريد أن تخرج من المعاني، ولم تكن وضعت فيها معنى، وإنّما صغت ما يدلّ بمادّته وهيئته على ما تريد من إيصاله إلى زيد من المعاني، فأثمرت بما تحتمله المادّة والصّورة، ولا تحتمل إلاّ بما يناسب ذلك، وهو معنى قولنا إنّ اللّفظ يدلّ زيداً على معناه، بمناسبة مادته وهيئته لذلك المعنى لا غير، كما تقدّم في تعريف الدّلالة

وحقيقة الأمر أنّ اللّفظ تخرج منه الدلاّلة من مادّته وهيئته، فتقع على أرض نفسك، فيتولّد المعنى من ماء هو دلالة اللّفظ بمادّته وهيئته، ومن تراب هو قوة نفسك، والدّلالة كالإشارة، فإنّ المشار إليه يتعيّن بالإشارة، ولم يحصل لمن نبهّته

التعّيين بدونها، فإن قلت يلزم إنّ التسمّية بالقياس ليس من كلام العرب، لأنّهم لم يضعوا ذلك

قلت إنّها من كلامهم بل ومن وضعهم النّوعي، لأنّهم لمآ وضعوا بلحاظ اللّغة، كان ما يقاس بذلك اللّحاظ من وضعهم، ولهذا قال المازني ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، وأنا أنصحك ألاّ تنكر ما لا تعلم، فيشملك قوله تعالى ((بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله))

والشاعر يقول:

فهب أنّي أقول الصّبح ليلٌ أيعمى النّاظرون عن الضّياء

وإنّما خرجنا عن طور ما يناسب المقام، استقصاء للدّليل، ولقلّة ناصر هذا القول، فأتينا بهذا التحقيق لصاحب العقل الدّقيق، والسّلام على من اتّبع الهدى))[1]

نقلنا كلام الشيخ بتمامه، لأن كثيراً ينتقد الشيخ على رأيه بالمناسبة الذاتية، ولم يقرأ ولم يعلم ما ذكر من حق أو باطل، كما أنه يسوغ لي أن أشرح كلمات الشيخ أحمد رضوان الله عليه، ولكن هذا يخرجنا عما نحن بصدده، وعلى الله قصد السبيل

قسما الدلالة الوضعية

الدلالة اللفظية: إذا كان الدال لفظياً كما ذكر، مثل دلالة لفظ القلم على القلم، ولفظ الباب على الباب، ومحمد على محمد. . . . . الخ

الدلالة غير اللفظية: مثل الإشارات والرموز التي توضع للاختصار، مثل إشارات المرور ورموز علم الكيمياء والفيزياء والطب وغيرها كما هو معروف.

أقسام الدلالة اللفظية

تنقسم الدلالة الوضعية اللفظية إلى ثلاثة أقسام كما هي مبينة في كتب المنطق وهي:

---

(١) جوامع الكلم للشيخ أحمد الأحسائي ٦/ ٢٣٢ ـ ٢٤٢.

الدلالة المطابقية: وهي ((بان يدل اللفظ على تمام معناه الموضوع له ويطابقه، كدلالة لفظ الكتاب على تمام معناه، فيدخل فيه جميع أوراقه، وما فيه من نقوش وغلاف))[١]

وكدلالة لفظ الفرس على تمام معناه وهو الحيوان الصاهل والديك الحيوان الصائح. . .الخ

((وتسمى الدلالة حينئذٍ (المطابقية) أو (التطابقية) تطابق اللفظ والمعنى، وهي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي لأجلها مباشرة وضعت لمعانيها))[٢]

الدلالة التضمنية: وهي ((بأن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له، الداخل ذلك الجزء في ضمنه، كدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده، أو الغلاف، فلو بعت الكتاب يفهم المشتري دخول الغلاف فيه، ولو أردت بعد ذلك أن تستثني الغلاف، لاحتج عليك بدلالة لفظ الكتاب على دخول الغلاف معه

وتسمى هذه الدلالة التضمنية، وهي فرع عن الدلالة المطابقية، لأن الدلالة على الجزء بعد الدلالة على الكل))[٣]

الدلالة الالتزامية: وهي ((بأن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له، لازم له يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته))[٤]

كدلالة لفظ على أمير المؤمنين عليه السلام على العلم والشجاعة والكمال المطلق، وكدلالة لفظ حاتم على الكرم، وكدلالة الدواة على القلم، بحيث إذا ذكر لفظ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر العلم والشجاعة والعفو والكمال، وإذا ذكر إبليس الأكبر ذكر الشر والفسق والعصيان وهكذا.

ففي الدلالة الالتزاميه يدل اللفظ على معنى خارج عنه، ولكنه ملازم له، فإن

---

(١) منطق المظفر للشيخ رضا المظفر٣٧.

(٢) منطق المظفر للشيخ رضا المظفر٣٧.

(٣) منطق المظفر ٣٨.

(٤) منطق المظفر ٣٨.

معنى الدواة وهي المحبرة معناها خارج عن معنى القلم، إلا أنه دائماً يلازم الدواة المحبرة للقلم وهكذا

ليس للحق تعالى مطابق يطابقه

أنه بعد ما قدمنا تفصيلاً عن الدلالة بأقسامها، وبالخصوص الدلالة الوضعية اللفظية، وقسمناها إلى دلالات وهي المطابقية والتضمنية والإلتزاميه، علمنا أن الحق تعالى ليس بينه وبين خلقه مطابقة في أي جهة من الجهات، سواء أكان مطابقية بينه و بين الشيء وأجزائه، كما في الدلالة المطابقية والتضمنية، أو بينه وبين أمر خارج عن ذاته، كما في الدلالة الالتزاميه، فإن الكرم أمر غير حاتم إلا أنه لكثرة كرم حاتم حصل ملازمة بينه وبين الكرم، وهكذا في أمير المؤمنين عليه السلام وكذا المعصومون الثلاثة عشر عليهم السلام على الكمال المطلق.

ففي جميع أنواع الدلالة المطابقية والتضمنية والإلتزاميه، لو كان الحق تعالى متصفاً بها، لزمه الحوايه لها والعرضية بأن هذه الأمور عارض عليه، وهو محل ومكان لها، وكل هذه الصفات صفات المخلوق لا الخالق القديم الذي ليس كمثله شيء

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في المدينة بعد ما ارتد الناس ((الحمد لله الذي لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكانه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لكانه مكاناً، ولا قوي بعد ما كوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه

كان إلهاً حياً بلا حيوة، ومالكاً قبل أن ينشأ شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه للكون، وليس يكون لله كيف ولا أين، ولا حد يعرف، ولا شيء يشبهه، ولا يهرم لطول بقائه، ولا يضعف لذعره، ولا يخاف كما يخاف خليقته من شيء، ولكن سميع بغير سمع، وبصير بغير بصر، وقوي بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، ولا

يحيط بسمعه سمع السامعين، إذا أراد شيئاً كان، بلا مشورة ولا مظاهرة ولا مخابرة، ولا يسأل أحداً عن شيء من خلقه أراده، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير))[1]

فالحق تعالى لا يحويه مكان ولا زمان و لايعرض على شيء ولا يعرضه شيء سبحانه وتعالى.

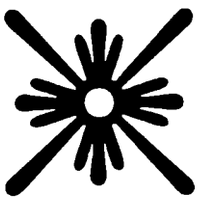

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٨/ ٢٤٠.

وأمّا المحاذي فهو الموافقة في الكون والمكان، فلا يصح على الله سبحانه، إذ ليس له مكان، وإلاّ لزم أن يكون ناقصاً ومحتاجاً، وهو محال عليه تعالى شأنه ❁.

وأمّا المناسبة فهي الموافقة في الإضافة، وهي أيضاً من الأعراض❁❁، والعرض، والعجب، والمؤالفة، والمجانسة، والمماثلة، والمشابهة، والتّحاذي، والتّساوي، والتّطابق، والمناسبة

❁ الحق جلَّ وعزَّ ليس له محاذي

المحاذاة هي عبارة عن الموافقة في الكون والمكان، كقولك محمد محاذي علياً، وهذه العمارة محاذية هذا الدكان، وهذا الجبل محاذي هذه النخلة وهكذا

فالمحاذاه هي المواجه بين شئ وشئ، سواء أكان الشيئان مجردين أم جسمانين، أم أحدهما جسماني والآخر مجرد كالعقل، أو بالعكس

ولما لم يكن الجليل سبحانه في جهة، وليس كمثله شيء، بل هو غير خلقه، وخلقه غيره، كما قال مولانا الإمام الرضا عليه السلام ((كنهه تفريق بينه وبين غيره))[1] امتنع محاذيه، لأن من في الأزل لا يكون في الحدث وكذا العكس، فالله سبحانه وتعالى ليس له محاذي لأنه لا يوجد في القدم إلا القديم سبحانه، ولو فرض له محاذي لزم أن يكون المحاذي في القدم، وإذا كان كذلك تعدد القدماء، وهذا خلف.

❁❁ الحق جلَّ وعزَّ ليس له مناسب

المناسبة بين شيء وشيء، هي عبارة اجتماع الشيئين في جهة واحدة تجمعهما، وهذه الجهة الجامعة عارضة عليهما، مثل ما بين الفرس والأسد الجامع لهما الحيوانية، أي كما أن الأسد حيوان، الفرس أيضاً حيوان، فالجهة الجامعة لكليهما

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢/ ١٣٦، البحار ٤/ ٢٢٨، الإحتجاج للطبرسي ٢/ ١٧٦.

هي الحيوانية، فبين الفرس والأسد نسبة الحيوانية، وقد تكون النسبة بعيدة، كما بين الإنسان والحجر في الجسمية والتحيز، فكما أن الإنسان جسم ذو أبعاد ثلاثة كذلك الحجر جسم ذو أبعاد ثلاثة، فالجهة الجامعة لهما هي الجسمية

فالنسبة بين شيء وشيء لا تخلو من أربع صور هي:

١ ـ نسبة التساوي: وهي كما بين الإنسان والبشر، كل إنسان بشر وكل بشر إنسان

٢ ـ نسبة التباين: كما بين الإنسان والحجر، لا شئ من الإنسان بحجر، ولا شئ من الحجر بإنسان

٣ ـ نسبة العموم والخصوص مطلقاً: كما بين الطائر والحيوان، يقال كل طائر حيوان وبعض الحيوان طائر

٤ ـ نسبة العموم والخصوص من وجه: كما بين الطائر والأبيض، يقال بعض الطائر ليس بأبيض، وبعض الأبيض ليس بطائر، وبعض الطائر أبيض، فجهة اجتماع الطائر والأبيض، في الطائر الأبيض

فجميع هذه النسب الأربع كلها حادثة مخلوقة لوجود المناسبة بينها، حتى في جهة التباين لأنك لا يمكن لك الحكم بالتباين حتى تدرك الطرفين ثم تحكم بالتباين

أضف إلى أن المناسبة عرض من الأعراض، فلو قلنا به لزم أن يكون الحق تعالى عارض عليه عرض، وهي الجهة الجامعة بينه وبين غيره، وهذا العارض أي النسبة إما أن تكون قديمة أو حادثة

فالأول يوجب تعدد القدماء، والثاني يكون الحق جلَّ وعزَّ متأثراً بالحادث، ويلزم أن يكون الحادث أعلى من القديم، ويلزم أيضاً التركيب من ذاته ومن هذا العارض، وكل مركب محتاج، وكل محتاج حادث، وكل هذه الإفتراضات باطلة، بأدلة التوحيد المتقدمة

والإفتراق، والإجتماع، والظلم، والقتل، والكبر، والصّغر والتّغير، والتّبدّل، والنّقصان، والزّيادة، والتّصوّر، والتّعلل، وكلّما في الممكن وما هو صفة له محال في حق الواجب، وجب تنزيهه عنها تعالى الله وتقدّس، وإلاّ لزم أن يكون كالممكن والحال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ❁.

وأيضاً صفات كل شيء أُنزل من ذاته رتبة، فصفة الممكن أنْزل من ذاته قطعاً، فإذا لم يجز هو في حق الواجب، فصفاته بالطريق الأولى لا تجوز❁❁.

❁ اللّه سبحانه وتعالى غير خلقه

أي كل هذه الأمور أمور عارضة، تستدعي المشاركة مع الغير، مثل المؤالفة لابد فيها من طرفين أو أكثر، والعارض يحتاج إلى معروض يتقوم به، فيكون الشيء مركب من ذاته ومن عارضه العارض عليه، وكل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق، أما القديم فهو الغني المطلق، والكل محتاج إليه سبحانه

❁❁ صفة الممكن أنزل من ذاته قطعاً

من المعلوم أن صفة الشيء أنزل من ذات الشيء بالبداهة، مثلاً صفة الجلوس لعلي أنزل من ذات علي بسبعين رتبة

والمذكورات السابقة من المناسبة، والمساواة، والمحاذات، والمجانسة، والمماثلة، والعجب، والمؤالفة، والصغر، والكبر، والصحة، والسقم. . . .الخ كلها صفات الممكن المخلوق

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

فإذا كان ذات وحقيقة الممكن ليس بينه وبين ذات الحق تعالى اشتراك بشيء كما ذكر من قبل، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يشابهه شيء، فبالطريق الأولى ألا يكون بينه سبحانه وبين صفات الممكن، التي هي أنزل رتبة من ذات الممكن، وهذا أمر بديهي.

وأيضاً لا يمكن لك أن تثبت صفة لشيء إلاّ أن يكون بينهما ربط ونسبة، فلا يصح أن تقول إنّ الحائط مشرق، أو النّار باردة، أو الجاهل عالم ونحوها، فلا يمكن إثبات صفة لشيء إلاّ أن يكون بينها وبين الموصوف ربط ومناسبة، فإن أردت أن تثبت تلك الصفة للواجب، إما أن تلاحظ النسبة بينها وبين الواجب أو لا، فإن لم تلاحظ المناسبة بينهما فهو باطل لما ذكرنا، وإن لا حظت المناسبة، إمّا أن تلاحظ جهة إمكان الصّفة، أو جهة قدمها، أمّا الأول فباطل، إذ ليس بين الفقير الصّرف والغنى المطلق مناسبة بوجه من الوجوه، وأمّا الثّاني فباطل أيضاً، لأنّه يلزم أن لا تكون صفة المخلوق مخلوقاً، وهو بديهي الفساد، إذ الصّفة متأخرة عن ذات الموصوف قطعاً، فالموصف إن كان مخلوقاً فصفته بالطريق الأولى مخلوقة، فكل إمكان [ممكن] وصفاته مسلوبة من الواجب تعالى ❁

❁ وجود نسبة بين الموصوف وصفته

المعروف أنه بين الموصوف والصفة مناسبة، ونسبة بينهما، مثلاً: بين النار والحرارة، فالنار موصوف وصفتها الحرارة، وبين الماء والبرودة، فالماء الموصوف والبرودة صفة.

فلو عكست بطل الانتساب، كقولك النار باردة، وطبع الماء حار، أو الشمس مظلمة، والجدار مضيء، وبطلان الإنتساب من باب عدم النسبة بينهما، بين النار والبرودة، والماء والحرارة، والظلمة والشمس، والإضاءة والجدار... الخ

فإذا كان بين المخلوقات أنفسهم تبطل النسبة، فكيف بمن ليس كمثله شئ مطلقاً؟ فلو فرض أنه بين الواجب تعالى وبين خلقه نسبة ما، يلزم من ذلك عدة أمور وهي:

إما أن تلاحظ النسبة بين الواجب القديم وبين الحادث الفقير أو لا ، فإن لم تلاحظ نسبة بين الواجب والحادث بطل الإنتساب، لأنه لابد من نسبة بين المتناسبين أياً كانت هذه النسبة.

الثاني: أن تلاحظ النسبة بين القديم والحادث والنسبة لها حالتان هما:

إما أن تكون هذه النسبة حادثة أو قديمة، فإن قلنا إن هذه النسبة حادثة، وأنت تجعلها بين الحادث وبين القديم الأزلي فباطل أيضاً، لأنه لا توجد نسبة بين القديم الأزلي وبين المخلوق الحادث عقلاً ونقلاً، لأن الحق غير خلقه كما نص على ذلك مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((كنهه تفريق بينه وبين خلقه))[1]

وإن قلنا إن هذه النسبة قديمة فباطل أيضاً، لأن الموصوف حادث، وإذا كان الموصوف حادثاً، فبالطريق الأولى أن تكون صفته وهي النسبة حادثة، وإذا قلنا إن هذه النسبة، التي هي الصفة للمخلوق هي قديمة، وذات المخلوق نفسه حادث، هذا ما لم يقل به أحد مطلقاً

فجميع ما في الإمكان من الممكنات، وصفاتهم، مسلوبة عن ذات الباري جلَّ وعزَّ، فكما إننا ننزه الذات المقدسة من ذوات المخلوقين فبالطريق الأولى أن ننزه من صفاتهم.

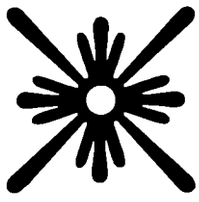

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار ٤/ ٢٢٨.

فلك أن تسلب عنه العلم الّذي تدرك الأشياء به، إذ كلّما تدركه أو تدركه به فهو مخلوق مثلك، والقدرة الّتي تقدر بها على شيء وما تدركه منها، وحياتك والّذي تدرك منها ووجودك وما تدركه منه، إذ كلّها صفاتك وأنت ممكن وصفاتك مثلك ❁

❁ كلما يتصف به الممكن يجب سلبه عن الذات

أي كما أن الممكن المخلوق ذاته يجب نفيها عن الذات البات سبحانه، كذلك يجب نفي صفاته عن الذات تعالى، كما في الحديث المتقدم عن مولانا الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهم جميعاً ((كنهه تفريق بينه وبين غيره))[١]

فالحق سبحانه غير خلقه وخلقه غيره، والغيرية تقع تحديداً للغير، لا للواجب تعالى، أي ليس الغيرية تحدد الواجب تعالى، بل تحدد نفس الغير وهو الممكن المخلوق، لذا قال الإمام الرضا عليه السلام تتمة الحديث ((وغيوره تحديد لما سواه))[٢]

لذا لما كان نفس ذات الممكن، يجب أن تنفيه عن الواجب تعالى، فكذا يجب علينا أن نسلب عن الواجب سبحانه صفات الممكن المخلوق بالطريق الأولى، التي منها السمع الذي نسمع به، الذي هو صفة من صفاتنا، والبصر، والحياة، والوجود، والقدرة، والإدراك، والفعل، والقيام، والقعود، والنوم، واليقظة، والصحة، والتعب، والكبر، والصغر، والذكورة، والأنوثة والعياذ بالله عزَّ وجلَّ، وغير ذلك من صفاتنا يجب علينا أن نسلبها عن الله سبحانه وتعالى

لأننا مخلوقون، وصفاتنا وتفكيرنا وتصورنا كله مخلوق، كما قال الإمام محمد

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار ٤/ ٢٢٨.

(٢) نفس المصدر.

بن علي الباقر عليه السلام ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم. . . . .))[١]

فكل شيء نتصوره أو ندركه فهو مخلوق مثلنا، كما قال الإمام أرواحنا فداه.

---

(١) البحار ٦٦/ ٢٩٣، نور البراهين الساطعة للسيد نعمة الجزائري ١/ ٩٣، اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ١٦٩.

ولكنك تعتقد وتقول إن الله عالم قادر حي سميع بصير، لا بالطريق والطور الّذي يدركه عقلك وفكرك وتحيط به، فإن سألوك أن الله هل هو عالم بالأشياء؟ فقل: نعم إني أعتقد ذلك، ولا يغيب عنه مثقال ذرة، وإلاّ لزم النّقص فيه، لكن لا أعلم كيف علمه بالأشياء، إذ العلم ذاته، وذاته لا تدرك، وسيمر عليك إن شاء الله تحقيق هذه المسألة، عن قريب فانتظر ❁.

❁ يجب الإعتقاد بصفات اللَّه تعالى

أنه بعد ما ذكر سابقاً، إنه يجب علينا أن نسلب المخلوقات وصفاتهم، من السمع والبصر والقدرة والعلم وغيرها التي ندركها عن الذات المقدسة، في المقابل يجب علينا أن نعتقد بصفات الله سبحانه الذاتية، التي رويت عن أئمة الهدى عليهم السلام من: السمع والبصر والقدرة والعلم والحكمة وغيرها، لكن يجب علينا أن نعتقد أن سمع الله وبصره سبحانه، غير ما نعرفه من السمع والبصر، وكذا علمه تعالى غير ما نعرفه من العلم التصوري، أو التصديقي، أو الحضوري، أو الحصولي، أو الإلهام، أو الوحي، أو الاستنباط، بل لا كيف لعلمه كما أنه لا كيف لذاته جلَّ وعلا

فنثبت صفات الحق تعالى لكن بلا كيف، ولا تصور، ولا معنى نفهمه، بل لا يعلم بصفاته إلا هو سبحانه كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المتقدمه ((الحمد لله الذي لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكانه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لكانه مكاناً، ولا قوي بعد ما كوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً، ولا كان خلوّاً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلوّاً منه بعد ذهابه

كان إلهاً حياً بلا حيوة، ومالكاً قبل أن ينشأ شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه للكون، وليس يكون لله كيف ولا أين، ولا حد يعرف، ولا شيء يشبهه، ولا يهرم لطول بقائه، ولا يضعف لذعره، ولا يخاف كما يخاف خليقته من شيء، ولكن سميع بغير

سمع، وبصير بغير بصر، وقوي بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، ولا يحيط بسمعه سمع السامعين، إذا أراد شيئاً كان، بلا مشورة ولا مظاهرة ولا مخابرة، ولا يسأل أحداً عن شيء من خلقه أراده، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير))[1] إمام الكلام كلام الإمام عليه السلام.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٨/ ٢٤٠.

فلا ينبغي لأحد في هذا المقام، الّذي هو أشدّ من الليل في الظّلام، التكلّم في ذات ذي الجلال، إذ هو غوص في بحر الغواية والضلال، بحر مواج ذو تلاطم وأمواج، لن يصل الغوّاصون إلى قعره وأصله، والسّفن السيّارة إلى ساحله، من تنفس غرق، ومن تظلم هلك، طالب المحال دائماً حيران، والقادم عليه واله خسران، أما سمعت قول رسول الله ﷺ أعلم من هو في دائرة الإمكان، وأقرب الكل من الملك المنّان (ما عرفناك حقّ معرفتك)[١] وقوله أيضاً (اللهمّ زدني فيك تحيراً)[٢] وأمثالهما، فدع عنك بحراً ضاع فيه السّوابح ❁.

❁ لا يمكن الكلام في ذات اللّه سبحانه

هنا يشير السيد كاظم قدس الله نفسه المباركة، إلى عدم إمكان الكلام في ذات الله سبحانه، من تنفس غرق أي من قال كلمة واحدة في الذات، كما قال البعض إن الماهيات كانت موجودة في الذات ثم أفاضها، أو قال إن وجود الحق تعالى مثل وجود المخلوقات والفارق بالماهيات، وغير ذلك كما تقدم الكلام فيه، فقد غرق ومات في بحر الضلال والعياذ بالله تعالى

ومن تظلم أي قال بالظلم كما قالت الأشاعرة، بأن الله تعالى أجبر الخلق على الطاعة والمعصية، ومعنى تظلم أخذ التوحيد من غير أهله كما تفعله الصوفية، بأخذ بعضهم عن بعض كما قال تعالى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٣]

فتعرف الله عز وجل أنه لايعرف عن طريق ذاته جلّ وعلا، إلا بما وصف به نفسه لخلقه بخلقه، فأفضل الموجودات وأفضلها وأشرفها وهو رسول الله ﷺ وأهل

---

(١) البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

(٢) شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري ١/ ١٩٨.

(٣) سورة الأنعام آية ١١٢.

بيته عليهم السلام ما وصلوا إلى معرفة ذات الله تعالى، فكيف ببقية الخلق؟ كما قال عليه السلام ((ما عرفناك حق معرفتك))[١]

وقوله عليه السلام ((إلهي زدني فيك تحيرا))[٢]

فإذا كان أفضل الخلائق يقولون هذا، فكيف ببقية الخلق الذين هم متعلمون من أهل بيت العصمة عليهم السلام؟

---

(١) البحار ١١٠/ ٣٤.

(٢) شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري ١/ ١٩٨.

الفصل الثّامن
في كيفيّة معرفته تعالى شأنه

اعلم ياحبيبي وفّقك الله أنّ الله سبحانه لم يخلق الخلائق والموجودات إلاّ لمعرفته وعبادته، وأرجع نفع هذين الأمرين أيضاً رحمة منه إليهم، قال في القرآن المجيد ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1] وفي الحديث القدسي (فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف)[2] فالسبب هو معرفته سبحانه، وثمرة المعرفة العبادة، وثمرة العبادة الفوز بالنعيم الأبدي، و البقاء السّرمدي❁

❁ علة خلق الخلق

سؤال يطرح نفسه، وهو ما دام الحق جلَّ وعزَّ غير محتاج إلى أحد بل هو الغني المطلق في جميع الأمور، بحيث لا يحتاج إلى شيء، والخلق ما سواه كله يحتاج إليه، في تكوينهم وتشريعهم.

فلما كان بهذه الصفة من الغنى المطلق، لماذا خلق الخلق؟

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) رسائل الكركي للمحقق الكركي ٣/ ١٥٩، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ١/ ٢٢، عوالي الآلي لابن أبي جمهور الإحسائي ١/ ٥٥.

الجواب

إنه سبحانه وتعالى لما كان كريماً جواداً مطلقاً، والكريم الجواد الذاتي يحب أن يظهر كرمه وجوده للآخرين، بحيث يعرف بالجود والكرم، حتى يستفيد الآخرون من كرمه وجوده، فطبع الكريم الذاتي ـ أي الكرم غير المكتسب أو المصطنع ـ دائماً يحب أن يعطي الآخرين، حتى أنه من كرماء الناس إذا لم يعط أحداً في يوم من الأيام، أو في أسبوع أو شهر أو سنة على عادته، يدخله نوع من الحزن والكآبة، عكس البخيل إذا أنفق يوماً ما في حياته، يعتبره يوم مصيبة.

فالحق تعالى لما كان كريماً، يحب أن يفيض بكرمه على من سواه من المخلوقات، ولكن لما كان حكيماً، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، أراد أن يضع كرمه لمن يستحقه فعلاً، لأنه لو أعطى من دون استحقاق للكرم أصبح فعله عبثاً، وهو لا يفعل العبث لأنه حكيم

كما أنه لو أحد الكرماء أعطى كلباً ما عشرة ملايين ريال مثلاً، للامه الناس على فعله، كيف تعطي حيواناً هذا المبلغ عشرة ملايين ريال، وهو لا يفهم ولا يعقل ما أعطيته، فقطعة اللحم عنده المرمية في الشارع أنفع عنده من عشرة ملايين، فيعد فعل هذا الكريم مخالفاً للحكمة والإتزان، فينتقد من الآخرين ويوصف بالمسرف المبذر المتهور، بيد أنه لو أعطى هذه العشرة الملايين إلى مشاريع بر وخير لحمد وشكر.

فالحق تعالى أراد أن يخرج فعله وكرمه للآخرين من العبث والإسراف، فكلف الخلق بتكاليف، وقال لهم على لسان أنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام من أطاعني وامتثل أمري في ما أأمر، وانتهى فيما أنهى عنه، أدخلته جنتي التي عرضها كعرض السماء والأرض، و تصلون إلى السعادة الأبدية التي لا زوال عنها ولا انتقال

ومن عصاني وخالف أمري أدخلته ناري بمعصيته، بحيث لو أدخل المطيع والعاصي الجنة أصبح تكليفه وفعله عبثاً، بحيث أعطي الكافر والعاصي الجنة، من دون موجب وعمل صدر منه يستحق هذا النعيم الأبدي، مثل الذي يعطي كلباً عشرة ملايين، فالامتثال فيما يأمر به الحق سبحانه، والانتهاء عما ينهي عنه، هو عبارة عن المعرفة والعبادة

فالمعرفة هي أن يعرف أن له خالقاً رازقاً حياً قيوماً، غير محتاج إلى أحد، والخلق محتاجون إليه مطلقاً، ويعرف صفات هذا الكريم الخالق، بأنه سميع بصير قادر حي عالم إلى آخر صفات الذات، وأنه فاعل مريد بفعله سبحانه، وأن طاعته واجبة ومخالفته محرمة، فإذا علم المكلف بذلك وجب عليه العمل لما علم به، من القيام بالصلاة والصوم والحج والخمس والإعتقاد بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام وأداء الحقوق. . . . الخ

وحرم عليه ارتكاب المحرمات والفواحش ما ظهر منها وما بطن

فإذا التزم المكلف فيما يأمر الحق تعالى به من تأدية الواجبات، وانتهى عما ينهى عنه من المحرمات، أصبح مؤهلاً لكرم الله تعالى، أن يوصله إلى السعادة الأبدية في الجنة، التي أعد فيها الحق تعالى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]

ثم ذكر الحق تعالى صفاتهم فقال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾[2]

انظر إلى قوله تعالى، ونعم أجر العاملين، أي أعطيناهم هذا النعيم بسبب أعمالهم وطاعتهم وتقواهم.

إذن علة وسبب إيجاد الخلق هو معرفة الله تعالى بصفاته الكمالية والجلالية والفعلية، وإذا عرف وعلم المكلف بصفات الله تعالى، أنه خالق رازق محيي مميت،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران، آية (١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦).

وجب عليه الشكر والعمل لما يأمره خالقه ورازقه، فيما يأمر وينتهي فيما ينهى عنه، فإذا عمل بما علم، فاز بالنعيم الأبدي، ومن خالف دخل النار والعياذ بالله تعالى، قال تعالى للمطيعين و العاصين في كتابه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾[1]

فالمطيع يدخل الجنة بعمله، والعاصي يدخل النار أيضاً بعمله، وما ربك بظلام للعبيد

كنت كنزاً مخفياً

هذا الحديث قد تناول شرحه الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته، لاسيما آية الله البحر المحيط، الشيخ محمد بن الشيخ حسين بو خمسين رضوان الله عليهم، وله كتاب مستقل أسماه ((النور المضي في معرفة الكنز الخفي))

ومعنى الحديث على الإجمال، أن الحق تعالى قبل خلق الخلق كان كنزاً مخفياً عن خلقه لا يعرفوه، ولما خلقهم عرفوه بما ظهر لهم بهم، من صفاته الجلالية والجمالية، فلما خلقهم علموا أنه خالق، ولما رزقهم علموا أنه رازق، ولما أماتهم علموا أنه مميت، ولما سمع نداءهم علموا أنه سميع، ولما أطلع على ظواهرهم وبواطنهم علموا أنه بصير، ولما أمسكهم وأمسك الخلائق جميعاً علموا أنه قادر، ولما أخبرهم بما عندهم من أول خلقهم إلى نهاية صعودهم، وأوجد العلم في خلقه، من السموات والأرضين علموا أنه عليم. . . الخ من الصفات

فعرفوا الحق تعالى بما ظهر لهم بهم، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ((تجلى لها بها، وبها أمتنع منها، وإليها حاكمها))[2]

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ

---

(١) سورة النساء، آية ١٣ـ ١٤.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ١٥، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ١/ ٢٠٥، البحار ٤/ ٢٦١.

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[١]

وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٢]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه))[٣]

فالحق تعالى عرف نفسه للخلائق، بنفس الخلائق، وإن شاء الله تعالى للحديث تتمة فيما بعد، وعلى الجليل قصد السبيل.

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣.

(٢) سورة الذاريات آية ٢١.

(٣) نهج البلاغة ١/ ١٠٦

وقد عرفت سابقاً أنّ معرفة ذاته وكنهه وحقيقته محال وممتنع، والآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة والعلوية إلى العسكريّة كثيرة في هذا المقام، والعقل أيضاً يشهد بذلك كما عرفت سابقاً، فظهر أنّ المعرفة الّتي نحن مكلّفون بها، وخلقنا لأجلها، ليس معرفة الذّات والكنه والحقيقة، فليس لنا بد إلاّ معرفته بآثاره وآياته وأفعاله، أنظر إلى السّماء تراها دائماً في الحركة، وترى الأرض مسطحة، والخلايق على أنواع وأقسام، من ضعفاء الخلق، والحشرات كالنّمل والهمج الرعاع ترى أرزاقها مع ضعفها مقرّرة مقدّرة، وترى السّماء تربي الأرض بسيرها ودورانها ونزول المطر عليها، والأرض مخضرّة ضاحكة بأنواع الشّقايق والرّياحين والورود بألوان مختلفة، وروائح متفاوتة، وخواص متعددة، بعض منها يوجب قوة جسد الإنسان، وبعض منها يوجب قوة الروح، وبعض منها سبب ترتيب الدّواء والغذاء، ويحصل منها نفع كثير، وترى المخلوقات منتظمين بنظم محكم ونسق قوي مستحكم، لهم في عين اختلافهم اتفاق، وفي عين اتفاقهم اختلاف، وبعضهم موافق ومؤالف، وبعضهم معاند ومخالف، وبعضهم قوي، وبعضهم ضعيف، وبعضهم فقير، وبعضهم غني، وبعضهم عالم، وبعضهم جاهل، وبعضهم رجال وبعضهم نساء، وبعضهم سلطان وبعضهم رعيّة، حتّى ينتظم العالم ويحكم أساسه، وإن لم يكن هذا لاختل الأساس والنّظام، وفسدت الأمور، ولو أردنا أن نبين عجائب العالم وغرائبه، والحكمة في وضعه على هذه الهيئة، وفساد طور آخر غيرها، لخرجنا عن وضع الرسالة إلى تأليف كتاب كبير، فالعالم أمره عجيب، و سرّه غريب❁.

❁ انحصار معرفته تعالى بالآثار

بعدما ثبت أن علة إيجاد الخلق هي المعرفة، أي معرفة الخالق سبحانه وتعالى،

وثمرة المعرفة العمل بمقتضاها من العمل بالواجبات والانتهاء عن المحرمات، وهي العبادة كما قال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[١]

ولكن نسأل أيُّ معرفة يجب على الخلق يعرفوه بها؟ هل معرفة ذاته جلَّ وعلا، أم معرفة أفعاله وآثاره من المخلوقات، التي في الآفاق والأنفس؟

بالطبع أن معرفة ذات الله تعالى محال عقلاً ونقلاً عند أهل بيت العصمة عليهم السلام كما تقدم في الفصول السابقة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣]

وقال الإمام الباقر عليه السلام: ((تكلموا في كل شيء، ولا تكلموا في الله، فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً))[٤]

قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة اليتيمة: ((السبيل مسدود، والطلب مردود، دليله آياته، ووجوده إثباته))[٥]

إذا لم يبق عندنا في معرفته سبحانه إلا عن طريق الآثار والمصنوعات من الآفاق والأنفس، فتستدل بالأثر على المؤثر، وبالصنع على الصانع، قال تعالى مشيراً إلى النظر في الآفاق والأنفس: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٦]

وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

فالمتتبع للآيات والأفاعيل الموجودة في هذا الكون، بل في نفسه ليجد الكثير

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٢) سورة طه، آية ١١٠.

(٣) سورة الشورى، آية ١١.

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٤.

(٥) كشكول الشيخ أحمد الأحسائي ٢/ ٣٦٠.

(٦) سورة فصلت آية ٥٣.

الكثير من الآيات الدالة على عظمة الخالق وعلمه وحكمته، وعدله وحلمه، وجميع صفاته سبحانه

طبعاً الآيات المطروحة في الكون، والمشاهدة منها وغير المشاهد لا تعد ولا تحصى، لأنها تمثل عظمة الخالق جلَّ وعزَّ

انظر إلى كوكب الأرض الذي نسكنه، كيف هيئ للحياة من دون الكواكب الآخر من زحل وبلوتو والمريخ وأرانوس وغيره، بحيث كوكب الأرض يتميز عن غيره بمواصفات كثيرة جداً، منها شكله البيضاوي، ووجود الماء من البحار والأنهار والعيون، وصلوح تربته للزراعة، تراه يدور حول نفسه فيحدث الليل والنهار، ويدور حول الشمس في السنة فيحدث الفصول الأربعة، الشتاء والربيع والصيف والخريف

وموقعه بالنسبة للشمس في نهاية الدقة، فلو تبتعد الأرض عن الشمس قدر شعرة لجمدت الحياة على الأرض، كما جمد القطب الشمالي والجنوبي ولما صلح السكن عليها

ولو قربت إلى الشمس قدر شعرة، لمات الناس من حرارتها كما يحدث ذلك على خط الاستواء، لذا بعض البلاد الغربية مثل دول أوربا، إذا زادت الحرارة عنده بمعدل ٣٧ مئوية يموت البعض من الحرارة

ولو كبرت الأرض عن حجمها لقلت الجاذبية الأرضية، ولطار الناس مثل رواد الفضاء، ولما ثبتت الأشياء على الأرض، ولو صغرت عن حجمها لصغر الناس عليها من شدة الجاذبية، ولتعسر التنقل فيها

أيضاً زودت الأرض بالأوكسجين الذي هو حياة ذوي الأرواح، فلو قل الأوكسجين لمات الناس، ولو زاد على المعدل أيضاً مات الناس.

انظر إلى الدورة الكونية، من تسليط أشعة الشمس على المياه من البحار والأنهار، ثم تتصاعد الأبخرة إلى حد معين ما يقارب ٥٠٠٠ كم فوق سطح البحر فتصل عند هذا الحد فقط، بحيث لو ارتفعت السحب أكثر من هذا الحد، لما استفيد

من المطر، ثم بعد ذلك ينزل المطر، فيحي الأرض بالزرع والحيوان بالحياة، وتدب حركة المواشي على الأرض.

ويوجد حد محدود للغلاف الغازي المزود بالأكسجين، فليس الأكسجين بلا نهاية في الفضاء، بل إلى درجة معينة يقف الأوكسجين الذي به الحياة

لذا الذي يخرج عن الغلاف الغازي، لابد له من اسطوانات لغاز الأوكسجين، وكذا الذي يعوم في البحر، وأما السمك فإنه يتنفس بالأوكسجين الذائب في البحر

أضف إلى أن الغلاف الغازي، الذي حول الأرض فيه حماية من الغازات السامة من الفضاء، ومن الأشعة والعياذ بالله المسرطنة مثل الأشعة الفوق البنفسجية، وغيرها من الإشعاعات التي تضر بالأرض وبالحياة، لذا رواد الفضاء إذا نزلوا إلى الأرض يؤخذون في أماكن خاصة للتخلص من الغازات والإشعاعات الضارة بالإنسان

فالنبات على الأرض على أنواع لا يحصى عددها إلا الله سبحانه، فوق سطح الأرض، وباطن البحار، فلها فوائد جمة لا يمكن إحصاؤها وذكرها هنا لكثرتها

انظر إلى الفواكه المختلفة، والمقاسات المتفاوتة، من التفاح والحمضيات والبقوليات والتمور والورود الجميلة، كل وردة لها جمال خاص، وجاذبية ملفتة، مع أنه يجمع من أرض واحدة

ويسقى بماء واحد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[1]

---

(١) سورة الرعد، آية ٢ـ ٣ـ ٤.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2]

فكما يقول المؤلف السيد كاظم قدس نفسه، السماء تربي الأرض فلولا الشمس والقمر والنجوم الثابتة والسيارة لما دبت الحياة على الأرض، لأنه معلوم لدى الكل أن الشمس لولاها لماتت الحياة على هذا الكوكب

وترى أيضاً أن بعض المأكولات تقوي البدن مثل اللحوم والخضار والفواكه، وبعضها تقوي القلب مثل الطيب والسفرجل لأنه يشجع الجبان، والعدس يرقق القلب، وبعض منها فيه منافع كثيرة وشفاء للناس مثل العسل، فإنه مقوي لأعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة والنشاط وغيرها

وترى أيضاً الخلق كما يذكر المؤلف لهم في عين اتفاقهم اختلاف، وفي عين اختلاف اتفاق، مثل البشر كلهم على هيئة واحدة في البشرية، من الرأس واليدين والرجلين من الذكر والأنثى، وفي نفس هذا الاتفاق اختلاف في اللون والصوت والهيئة وتركيب الوجه كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3]

---

(١) سورة يونس آية ٥ـ ٦.

(٢) سورة يسن من ٣٣ ـ ٤٠.

(٣) سورة الروم، آية ٢٢.

فبعض المخلوقات موافق للبعض، مثل البرودة موافقة للماء، والحرارة موافقة للنار والعكس صحيح، لما بينهما من المعاندة والمخالفة كما بين البرودة والنار، وكما بين المؤمن وأخيه المؤمنين موآلفة، وبين المؤمن والناصب مخالفة ومعاندة

وبعض الخلق قوي صلب مثل الحديد والصخر، وبعضهم ضعيف هش مثل القطن، وبعضهم غني وبعضهم فقير، بحيث لو كان كل الخلق أغنياء لما احتاج بعضهم إلى بعض ولفسدت الحياة، وكذا العكس لو كان كل الخلق فقراء لشلت الحركة، ومات الناس لعدم وجود ما يحتاجون إليه

وبعضهم نساء وبعضهم رجال، فلو كان كل الخلق رجال أو نساء لما حصل التوالد والتناكح والتناسل، ولانقرضت البشرية من على وجه الأرض.

وبعضهم سلطان وبعضهم رعية، بحيث لو كان كل الناس سلاطين وملوك وأمراء لحصل القتل والقتال فيما بينهم، بغية الاستيلاء على الآخر، ولو كان كلهم رعية لحصل الضياع والشتات وقلة التدبير، مثل الغنم بلا راع، فالعالم خلق بقدر كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1]

بحيث لو زاد أو نقص لاختل النظام، ولذا رويت روايات كثيرة عن أهل العصمة والطهارة عليهم السلام في الحدث على التفكر في خلق وآيات الحق سبحانه كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ((تفكر ساعة خير من عبادة سنة))[2]

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته))[3]

فكما يقول المؤلف استقصاء واستقراء جميع الآيات أو أغلبها صعب جداً، لذا نجد علماء الفلك والطبيعة، والعلوم الرياضية والفيزيائية والكيمائية والطبية كل يوم بعد يوم في تزايد

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩.

(٢) التحفة السنية للسيد عبد الله الجزائري ٧٢.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ٢/ ٥٤.

فلا أحد يستطيع أن يذكر الآيات وأسرارها إلا خالقها أو من علمهم، وهم محمد وآل محمد لأنهم عليهم السلام هم الآيات والكلمات التي لا تنفذ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[2]

قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في جوابه لأسئلة يحي بن أكثم لما سأله عن هذه الآية المذكورة أعلاه، فقال عليه السلام: ((وأما قوله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾

فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وهي عين الكبريت وعين اليمن وعين برهوت وعين طبرية وحمة ما سيذان وحمة إفريقية يدعى لسنان وعين باحروان ونحن كلمات الله التي لا تنفد ولا تدرك فضلنا))[3]

فهذه الرواية رويت بطرق متعددة، فكل ما نراه من الآيات والأفاعيل في الكون فهي كلمات الله سبحانه وتعالى، أما الكلمات التامات فهم محمد وآل محمد عليهم السلام.

الحاصل الكون أمره عجيب، ووضعه غريب، في نهاية الدقة والحكمة، وذروة العلم والكمال، لذا روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حديث طويل للمفضل بن عمر الضبي عن أسرار الخلقة، وعللها، يسمى بتوحيد المفضل، يقع في كتاب مستقل مفيد للجميع، لمن يريد الإطلاع على أسرار الخليقة وعجائب الطبيعة.

---

(١) سورة الكهف، آية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان، آية ٢٧.

(٣) تحف العقول لابن شعبة الحراني ٤٧٩، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ٢٥٨.

حبذا من الأخوة والأخوات، الإطلاع على هذا الحديث الشريف المطول، المسمى بتوحيد المفضل، لأن فيه ما فيه من الأسرار والعجائب والكنوز، المودوعة في هذا الكون، من عجائب الإنسان والحيوان والنبات والفلك وكل شيء، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الإمام عليه السلام

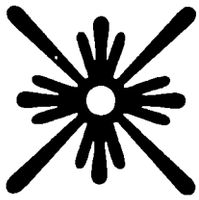

الحاصل: إن نظرت إلى العالم بتأمل ودقة، ترى دليلاً واضحاً، وبرهاناً قاطعاً لايحاً، بوجود صانعه وبانيه، وعلمت أن ذلك الصّانع لا يدرك أبداً، وإلاّ لكان مثلك، وعلمت أنه لا بدّ أن يكون حكيماً، يعني يضع كلّ شيء في موضعه، وإلاّ لكان ظالماً والظلم نقص، وعالماً إذ هذا البنيان المحكم والأساس المتقن، الّذي هو في غاية الإحكام، ونهاية الإتقان، لا ينبغي أن يصدر من الجاهل ولا يتمكن منه أبداً، وقادراً لأنّ العاجز لا يتمكن من إقامة هذا الأساس المحكم المتقن، بحيث إن الأشياء كلها خاضعون خاشعون له وذليلون بين يديه، وهو سلطان بحيث لا يختلف عن إرادته أحد، والكل في قبضته وتحت سلطنته، وحياً إذ الميت لا يتمكن أن يبقي هذا العالم حيّاً، وإلاّ لأبقى نفسه حيّاً، وسميعاً إذ الموجودات كلّهم فقراء ومحتاجون، وفي كلّ آن ودقيقه يسألون الفيض و المدد من صانعهم و خالقهم، فلو لم يسمع ضجيجهم في كلّ آن، فكيف يمدهم في كلّ لحظة و زمان، ولاختل أساس هذا البنيان، وبصيراً بحيث لا يحجب عنه أحد ولايغيب عنه شيء، إذ كيف يكون رباً لهم وهم يغيبون عنه، ويحتجبون عنه، وكذلك لا بدّ أن يكون كريماً، وحليماً، ورحيماً، وغفوراً، وعادلاً، وصاحب فضل وبطش وغضب.

فمن نظر بعين الدّقة والبصيرة في العالم، عرف الله سبحانه بجميع صفاته، ولولا العجلة لبسطنا في المقام، وأطلنا فيه الكلام، لكن العاقل تكفيه الإشارة، فتبين أن المعرفة الّتي كلّف الله بها العباد هي المعرفة بالآثار والأفعال ❁

❁ الأثر يدل على المؤثر

إن الإنسان كلما وقف في هذا الكون المترامي الأطراف، وجده دليلاً واضحاً

على صفات الحق سبحانه من وجوه هي:

أولاً: من وجود هذا الكون العظيم المتقن، دليل على وجود موجد، لأنه لابد للبناية من بان، وللصنع من صانع، وللأثر من مؤثر

ثانياً: إنه لما رأينا هذا الصانع، وضع كل شيء في موضعه، علمنا أنه حكيم، فلو وضع العينين مثلاً عند الرجلين لما استقام الإنسان، وكذا العكس لو جعل الرجلين عند الرأس لما استقام أيضاً.

ثالثاً: لما رأينا هذا الصانع أقام السموات بغير عمد ترى، والأرض والجبال والعرش، علمنا أن هذا الصانع قادر، إذ العاجز لا يستطيع أن يحمل هذا الأمر العظيم

رابعاً: لما رأينا هذا الصانع يجيب دعوة السائلين بنوعيها الحالي والمقالي، كل على حسبه ومقامه، علمنا أنه سميع، أي يسمع دعاءهم ويجيبهم

خامساً: لما رأينا هذا الصانع يبصر هذا الخلق، بحيث لا يخفى عليه شيء، علمنا أنه بصير، إذا لو لم يكن بصيراً لكان أعمى، والأعمى لا يهتدي إلى إعطاء كل ذي حق حقه، فقد يعطي لطالب الخير الشر، ظناً أنه صاحب الشر، وكذا العكس.

سادساً: إنه حي لأنه أوجد الحياة في خلقه، ومن لم يكن حياً كيف يوجد الحياة ويمدهم، إذ الميت لا يستطيع أن يوجد الحياة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

سابعاً: إنه قديم إذ لو كان حادثاً مخلوقاً، للزوم وجود محدث له، وهذا المحدث إذا كان محدثاً، استند إلى مثله مخلوق فيلزم التسلسل إلى ما لا نهاية وهذا باطل

فلا بد للكون من الإستناد إلى موجد قديم، أي موجود غير مستفاد من الغير، بل هو واجب الوجود.

وهذا الواجب الوجود غير الممكن المخلوق في كل الصفات، لأنه إن شابه خلقه أصبح مثلهم، وإذا كان مثلهم لزمه ما لزمه من الاحتياج والفقر.

بيد أن الخالق سبحانه هو الغني قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1] فكل ما في الإمكان فقير محتاج إلى الغني المطلق وهو الله سبحانه وتعالى

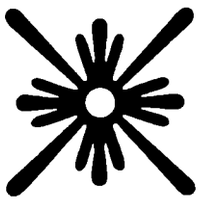

(١) سورة فاطر، آية ١٥.

ولذا قال رسول الله ﷺ للعجوز لمّا سألها عن معرفة ربّها، وهي كانت تغزل القطن بالدولاب، فكفّت يدها عن الدولاب فسكن، ثمّ حركت الدولاب، قال لأصحابه (إنّ هذه المرأة عرفت ربّها) وهذه المعرفة لا توصل ولا تؤدي إلى معرفة الذّات، لأنها مارأت الذّات بوجه، ولا أدركتها بعقلها، ولم تر غير الصنع، والّذي عرفته هو الصنع، فبالدلالة الإلتزامية (العقلية) نستدل بأن هذا الصنع له صانع، الّذي لا يحيطه عقلنا، ولا يدركه فكرنا (إنّما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)[1]. مثلاً إذا رأيت دخاناً صاعداً، استدللت به على وجود النّار، وحصل لك علم قطعي ثابت جازم بتّي على وجودها فقط، فالدّخان أثر النّار وفعلها يدلك على وجود المؤثر، وأمّا كيفية وجوده فلا، فالصّفات الذّاتية له سبحانه حكمها حكم الذّات لا فرق بينها وبين الذّات، مثلاً نستدل بالمعلومات على أن الله عالم، لكن علمه بها بأي كيفية، وأي نحو فلا نعرفه، إذ العلم عين الذّات❁

❁ صفة استدلال لا صفة تكشف عنه

أي إن هذه الآيات والمفاعيل في هذا الكون، تدلنا على وجود موجد قديم أزلي، ليس له بداية ولا نهاية، فيدلنا هذا الصنع على وجود صانع كما جرى بين رسول الله ﷺ وبين العجوز لما سألها عن ربها، حركت الدولاب الذي هو المغزل فتحرك، ثم أوقفت يدها عن تحريكه فتوقف، فقال ﷺ هذه المرأة عرفت ربها.

يعني كما أن هذا الدولاب المغزل لما حركته تحرك، ولما أوقفته وقف، فإذا كان شأن المغزل لا يتحرك إلا إذا حركته وإذا وقفت توقف، فكيف بدوران الليل

---

(١) البحار للشيخ المجلسي ٤/ ٢٣٠، الإحتجاج للشخ الطبرسي ١/ ٢٩٩.

والنهار والشمس والقمر والأفلاك والأنس والجن والخلق أجمعين، فمن يحركهم ومن يديرهم، فلابد من مؤثر ومدبر لهذا الكون وهو الله سبحانه وتعالى.

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((بم عرفت ربك؟ فقال عليه السلام: مما عرفني نفسه، فقيل وكيف عرفت نفسه؟ فقال عليه السلام: لا تشبهه صورة، ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال شيء له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، و خارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج، سبحانه من هو هكذا، ولا هكذا غيره))[1]

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في التوحيد معنعنا قال حدثنا هشام بن سالم، قال: حضرت محمد بن النعمان الأحول فقام إليه رجل فقال له: ((بم عرفت ربك؟ قال بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته، قال: فخرجت من عنده، فلقيت هشام بن الحكم فقلت له: ما أقول لمن يسألني فيقول لي بم عرفت ربك؟ فقال: إن سأل سائل فقال: بم عرفت ربك؟ قلت: عرفت الله جل جلاله بنفسي لأنها أقرب الأشياء إليّ، وذلك أني أجدها أبعاضاً مجتمعة، وأجزاء مؤتلفة، ظاهرة التركيب، متبينة الصنعة، مبينة على ضروب من التخطيط والتصوير، زائدة من بعد النقصان، وناقصة من بعد الزيادة، قد أنشأ لها حواس مختلفة، وجوارح متباينة من بصر وسمع وشام وذائق ولامس، مجبولة على الضعف والنقص والمهانة، لا تدرك واحدة منها مدرك صاحبتها، ولا تقوى على ذلك، عاجزة عند اجتلاب المنافع إليها، ودفع المضار عنها، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له، وثبات صورة لا مصور لها، فعلمت أن لها خالقاً خلقها، ومصوراً صورها، مخالفاً لها على جميع جهاتها قال الله عز وجل ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾))[2]

---

(١) الهداية للشيخ الصدوق ١٥، الكافي للشيخ الكليني ١/ ٨٦، التوحيد للشيخ الصدوق ٢٨٥، المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١/ ٢٣٩.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ٢٨٩، البحار للشيخ المجلسي ٣/ ٤٩.

وأيضاً ذكر عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام أنه قال: ((إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم ونقض الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أن المدبر غيري))[1]

فندرك بالدلالة العقلية أو الإلزامية، على أنه لابد لهذا الصنع من صانع وهو الله سبحانه وتعالى، ولكن نسأل ونقول هل الآثار توصلنا إلى معرفة ذاته عزَّ وجلَّ أم لا؟

الجواب لا. فالآثار تدلنا على أنه موجود، عليم سميع، بصير قادر، ولكن كيف وكم وجوده وقدرته وحياته وسمعه وبصره فلا، لأن الصفات الذاتية هي عين الذات جلَّ جلاله، كما أن الذات لا تدرك، كذلك الصفات الذاتية لا تدرك

فالصفات الذاتية لله عز وجل صفات استدلال، أي نستدل بها على وجود قديم سميع بصير حي قيوم... إلخ، ولكن هذه الصفات لا تكشف عن كنه وحقيقة ذات الله عز وجل.

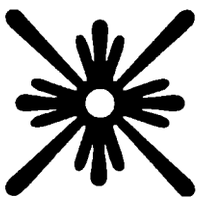

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٢٨٨.

إيّاك ثم إياك أن تدعي معرفة علم الله، ومعرفة قدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وكرمه، إذ لا فرق بينها وبين ذاته، كما أن معرفة الذّات محال، فكذلك صفاته الذاتية، فمن عرف تعلق علمه تعالى بالمعلومات، وأدرك كيفيته فقد عرف الذات، ومن ادعى ذلك فهو مشكل ❁

❁ صفاته وذاته سواء في المعرفة

كما تقدم الكلام أن صفاته الذاتية هي عين ذاته، بلا فرق واختلاف في المصداق والمفهوم والاعتبار، قل علم أو قل ذات، هما شيء واحد من قبيل الأسماء المترادفة، فكما أنه لا يمكن إدراك ذات الله جل وعز، كذلك صفاته لا يمكن إدراكها لأنها هي الذات سبحانه

لذا روي علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: ((هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى، وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الأزمان، فقال له السائل: فتقول: إنه سميع بصير؟ قال: هو سميع بصير: سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه، أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: إنه سميع بكله لا أن الكل منه له بعض، ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى، قال له السائل: فما هو؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرب وهو المعبود وهو الله، وليس قولي: الله إثبات هذه الحروف: ألف ولام وهاء، ولا راء، ولا باء، ولكن ارجع إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها، ونعت هذه الحروف وهو المعنى، سمي به الله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود

عزَّ وجلَّ، قال له السائل: فإنا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعاً، لأنا لم نكلف غير موهوم، ولكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق، الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار إليهم، أنهم مصنوعون وأن صانعهم غيرهم، وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيها بهم، في ظاهر التركيب والتأليف، وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد

إذ لم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها، قال له السائل: قد حددته إذ أثبت وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكني أثبته، إذا لم يكن بين النفي والإثبات منزلة، قال له السائل: فله إنية ومائية؟ قال: نعم لا يثبت الشيء إلا بإنية ومائية. قال له السائل: فله كيفية؟ قال: لا لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة، ولكن لابد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله، ومن شبهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين، الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لابد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره، ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره. قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة، لأن صفة المخلوق الذي لا تجيئ الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الإرادة والمشيئة، فعال لما يشاء))[1]

فمن أدرك كيفية علمه تعالى بالمعلومات كما يدعيه البعض والعياذ بالله، أو أدرك أن وجوده هو عين وجودنا والاختلاف بيننا وبينه بالماهية، أي كما أننا نختلف بين الحيوان والجماد والنبات وبين الإنسان في الماهية، ونتفق في الوجود كذلك الرب والعياذ بالله على حد قولهم نتفق معه في الوجود ونختلف عنه في الماهيات، كما ذهب إلى هذا الرأي بعض الفلاسفة في اعتقاده بوحدة الوجود في غالب كتبه

---

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج١ـ ص٨٣ـ ٨٥، التوحيد ١٤٤، البحار للسيخ المجلسي ٤/ ٧٠.

صراحه كما هو يتحدث عن نفسه في كتابه، بعدما ينقل رأي بعض الفلاسة الأوائل في وحدة الوجود، يعقب عليها وهذا نص كلامه ((من أن جميع الوجودات الإمكانية والأنيات الارتباطية التعلقية اعتبارات وشئون للوجود الواجبي، وأشعة وظلال للنور القيومي، لا استقلال لها بحسب الهوية، ولا يمكن ملاحظتها ذواتا منفصلة، وأنيات مستقلة، لأن التابعية والتعلق بالغير والفقر والحاجة عين حقائقها، لا أن لها حقائق على حيالها عرض لها التعلق بالغير والفقر والحاجة إليه بل هي في ذواتها محض الفاقة والتعلق، فلا حقائق لها إلا كونها توابع لحقيقة واحدة، فالحقيقة واحدة وليس غيرها إلا شؤونها وفنونها وحيثياتها وأطوارها ولمعات نورها وضلال ضوئها، وتجليات ذاتها

كل ما في الكون وهم أو خيال أو عكوس في المرايا أو ظلال[1]

انظر بعين الإنصاف بين كلام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وبين كلامه تدرك التفرقة، ويعنون بالوجود الوجبي ذات الله عز وجل عن ذلك علوا كبيراً، وأن جميع الممكنات أي المخلوقات هي شؤنه وظلاله وأشعته، لا استقلال لها عن ذاته عز وجل، أي الخلائق وهو تعالى شئ واحد، بلا اختلاف إلا بالصور والماهيات والعياذ بالله تعالى

ومعنى الشعر أن كل ما في الكون هو وجوده، فالخلائق مثل المرآة التي تعكس الشاخص، والساخص عندهم ـ والعياذ بالله تعالى ـ هو الله عز وجل أو هي مثل الظل للشاخص بالنسبة لذات الباري عز وجل، حتى تعلم ما يقول الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي وتلامذة هذه المدرسة وما يقول غيرهم، وتدرك حينئذ من يتبع الحق محمداً وآل محمد عليهم السلام ومن يتبع غيرهم.

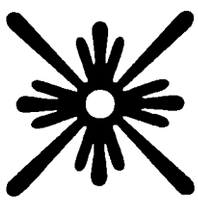

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ صدر الدين محمد الشيرازي ـ ج١ ـ ص٤٦ ـ ٤٧.

فقد وقع بيني وبين واحد من الفضلاء مناظرة، يعجبني نقلها وهي أنه بعد ما جرى بيني وبينه كلام كثير، انجر الكلام إلى مسألة العلم، وكانت المسألة بيننا أن الأعيان هل هي مجهولة أم لا؟ فقال لي: كيف علم الله سبحانه إذا علم المعلومات، فالعلم لا يكون بلا معلوم؟ قلت له: إن تسأل عن علم الذات، أي العلم الذي هو من صفات الذات، فلا أعلمه بوجه من الوجوه، ولا يمكن لي التكلم فيه أبداً، و قولك إن العلم لا يكون بلا معلوم في الإمكان صحيح، العلم يحتاج إلى معلوم، وأما في الأزل فلا أعلم، والذي أعلم أنه واحد وليس معه في رتبة ذاته أحد، ولا شيء كان (كان الله ولم يكن معه شيء)[١] فقال لي: الفرق بيننا وبينكم إنا نعلم ومطلعون على كيفية علمه ووجه تعلقه بالمعلوم، وأنتم لا تعلمون، وليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، قلت له: قولك حسن، والفرق الذي بينته أحسن، نحن نقر و نعترف بجهلنا، ونعلم أننا لا نعلم، فجهلنا جهل بسيط، وأنتم لا تعلمون، ولا تعلمون أنكم لا تعلمون، فجهلكم جهل مركب، و يكفينا فخراً و فرقاً أننا نتبع نبينا ﷺ، و نقول كما قال (ما عرفناك حق معرفتك)[٢] وأنتم تتبعون المخالف وأمثاله، حيث ادعيتم معرفة الذات، وإدراك العلم الذي هو الذات ❁

❁ محاورة للمؤلف

المشكلة عند القوم أنهم يقيسون الحق القديم جلَّ وعلا بخلقه، وهذا المسلك

---

(١) الفصول المهمة في أصول الإئمة للحر العاملي ١/ ١٥٤، البحار للشيخ المجلسي ٥٤/ ٢٤٣. الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (كان الله وام يكن معه شئ).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

كثير في عقائدهم وآرائهم الفلسفية، مع العلم أنه روى التأكيد على لسان الشرع أنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ وقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بقوله ((كنهه تفريق بينه وبين غيره))[1]

وأيضاً العقل يحكم بأن القديم غير الحادث من كل الجهات، فما يصدق على القديم يسلب من الحادث وكذا العكس

فلو صدق القديم على الحادث في جهة من الجهات، للزم أن يصدق من كل جهة وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، أي ما المرجح أن يصدق على هذه الجهة دون غيرها.

ومن هذا المسلك العقيم قياسهم علم المخلوق بعلم الخالق القديم، مع العلم أنهم يثبتون في كتبهم أن الله سبحانه لا يدرك وليس كمثله شيء، ولكنهم عند التطبيق نجدهم يخالفون ما يذكرون، ومن ذلك ما جرى بين السيد كاظم قدس الله نفسه الزكية وبين الغير، حيث جرت محاورة في الأعيان الثابتة من السماء والأرض والأنس والجماد والحيوان وكل شيء ما حولنا من المعلومات.

فالسائل يسأل السيد كاظم ويقول له: هل الأعيان الثابتة أي الماهيات والصور من الأرض والأنس والشجر والحجر والمدر وغيرها موجودة أم معدومة؟ ولما يسأل هذا السائل يريد أن يجر السيد كاظم إلى الاعتراف برأيه، لأنه إن قال إنها معدومة خالف الواقع، وإن قال إنها موجودة لزم تعلق العلم بالمعلوم، لأنه لا يمكن للمعلوم بلا علم، وللعلم بلا معلوم، ومما لا شك فيه أن الحق سبحانه عالم بكل المعلومات التي منها الأعيان الثابتة، فعلى ذلك يكون تعلق علمه الذاتي جل وعلا بالمعلوم، وهي الأعيان الثابتة، أجابه المؤلف السيد كاظم رضوان الله عليه، إن قصدت تعلق العلم بالمعلوم في الذات، أي تعلق علمه الذاتي بالمعلوم الذي هو غيره من الحوادث والمخلوقات، فهذا لا نعلمه أي لا نعلم كيفية علمه الذاتي بالمعلومات،

---

(١) عيون أخبار الرضا للشخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار ٤/ ٢٢٨.

هل كان بالانطباع أم الوقوع أم حصولي أم حضوري أم لدنى كما نعرفه نحن الحوادث؟ لأن علمه الذاتي عين ذاته، فإذا ادعينا معرفة علمه الذاتي فقد أحطنا بالذات، والإحاطة بالذات أنت وغيرك يقول الذات لا تحاط ولا تدرك.

وقال الإمام الصادق عليه السلام ((كان الله ولم يكن معه شيء))[١] وإن قصدت بتعلق المعلوم بالعلم في الإمكان والمخلوقات فنحن نعلم به، أنه لابد للعلم من معلوم، وللمعلوم من علم بالبداهة، وأن العلم الحادث ينقسم إلى تصور وتصديق، وإلى حضوري وحصولي وإحاطة وغير ذلك

فأجابه البعض وقال له: الفرق بيننا وبينكم أننا مطلعون على كيفية تعلق علمه بالمعلوم، وأنتم لا تعلمون، وليس على من لا يعلم حجة على من يعلم

فأجابه السيد قائلاً له: جواب حسن، والفرق الذي ذكرته أحسن، فنحن نقر ونعترف بجهلنا، في معرفة تعلق علمه الذاتي بالمعلومات الخارجية، ونحن نعلم أننا لا نعلم، حيث إننا من جهة العقل والنقل علمنا أن الذات المقدسة وصفاتها الذاتية لا تدرك ولا تحاط لأنها عين الذات، فجهلنا جهل بسيط، أما أنتم ما تعلمون وما تعلمون أنكم لا تعلمون، فجهلكم جهل مركب، ويكفينا فخراً أننا في جهلنا في معرفة علم الله الذاتي اتبعنا رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: ((ما عرفناك حق معرفتك))[٢]

وأنتم في ادعائكم معرفة كيفية علمه الذاتي اتبعتم المخالفين لأهل بيت العصمة عليهم السلام حيث جسموا الذات جل وعلا، وجعلوا له عينين، ولساناً وشفتين، وله رجل يضعها في النار، حتى تقول قط قط قد امتليت، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

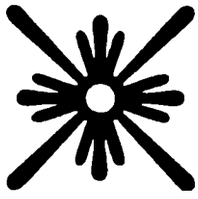

---

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام للحر العاملي ١/ ١٥٤، البحار للشيخ المجلسي ٥٤/ ٢٣٤.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤.

الحاصل الحق في المسألة هو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الطريق مسدود، والطلب مردود، دليله آياته ووجوده إثباته))[١] وقال عز من قائل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢] ❁.

❁ سنريهم آياتنا

كما تقدم من عدم إحاطة إدراك الذات جل وعلا، لما نص عليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة اليتيمية بقوله ((السبيل مسدود، والطلب مردود، دليله آياته، ووجوده أثباته))[٣]

السبيل أي طريق معرفة الذات مسدود عقلاً ونقلاً كما تقدم، فالدليل عليه سبحانه إنما هو عن طريق الآثار والأفعال المطروحة في الكون، وأما إثبات وجوده جلَّ وعزَّ فعن طريق إيجاد الخلائق، وفطر أجناس البدائع، بأن هذه المصنوعات فقيرة محتاجة، فلا بد لمن يسد احتياجها في كل شيء، والمسد لاحتياجها لا يكون مثلها، فلو كان مثلها للزمه ما لزمها من التركيب والإحتياج، بل هو القديم الغني المطلق، الذي لا يحتاج إلى شيء أبداً، وهو الله سبحانه وتعالى.

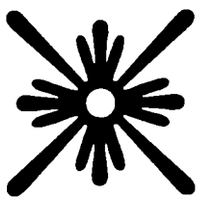

(١) كشكول الشيخ أحمد الإحسائي ٢/ ٣٦٠.

(٢) سورة فصلت، آية (٥٣).

(٣) كشكول الشيخ أحمد الإحسائي ٢/ ٣٦٠.

وحقيقة هذه المسألة، قد بينها مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بأتم بيان، وأحسن لسان بقوله: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مشرك، ومن عرف التوحيد فهو ملحد، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر)[١] فذكر روحي فداه: معرفة المحال، ومعرفة الواجب التي نحن مكلفون بها، بكلامين بليغين مختصرين ❁.

❁ شرح بعض خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

قوله: عليه السلام

(من سأل عن التوحيد فهو جاهل)

يعني من سأل عن معرفة ذاته جلَّ وعزَّ فهو جاهل، لأن العالم لا يسأل عن كيفية الذات، لأنها لا تحاط ولا تدرك عقلاً ونقلاً كما تقدم، كمن يسأل عن شئ لا يعرف صفته، بأن يقول من هذا؟ فيقال له من تقصد؟ فيقول من هذا فقط؟ فيقال لهذا السائل جاهل، لأنه يسأل عن شيء لا يعرفه.

وقوله: عليه السلام

(ومن أجاب عنه فهو مشرك)

أي الذي يجيب عن كيفية ذات الله جلَّ وعلا فقد أجاب عن غيره، لأنه كما ذكر لا يمكن لأحد إدراكه من أشرف المخلوقات وأولها وهم محمد وآل محمد عليهم السلام إلى آخر مراتب الوجود، فالمجاب عنه هو غير الله سبحانه وتعالى، وإذا أجاب عن غير الله بأنه هو الله فقد أشرك في عبادة وتوحيده لله سبحانه وتعالى.

قوله: عليه السلام

((ومن عرف التوحيد فهو ملحد))

---

(١) جامع الشتات للخواجوئي ١٢٨.

معنى ملحد من ألحد وهو ((يدل على ميل عن استقامة، يقال ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحقّ والإيمان، وسمّي اللحد لأنه مائل في إحد جانبي الجدث. يقال: لحدت الميت وألحدت))[1] أي من ادعى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى بأي كيفية من علمه ووجوده وقدرته وصفاته الذاتية فقد ألحد في توحيده سبحانه، أي اتخذ إلهاً غيره وألحد عن معرفته تعالى، لأن المعروف هذا الموصوف بهذه الصفات هو غير الله سبحانه، وهو يعتقد أنه الخالق سبحانه، فقد ألحد واتخذ إلهاً آخر والعياذ بالله، وهذا شأن من يدعي معرفة ذات الله وصفاته الذاتية من المسلمين وغيرهم، ويترك مذهب أهل العصمة عليهم السلام.

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٥/ ٢٣٦.

ونعم ما قال الاعرابي في المقام: «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، أ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، لا تدلان على اللطيف الخبير».

ومختصر الكلام أن المراد من المعرفة بالآيات والآثار، وفي هذا المقام مراتب ومقامات، لا ينبغي ذكرها للعوام، ولا ينتفعون منها، فالترك أولى إذ وضع الرسالة وتأليفها لهم ولإنتفاعه ❁

❁ الطريق الوحيد للمعرفة في الآثار

الخلاصة من الكلام أنه لابد للعباد من معرفة الله سبحانه، لأنها العلة التي من أجلهم خلقوا، كما قال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]

ومعرفة الذات محال كما ذكرنا من قبل، فلم يكن ثمة طريق لمعرفته سبحانه إلا عن طريق آثاره، وأنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام.

فأعظم الآيات وأكبرها وأجلها وأقربها إلى معرفة الحق هم محمد وآل محمد عليهم السلام، كما ورد في بصائر الدرجات للشيخ محمد الحسن الصفار ((حدثنا أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير وغيره عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت جعلت فداك إن الشيعة يسئلونك عن تفسير هذه الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: فقال ذلك إلى إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم، قال: فقال لكني أخبرك بتفسيرها قال: فقلت عمَّ يتسائلون قال: فقال هي في أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين يقول ما لله آية أكبر مني، ولا لله من نبأ عظيم أعظم مني، ولقد عرضت ولايتي على الأمم الماضية فأبت أن تقبلها، قال: قلت له: قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، قال: هو والله أمير المؤمنين عليه السلام))[2]

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) الكافي للشيخ الكليني ١/ ٢٠٧، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٣/ ١٥٩، البحار =

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((نحن الآيات ونحن البينات))[١]

فمحمد وآل محمد عليهم السلام هم الآيات الكبرى، والطرق إلى معرفة الحق سبحانه، والروايات والآيات مشحونة بهذا المعنى، أوردنا منها وسنورد إن شاء الله تعالى فيما بعد

= ٣٦/ ٢، البصائر للصفار ٩٦.

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي التمازي الشهرودي ١/ ٤٦٣.

الفصل التاسع في معرفة صفات اللَّه جل وعلا

اعلم أنّك قد عرفت سابقاً، أنّ الله خلق الخلق لمعرفته وعبادته، فالمعرفة هي العلة الغائيّة للخلق، وعرفت أيضاً أن معرفة كنه ذاته وحقيقته محال وممتنع، لا فرق بيننا وبين نبينا ﷺ الّذي هو أشرف وأعلم الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين في ذلك، فانحصر تكليفنا بالمعرفة في الآثار والأفعال، فنستدل بالمخلوق على الخالق، كما إذا رأينا سريرا نًستدل به على وجود النّجار، وبالعمارة على وجود المعمار، وهكذا فنثبت لنا وجود صانع❁

❁ استواء الخلائق في عدم معرفة الذات

هنا خلاصة ما تقدم من أن علة إيجاد الخلائق لأجل المعرفة والعبادة، قال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]

وفي الحديث القدسي المتقدم ((كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف))[2]

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) رسائل الكركي للمحقق الكركي ٣/ ١٥٩، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ١/ ٢٢، عوالي اللآلئ لابن أبي جمهور الأحسائي ١/ ٥٥.

فالعلة الغائية من خلق الخلائق هي المعرفة، وثمرة المعرفة العبادة، وثمرة العبادة الفوز بالنعيم الأبدي وهي الجنة.

وأيضاً في ما تقدم أن معرفة ذات الله محال عقلاً ونقلاً، فالمعرفة التي من أجلها خلقنا هي معرفة الآثار والمفاعيل الدالة على وجود مؤثر وفاعل، وهو الله سبحانه وتعالى

فلو رأينا بناية مكونة من طوابق، علمنا يقيناً أن لها بانٍ بناها وشيدها، بحيث العقل يقطع بأن لكل بناية من بان، ولكل صنع من صانع، فنستدل على وجود الصانع والباني بالمصنوع والمبني، وأما معرفة ذات الله جلَّ وعلا فجميع الخلائق والكائنات، من العوالم العلوية والسفلية، الغيبية والشهودية من أفضلها وأشرفها وهو محمد وآل محمد ﷺ إلى آخرها، متساوون في عدم معرفة ذاته جل جلاله.

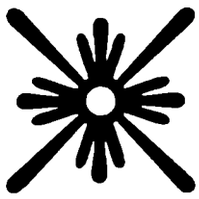

ولما لم يكن مثلك مخلوقاً فقيراً عاجزاً محتاجاً، ثبت أنّه واجب الوجود❁، ولزم أن يكون جامعاً لجميع الكمالات والمحامد، بحيث لا يكون لأحد كمال إلاّ ويكون أحسنه موجوداً فيه، وإلاّ لزم النّقص فيه لفقدان الكمال المخصوص، فكلّ ما هو كمال تثبته له، وكل ما هو نقص تنزهه منه❁❁

❁ الخالق غير المخلوق

أي لما بينا وأثبتنا وجود صانع وخالق لهذا الصنع والخلق، نثبت أن هذا الصانع الخالق غير المصنوع المخلوق في كل شيء، بحيث إن هذا الصانع يجب أن يكون قديماً عالماً حياً سميعاً بصيراً، ووجوده ذاتي غير مستفاد من الغير، وكذا بصره وسمعه وحياته وقدرته، فجميع صفاته عين ذاته، غير مستفادة من الغير فهو واجب الوجود لذاته، أي غير مستفاد الوجود من غيره، والغير كله مستفاد منه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1]

فالغني المطلق عن جميع ما سواه هو الله سبحانه وتعالى، والفقير المطلق في كل شيء هو الممكن المخلوق

❁❁ كل كمال نثبته للواجب تعالى

هذا الواجب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى، المتصف بصفات الكمال والجمال والجلال، يجب أن تثبت له كل صفة كمال، على حسب ما نراها كمالاً مثل: الحياة والسمع والبصر والقدرة والعلم والحكم والسلطة والولاية والقيومية..... الخ.

---

(١) سورة فاطر، آية (١٥).

وفي المقابل يجب أن نسلب عنه كل صفة نقص، نحن نراها نقصاً من العجز والوهن والتركيب والإحتياج وغير ذلك من صفات النقص

لأننا إذا لم نثبت له كل صفة كمال، وننفي عنه كل صفة نقص، لأصبح مثلنا، وإذا كان مثلنا للزمه ما لزمنا من الإحتياج، فيحتاج إلى غيره، من هو أقوى منه، فيثبت حدوثه لا قدمه

والكمالات الّتي تثبتها لله سبحانه هي الّتي نراها نحن كمالاً، والفاقد لها ناقصاً، لا أنه في الواقع ونفس الأمر الواجب تعالى (متصف) بذلك الكمال حاشا وكلاّ، كيف نحكم باتّصافه سبحانه بشيء، والحال أنّه لا نعرفه بوجه من الوجوه وطور من الأطوار، مثلنا مثل النّملة تثبت لله زبانتين، حيث تراهما كمالاً في نفسها وفاقدهما ناقصاً، فالّذي هو أتمّ كمال عند نفسها أثبتته لخالقها وصانعها، ولو أن صانعها منزّه مما وصفته به، كما أن وصف الله سبحانه به عندنا كفر محض، لأنّ الزّبانتين نقص وموجب للنقص عندنا، فيجب علينا أن ننزّه الواجب عنهما، فمثلنا عند من هو أعلم منّا وأعرف وأقرب من المبدأ مثل النّملة عندنا ❁

❁ كل كمال هو سبحانه أعلى وأجل منه

ذكر فيما تقدم أنه يجب علينا أن نثبت لله تعالى كل صفة كمال، وننفي عنه كل صفة نقص، ولكن إثباتنا لله تعالى كل صفة كمال، من السمع والبصر والقدرة والحياة وغيرها، هذا لا يعني أن الذات سبحانه متصفة في نفس الأمر بنفس الصفة التي وصفنا الحق تعالى بها على حسب تصورنا المخلوق من القدرة والسمع والبصر.

بمعني لما نقول الله بصير سميع، نلحظ السمع والبصر المخلوق، وننسبه إلى الله تعالى، بدعوى أنه صفة كمال، والفاقد لها صفة نقص

بمعنى هل الذات متصفة بنفس الصفة التي تصورتها بذهنك المخلوق الضعيف أم لا؟

بالطبع الله أجلَّ وأكرم وأعلا من أن يتصف بصفة أدركها المخلوق، لأننا لم نصل وندرك الذات سبحانه حتى نحكم على هذه الصفة أنه متصف بها أم لا!!

إلا أن تكليفنا إثبات صفات الكمال، وسلب صفات النقص، وأما الذات سبحانه في نفس الأمر منزه عن هذه الصفة، التي وصفت بها ربك

فحالنا في وصفه تعالى بصفات الكمال مثل حال النملة، التي تعتقد بأن لله سبحانه وتعالى زبانتين أي قرنين صغيرين، لأنها تعتقد بأن الزبانتين القرنين كمالاً للنملة، فتعتقد أن لله زبانتين قرنين وتثبتهما له جلَّ وعزَّ

روى عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال ((كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيتين، فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمهما نقصان لمن يتصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به))[١]

فالذي أعلى منا في الإيمان والمعرفة درجة، من الأنبياء والأوصياء والأولياء الصالحين عليهم السلام يرونا مثل ما نرى نحن النملة في توحيدها

فخير برهان على هذا الأمر ما روى في شأن معرفة سلمان الفارسي مع أبي ذر الغفاري رضوان الله عليهما، كما روى في بصائر الدرجات ((حدثنا عمران بن موسى، عن محمد بن علي وغيره، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقه، عن جعفر عن أبيه قال: ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: ((والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بساير الخلق، إن علم العالم صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت عليهم السلام فلذلك نسبه إلينا))[٢].

هذا وبين سلمان وأبي ذر درجة واحدة فقط، لأن الإيمان عشر درجات كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ((إن الإيمان عشر درجات، فالمقداد في الثامنة، وأبو ذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة))[٣]

---

(١) البحار للشيخ المجلسي ٦٦/ ٢٩٣، نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ١/ ٩٣، اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ١٦٩.

(٢) بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص٤٥، الكافي للشيخ الكليني ١/ ٤٠١، البحار للشيخ المجلسي ٢/ ١٩٠.

(٣) لبحار للشيخ المجلسي ٩٩/ ٢٩١.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((إن الإيمان عشر درجات، وإن سلمان في الدرجة العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، وعمار في الثامنة، والمقداد في السابعة))[١]

فإذا كان حال الرعية من المسلمين بينهم ما بينهم من التفاوت، فكيف بتوحيد الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بالنسبة إلينا لذا قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[٢] فلو فتشنا أكثر الناس إذا قيسوا بالعلماء، نجد أكثرهم عندهم تصورات لذات الله سبحانه وتعالى تعد شركاً وكفراً له سبحانه، وإن كانت هذه العقيدة مقبولة عند الله سبحانه، لأنها غاية إدرادكهم ومعرفتهم مثل النملة لما تدعي قرنين لله عزَّ وجلَّ

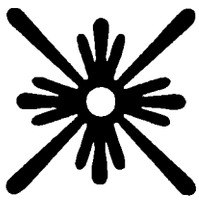

(١) عوالي اللآلئ لابن أبي جمهور ٣/ ٤٤.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠٦.

ولمّا لم يكلفنا الله بما لا طاقة لنا به، ولا نقدر على معرفة الذّات، حتّى نعرف الصّفة اللائقة به، قبل منا ما وصفناه به، وعلمناه كمالاً في أنفسنا، مالم نغير فطرتنا وطبيعتنا التي خلقنا الله عليها، لأنّ الله سبحانه خلقنا بحيث لو لم نعصِ الله، ولم نتبع الشّيطان، لعرفنا أوامره ونواهيه، ووحدناه على النّهج الّذي أراده منّا، ووصفناه بوصف لايق بجلال قدسه بحسب طاقتنا، وهذا معنى الفطرة الإسلاميّة الواردة في الأخبار ((كل مولود يولد على الفطرة لكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[1] ❁

❁ المعرفة على قدر الطاقة

إنه تقدم فيما سبق أن الله جل جلاله ما خلق الخلق إلا للعبادة والمعرفة، والمعرفة منحصرة في الآيات والأفعال المطروحة في الكون، وأن وصف الحق سبحانه من عباده يعد نقصاً بالنسبة إليه، وإن كان بالنسبة إلى الخلق يعد كمالاً ومقبولاً، لأنه سبحانه أعلى وأعلى من أن يوصف بوصف من خلقه

فالحق سبحانه لما علم ضعف الخلائق أجمع عن وصف ذاته جلَّ وعزَّ، وأن ما وصفوه منتهى إدراكهم وما يرونه كمالاً، قبل منهم الحق تعالى هذا الوصف، لأنه منتهى إدراكهم ومبلغهم من العلم، ولكن هذا الوصف الذي قبله الله سبحانه من عباده بشرط عدم تغيير فطرتهم التي فطرهم الله عليها

لأن الله سبحانه خلقنا على الفطرة، أي على التوحيد، بحيث إذا لم نغير فطرتنا التي فطرنا الله عليها كما قال سبحانه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) الخلاف للشيخ محمد الطوسي ٣/ ٥٩١، تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ٩ / ١٧٠، الدروس للشهيد الأول ٣/ ٧٩ الرواية عن النبي ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأ بواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يعرب لسانه فإما شاكراً وإما كفوراً).

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] نعرف الله عز وجل بصفاته التي وصفها لنا

فالحق سبحانه خلق الخلائق أجمع على الفطرة، أي على توحيده سبحانه وتعالى، بحيث إذا لم يغيروا فطرتهم ولم يعصوه، يعرفوا الله سبحانه معرفة حقيقية على حسب استعدادهم ومراتبهم

كما فطر الله سبحانه الحيوانات، على الأكل والمشي والجماع، وتدبير أمورهم من دون معلم يعلمهم، وكما فطر النحلة على الإتخاذ من الزهور والأشجار الرحيق، ثم إخراجه من بطنها عسلاً صافياً فيه شفاء للناس، من دون معلم عدا الله سبحانه، كما تحدث سبحانه

بقوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٢]

فالإنسان لو لم يعص يعرف الله سبحانه معرفة حقيقة، ويصفه بالوصف اللائق به على قدره، لذا قال النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))[٣] لذا قال سبحانه متحدثاً عن جواب الناس عن الخالق من هو؟ فأجابوا بالفطرة بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٤]

فالإنسان إذا رفع عنه التقاليد والعقائد الباطلة، يجاوب بالفطرة عن الخالق وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الروم، آية (٣٠).

(٢) سورة النحل، آية ٦٨ـ ٦٩.

(٣) الخلاف للشيخ الطوسي ٣/ ٥٩١، الدروس للشهيد الأول ٣/ ٧٩، الكافي ٢/ ١٣، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٣١.

(٤) سورة لقمان، آية (٢٥).

معنى الأبوين

الأبوان في هذا الحديث (فأبواه) لهما ثلاثة معاني هي:

الأبوان الجسمانيان

هما الأبوان الجسمانيان، وهما أب وأم الإنسان، اللذان ولداه وأخراجاه إلى الدنيا، فظاهر الحديث يشير إليهما، لأنهما هما اللذان يؤثران في المولود، إما إلى الحق أو الباطل

فالذي يتولد من أبوين مسلمين ينشأ مسلماً غالباً، والذي ينشأ من أبويين يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين، ينشأ يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً غالباً.

وهذا ما نراه في الواقع، المسلم يخلف أولاداً مسلمين، واليهودي يخلف أولاداً يهوديين، والمسيحي النصراني يخلف أولاداً مسيحيين نصرانيين، والمجوس يخلف أولاداً مجوسيين، وكذا الهندوسي والبوذي يخلفان هندوسيين وبوذيين غالباً

وقولنا غالباً لنخرج من سبقت له العناية بالهداية، أو من سبقت له الشقاوة والعياذ بالله، بأن يرتد عن الإسلام إلى الكفر

فالقرآن الكريم نجده كثيراً ما يذكر دليل أهل الكفر على الكفر، وعبادة الأصنام إنهم ألفوا آباءهم ضالين ووجدوا آباءهم على عادة، وهم عليها سائرون

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]

﴿بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2]

﴿قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[3]

---

(١) سورة لقمان، آية (٢١).

(٢) سورة الزخرف، آية (٢٢).

(٣) سورة الأنبياء، آية (٥٣).

الأبوان النورانيان

الأبوان النورانيان هما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما وعلى فاطمة الزهراء وأبنائهما الطاهرين الصلاة والسلام، فرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام هما الأبوان النورانيان، كما قال رسول الله ﷺ ((يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدك سادة في الدنيا، وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزَّ وجلَّ))[١]

فالأبوان النورانيان هما أصل كل خير وفضل ومعروف وبر وتقوى وصلاح، لأنهما أصل الخير ومدنه ومنتهاه كما قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة ((إن ذكر الخيرة كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه))[٢]

فأول ما خلق الله سبحانه وتعالى نور محمد رسول الله ﷺ كما روي عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال ((نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير))[٣]

وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته))[٤].

وروى الشيخ محمد الكليني عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله الصغير، عن محمد بن إبراهيم الجعفري، عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار، الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ٧٥٥، البحار للشيخ المجلسي ١٦/ ٣٦٤.
(٢) البحار للشيخ المجلسي ٩٩/ ١٣٢، مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ٦٥٣.
(٣) للشيخ المجلسي ١٥/ ٢٤.
(٤) نفس المصدر.

الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين، في عبد الله وأبي طالب عليه السلام))[١].

انظر إلى الرواية الأولى عن جابر الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول ((خلقه الله ثم خلق منه كل خير)) وفي الرواية الثانية أنه (نور الأنوار، الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً) تدلان على أن كل خير وصلاح وبر وتقوى فأصلة من محمد وعلي عليهما السلام وعلى الصديقة فاطمة وعلى أبنائهما المعصومين سلام الله تعالى، فنور الأنوار له مادة وصورة، فمادته رسول الله صلى الله عليه وآله وصورته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والصورة هي المظهرة للمادة فلولا الصورة لما ظهرت المادة، ولولا علي بن أبي طالب عليه السلام لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ولما كملت نبوته، فإكمال الدين وإتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام

كما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله في الولاية لعلي عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]

فمن أجاب الله سبحانه وتعالى بأمر الولاية لأمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء وأبنائهما المعصومين عليهم السلام خلقت صورة من فاضل باطن نور الأنوار، ومن أنكر ولايته خلقت صورته من عكس ظاهر فاضل ظاهر نور الأنوار، قال سبحانه عن هذه الحقيقة ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[٣]

فالموالي لصورة نور الأنوار خلق على أحسن صورة، والمخالف له خلق على أبشع وأقبح صورة من ظاهر العذاب

فأمير المؤمنين عليه السلام هو النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون قال تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾[٤]

---

(١) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ٤٤٢، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٥/ ٢٤.
(٢) سورة المائدة، آية (٦٧).
(٣) سورة الحديد، آية (١٣).
(٤) سورة النبأ، آية (١ ـ ٢ ـ ٣).

فالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون هو أمير المؤمنين عليه السلام كما في زيارته عليه السلام ((السلام عليك أيها النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون، والسلام على الصديق الأكبر، السلام عليك أيها الفاروق الأعظم))[١]

فمن وافق باطنه ودخل المدينة من بابها، ووالاه فقد دخل الجنة والرحمة، وخلقت صورته من عليين من الجنة، ومن خالفه وعانده وبغضه خلقت صورته من سجين من النار والعياذ بالله

فاختلاف صور الخلائق على حسب الإجابة والإنكار في ولاية أمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء وأولادها الطاهرين عليهم السلام.

فمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام فقد بر والديه، لأن المؤمن خلقت مادته من فاضل نور رسول الله صلى الله عليه وآله وصورته من فاضل نور أمير المؤمنين عليه السلام

كما روي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال لي: ((يا سليمان إن الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، فاتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله الذي خلق منه))[٢]

قوله: عليه السلام ((خلق المؤمن من نوره)) من نور الأنوار وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام: ((وصبغهم في رحمته)) أي أظهرهم أي صورهم، كما أن الصبغ يظهر الجدار من اللون الفاتح والغامق والحسن والقبيح كذلك المؤمنين، فالمؤمن صبغ وصور بالرحمة وهو أمير المؤمنين عليه السلام والدليل على ذلك قوله عليه السلام: (المؤمن أخو المؤمن) لاشتراك مادتها وصورتها من مصدر واحد، وهما رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام وعلى فاطمة الزهراء وأبنائهما السلام.

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ٧٤٢، المزار للشيخ المفيد ٧٨.

(٢) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ١/ ١٣١، بصائر الدرجات للشيخ محمد بن حسن الصفار ١٠٠، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٦٤/ ٧٣.

والصبغة عبارة عن العنوان والظهور للشيء من الشقاوة والسعادة لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1]

أي أفضل وأحسن صبغة يتصبغ بها المؤمن هي صبغة الله تعالى، وهي ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، لأن الشيء لا يعرف إلا بالصبغة التي ينصبغ بها من البياض والسواد والحنطي وغير ذلك، هذا بالنسبة للجسم، وأما بالنسبة للدين فأفضل صبغة هي ولاية أهل البيت عليهم السلام حتى يعرف المؤمن بولائهم عليهم السلام كما قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ((معروفين بتصديقنا إياكم))[2]

فخلقت مواد الخلق من رسول الله صلى الله عليه وآله، وصورهم من أمير المؤمنين عليه السلام

ولعل البعض يقول إن المادة والصورة هما نفس تحقق الشيء، فالمادة والصورة هما شيء ونفس واحدة، فكيف يكونان اثنين؟ من رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام

نقول لهم إن رسول الله و أمير المؤمنين هما نفس واحدة، أمير المؤمنين هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[3]

مع العلم أن في المباهلة مع نصارى نجران، هم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، فنساؤنا هي فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبناؤنا هما الحسنان عليهما السلام، وأنفسنا هما رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فأمير المؤمنين نفس رسول الله صلى الله عليه وعلى آلهما الصلاة والسلام

وتقدم فيما سبق الرواية عن الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ((وخلق نور الأنوار، الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام))[4]

---

(١) سورة البقرة، آية (١٣٨).

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ٦٥١.

(٣) سورة آل عمران، آية (٦١).

(٤) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ٤٤٢، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٥/ ٢٤.

انظر إلى قوله عليه السلام (حتى افترقا) أي كانا في عالم الأنوار نور واحد، من مادة وصورة، ولما نزلا إلى عالم الشهادة، افترقا إلى عبد الله وأبي طالب عليهما السلام.

لذا أمير المؤمنين عليه السلام احتج على عمر بن الخطاب وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص بقوله عليه السلام ((فهل فيكم أحد أنزل الله (عزَّ وجلَّ) فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة، وجعل الله (عزَّ وجلَّ) نفسه نفس رسوله غيري؟ قالوا: لاه.

حديث احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام مع القوم

ويحبذ من باب التبرك أن ننقل الإحتجاج الذي احتجّ به أمير المؤمنين عليه السلام مع القوم لما فيه من أظهار فضائله المباركة وهو قال: أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا الحسن ابن علي بن زكريا العاصمي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله العدلي، قال: حدثنا الربيع ابن يسار، قال: حدثنا الأعمش، عن سالم بن أحمد الجعد، يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه: أن عليا عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتا ويغلقوا عليهم بابه، ويتشاوروا في أمرهم، وأجلهم ثلاثة أيام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم، قتل ذلك الرجل، وإن ترافق أربعة وأبى اثنان قتل الاثنان، فلما توافقوا جميعا على رأي واحد، قال لهم علي بن أبي طالب عليه السلام: ((إني أحب أن تسمعوا مني ما أقول، فإن يكن حقاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فأنكروه. قالوا: قل. قال: أنشدكم بالله ـ أو قال: أسألكم بالله ـ الذي يعلم سرائركم، . ويعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد آمن بالله ورسوله وصلى القبلتين قبلي؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم من يقول الله (عز وجل): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾

سواي؟، قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نصره أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وكفله غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد زين أخوه بجناحين في الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد وحد الله قبلي، ولم يشرك بالله شيئا؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فهل فيكم أحد عمه حمزة سيد الشهداء غيري؟، قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد زوجته سيدة نساء أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ابناه سيدا شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه والسنة مني؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد سماه الله (عز وجل) في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ناجى رسول الله ﷺ عشر مرات، يقدم بين يدي نجواه صدقة غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، ليبلغ الشاهد الغائب ذلك» غيري؟ قالوا: لا. قال. فهل فيكم رجل قال له رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً غدا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه» وذلك حيث رجع أبو بكر وعمر منهزمين، فدعاني وأنا أرمد، فتفل في عيني، وقال: «اللهم اذهب عنه الحر والبرد» فما وجدت بعدها حراً ولا برداً يؤذياني، ثم أعطاني الراية، فخرجت بها، ففتح الله على يدي خيبر، فقتلت مقاتليهم وفيهم مرحب، وسبيت ذراريهم، . فهل كان ذلك غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال لهَ رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي، وأشدهم لي ولك حبا، يأكل معي من هذا الطائر» فأتيت فأكلت معه غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «لتنتهن يا بني وليعة، أو لأبعثن عليكم رجلاً كنفسي، طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يعصاكم ـ أو يقصعكم ـ بالسيف)» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «كذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم من سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة وفيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، ليلة القليب، لما جئت بالماء إلى رسول الله ﷺ غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له جبرئيل عليه السلام: «هذه هي المواساة» وذلك يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: «انه مني، وأنا منه» فقال جبرئيل عليه السلام. «وأنا منكما،» غيري؟ قالوا: لا. قال. فهل فيكم أحد نودي به من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي» غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم من يقاتل الناكثين

والقاسطين والمارقين على لسان النبيﷺ غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: «إني قاتلت على تنزيل القرآن، وستقاتل أنت على تأويله» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد غسل رسول اللهﷺ مع الملائكة المقربين بالروح والريحان، تقلبه لي الملائكة، وأنا أسمع قولهم، وهم يقولون: «استروا عورة نبيكم ستركم الله» غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم من كفن رسول اللهﷺ ووضعه في حفرته غيري؟، قالوا: لا. فهل فيكم أحد بعث الله (عز وجل) إليه بالتعزية حيث قبض رسول اللهﷺ وفاطمةعليها السلام تبكيه، . إذ سمعنا حسا على الباب، وقائلاً يقول، نسمع صوته ولا نرى شخصه: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ربكم (عز وجل) يقرئكم السلام، ويقول لكم: إن في الله خلفا من كل مصيبة، وعزاء من كل هالك، ودركا من كل فوت، فتعزوا بعزاء الله، واعلموا أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وأنا في البيت وفاطمة والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا إلا رسول اللهﷺ مسجى بيننا، غيرنا؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ردت عليه الشمس بعد ما غربت، أو كادت، حتى صلى العصر في وقتها غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أمره رسول اللهﷺ أن يأخذ براءة بعد ما انطلق أبو بكر بها فقبضها منه، فقال أبو بكر بعدما رجع: «يا رسول الله، أنزل في شيء» فقال له: «لا، إنه لا يؤدي عني إلا علي» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم من قال له رسول اللهﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، ولو كان بعدي نبي لكنته يا علي» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: «إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا كافر» غيري؟ قالوا: لا. قال: أتعلمون أنه أمر بسد أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول اللهﷺ: «ما أنا سددت أبوابكم، ولا أنا فتحت بابه، بل الله سد أبوابكم، وفتح بابه» قالوا: نعم. قال: أتعلمون أن رسول اللهﷺ ناجاني يوم الطائف دون الناس، فأطال ذلك، فقال بعضكم: «يا رسول الله، إنك انتجيت عليا دوننا» فقال رسول اللهﷺ: «ما أنا انتجيته، بل الله (عز وجل) انتجاه»؟ قالوا: نعم. قال: أتعلمون أن رسول اللهﷺ قال. فغا) الحق بعدي مع علي، وعلي مع الحق، يزول الحق معه حيثما زال»؟

قالوا: نعم. قال: فهل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وإنكم لن تضلوا ما اتبعتموهما واستمسكتم بهما))؟ قالوا: نعم. قال: فهل فيكم أحد وقي رسول الله ﷺ بنفسه، ورد مكر المشركين به واضطجع في مضجعه، وشرى بذلك من الله نفسه غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم حيث آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه أحد كان له أخاً غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ذكره الله (عز وجل) بما ذكرني إذ قال:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ غيري؟، فهل سبقني منكم أحد إلى الله ورسوله؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد آتى الزكاة وهو راكع ونزلت فيه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد برز لعمرو بن عبد ود حيث عبر خندقكم وحده، ودعا جمعكم إلى البراز فنكصتم عنه، وخرجت إليه فقتلته، وفت الله بذلك في أعضاد المشركين والأحزاب غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ترك رسول الله ﷺ بابه مفتوحاً في المسجد، يحل له ما يحل لرسول الله ﷺ، ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ فيه، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول الله (تعالى): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ غيري وزوجتي وابني؟، قالوا: لا. فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب)) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «ما سألت الله (عز وجل) لي شيئاً إلا سألت لك مثله» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد كان صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب من تحت قدميه فرمى به في وجوه الكفار فانهزموا، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قضى دين رسول الله ﷺ وأنجز عداته، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد اشتاقت الملائكة إلى رؤيته، فاستأذنت الله (تعالى). في زيارته، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ وأداته غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد استخلفه

رسول الله ؟ﷺ في أهله، وجعل أمر أزواجه إليه من بعده، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد حمله رسول اللهﷺ على كتفه حتى كسر الأصنام التي كانت على الكعبة غيري؟، قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد اضطجع هو ورسول اللهﷺ في لحاف واحد إذ كفلني. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: (أنت صاحب رايتي ولوائي في الدنيا والآخرة) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد كان أول داخل على رسول اللهﷺ وآخر خارج من عنده لا يحجب عنه، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه وفي زوجته وولديه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

إلى سائر ما اقتض الله (تعالى) فيه من ذكرنا في هذه السورة غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلى آخرها

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾

إلى آخر ما اقتص الله (تعالى) من خبر المؤمنين غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله (عز وجل) فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة، وجعل الله (عز وجل) نفسه نفس رسوله، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾.

لما وقيت رسول الله ليلة الفراش، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد سقى رسول اللهﷺ من المهراس لما اشتد ظمأه، وأحجم عن ذلك أصحابه، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: «اللهم إني أقول كما قال موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾

إلى آخر دعوة موسى عليه السلام إلا النبوة، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد هو أدنى الخلائق لرسول اللهﷺ يوم القيامة، وأقرب إليه مني، كما أخبركم بذلكﷺ

غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «إن من شيعتك رجلاً يدخل في شفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت وشيعتك هم الفائزون، تردون يوم القيامة رواء مرويين، وعدوك ظمأ مظمئين» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «من أحب هذه الشعرات فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله (تعالى)، ومن أبغضها وآذاها فقد أبغضني وآذاني، ومن آذاني فقد آذى الله (تعالى)، ومن آذى الله (تعالى) لعنه الله وأعد له جهنم وساءت مصيرا» فقال أصحابه: «وما شعراتك هذه، يا رسول الله؟» قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين، وأنت الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، الذي يفرق بين الحق والباطل» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد طرح عليه رسول الله ﷺ ثوبه وأنا تحت الثوب وفاطمة والحسن والحسين، ثم قال: «اللهم أنا وأهل بيتي هؤلاء، إليك لا إلى النار» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ بالجحفة بالشجيرات من خم: «من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله (تعالى) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد كان رسول الله ﷺ بينه وبين زوجته، وجلس بين رسول الله ﷺ وبين زوجته، وقال له رسول الله ﷺ: (لا ستر دونك يا علي) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فتحت حصنها، ثم مشى به ساعة ثم ألقاه، فعالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يقلوه من الأرض، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: (أنت معي في قصري، ومنزلك تجاه منزلي في الجنة) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: (أنت أولى الناس بأمتي من بعدي، والى الله من والاك، وعادى الله من عاداك، وقاتل الله من قاتلك بعدي) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد صلى مع رسول الله ﷺ قبل الناس سبع وستين شهرا غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «إنك عن يمين العرش يا علي يوم القيامة، يكسوك الله (عز وجل) بردين: أحدهما

أحمر، والآخر أخضر» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أطعمه رسول الله ﷺ من فاكهة الجنة لما هبط جبرئيل عليه السلام، قال: (لا ينبغي أن يأكلها في الدنيا إلا نبي أو وصي نبي) غيري؟، قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت أقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضية، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت قسيم النار، تخرج منها من آمن وأقر، وتدع فيها من كفر» غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال للعين وقد غاصت: «انفجري» فانفرجت فشرب منها القوم، وأقبل رسول الله ﷺ والمسلمون معه فشرب وشربوا وشربت خيلهم وملأوا رواياهم، غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطا من حنوط الجنة فقال: «أقسم هذا أثلاثا: ثلثا لي حنطني به، وثلثا لابنتي، وثلثا لك» غيري؟ فقالوا: لا. قال: فما زال يناشدهم، ويذكرهم ما أكرمه الله (تعالى) وأنعم عليه به، حتى قام قائم الظهيرة ودنت الصلاة، ثم أقبل عليهم فقال: أما إذا أقررتم على أنفسكم، وبان لكم من سببي الذي ذكرت، فعليكم بتقوى الله وحده، أنهاكم عن سخط الله، فلا تعرضوا ولا تضيعوا أمري، وردوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم ﷺ وسنتي من بعده، فإنكم إن خالفتموني خالفكم نبيكم ﷺ، فقد سمع ذلك منه جميعكم، وسلموها إلى من هو لها أهل وهي له أهل، أما والله ما أنا بالراغب في دنياكم، ولا قلت ما قلت لكم افتخاراً ولا تزكية لنفسي، ولكن حدثت بنعمة ربي وأخذت عليكم بالحجة، ثم نهض إلى الصلاة. قال: فتآمر القوم فيما بينهم وتشاوروا، فقالوا: قد فضل الله علي بن أبي طالب بما ذكر لكم، ولكنه رجل لا يفضل أحداً على أحد، ويجعلكم ومواليكم سواء، وإن وليتموه إياها ساوى بين أسودكم وأبيضكم، ولو وضع السيف على أعناقكم، لكن ولوها عثمان، فهو أقدمكم ميلا، وألينكم عريكة، وأجدر أن يتبع مسرتكم، والله غفور رحيم))[1]. صلى الله عليك وعلى ابن عمك رسول الله ﷺ، وعلى زوجتك فاطمة الزهراء وولديك الحسن والحسين والأئمة المعصومين من ذريتك المباركة عليهم السلام.

---

(١) الأمالي ـ الشيخ الطوسي ـ ص ٥٤٥ ـ ٥٥٠، حلية الأبرار السيد هاشم البحراني ٢/ ٣٣٠.

الآباء الظلمانيون

الآباء الظلمانيون عكس الأبوين النورانيين، فكما أن النورانيين أول وأصل كل خير، الظلمانيون أول وأصل كل شر في الوجود، فهم أصل كل معصية وفجور وخراب وفساد في العالم، لأنهم أول من أجاب بنعم في سؤال الله تعالى للخلائق في عالم الذر حينما قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١]

فأول من قال نعم لست بربنا ومحمد نبينا وعلي وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام أولياؤنا وأئمتنا هم، فلما أجابوا بنعم جواب النفي، تبعهم أولياؤهم من الخلق، كما تبع الأبوين النورانيين في الإجابة ببلى أولياؤهم من الخلق إلى الخير، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٢]

فكل معصية عصى الله بها من أول الخلق إلى آخره فهم شركاء معه إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[٣]

فلو أن الخلق اتبعوا الحق وأهله وهم محمد وآل محمد عليهم السلام، لأكلوا من فوقهم ومن تحتهم وعاشوا أفضل عيشة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[٤]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار))[٥]

ولكن بإنكار المنكرين خولف الحق واتبع الباطل، قال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٦]

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٧٢).
(٢) سورة الشورى، آية (٧).
(٣) سورة يس، آية (١٢).
(٤) سورة الجن، آية (١٦).
(٥) الرسالة السعدية للعلامة الحلي ٢٣، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢/ ٣٥، الفضائل لشاذان بن جبرائيل القمي ١١٢.
(٦) سورة يونس، آية (٣٥).

قال رسول الله ﷺ: ((علي مع الحق، والحق مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض))[١]

ولكن الخلق شأنه الخلاف والمخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ﴾[٢]

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه عدة أحاديث في فضل أمير المؤمنين عليه السلام، قال: حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله، قال: حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا عبد الله بن الحسن المؤدب، قال: حدثنا أحمد بن علي الأصبهاني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا جعفر بن الحسن، عن عبد الله بن موسى العبسي، عن محمد بن علي السلمي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((في علي خصالاً، لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً: قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقوله ﷺ: علي مني كهارون من موسى. وقوله ﷺ: علي مني وأنا منه. وقوله ﷺ: علي مني كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. وقوله ﷺ: حرب علي حرب الله، وسلم علي سلم الله. وقوله ﷺ: ولي علي ولي الله، وعدو علي عدو الله. وقوله ﷺ: علي حجة الله وخليفته على عباده. وقوله ﷺ: حب علي إيمان، وبغضه كفر. وقوله ﷺ: حزب علي حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان. وقوله ﷺ: علي مع الحق، والحق معه، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض. وقوله ﷺ: علي قسيم الجنة والنار. وقوله ﷺ: من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل))[٣].

والكثير الكثير من القرآن الكريم، من آية الولاية والمباهلة والتطهير وإطعام الطعام التي تشهد بفضل أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الصحابة مطلقاً.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ١٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥٣).

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ١٤٩ـ ١٥٠.

فكما أن المصاحبة والمعاشرة تغير الطبيعة وجداناً، كذلك المعصية وعدم اتباع أوامره ونواهيه تغير الفطرة السّليمة، يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، والأشياء الّتي حكم العقل السّليم بنجاستها ورجاستها حسناً، فيكون كافراً

❁ المعاصي تغير الفطرة السليمة

لما ذكر السيد كاظم قدس الله نفسه المباركة بأن المكلف يصف الله سبحانه بكل صفات الكمال، وينفي عنه كل صفات النقص، لأنه مخلوق على الفطرة، والفطرة هي التوحيد، أي لو خلى الإنسان وفطرته من دون عادات وتقاليد واعتقادات باطلة راسخة في ذهنه، لاعتراف بالتوحيد رأساً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]

لكن الخق غيروا تلك الفطرة التي فطرهم عليها، بسبب عدم اتباع الحق، وإظهار الفواحش والمعاصي

فإن هذه الأعمال الفاسدة، تفسد الفطرة السليمة وتغيرها، فترى الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، كما هو الحال عند بعض المجتمعات الكافرة والعياذ بالله، يرون الزنا واللواط مع رضا الطرفين، وعدم الغيرة على الأهل من رقي المجتمعات والحضارة، ويرون التخلف رفض الجنسين ذلك، ويرون النجاسة طهارة والطهارة نجاسة، وولاية الأب على أسرته ظلم، إلى غير ذلك من القوانين الوضعية التي وضعوها، المخالفة لرسالة السماء والفطرة

فكما أن المخالطة والمعاشرة لشخص سيء الخلق، كشارب الخمر وفاعل الفواحش، يؤثر في صاحبه وصديقه وملازمه وأن لم يفعل فعله.

فكيف إذا مارس الإنسان نفسه المعاصي، من شرب الخمر والزنا والسرقة

---

(١) سورة إبراهيم، آية (١٠).

والظلم، فإن ذلك يكون أكبر لتغيير الفطرة السليمة حتى تكون فطرته معوجة، وهذا أمر واضح لمن راقب سيرة أصحاب المعاصي والقتلة، تراهم يرون المعصية فخراً، والطاعة ضعفاً وجبناً وهزيمة، فهؤلاء الذين غيروا فطرتهم لا يصلحوا أن يصفوا الله سبحانه بالصفات التي يرونها كمالاً، لأن هذه الصفات التي وصفوا بها الله سبحانه معوجة منحرفة باطلة، وهم يظنون أنها كمال، لأنهم غيروا فطرتهم السليمة، فلا يعتد بوصفهم هذا، فكل ما يصدر عنهم من الوصف باطل، لأنه عكس الحق والكمال

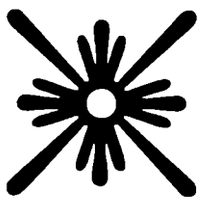

ولذا بعث الله أناساً طاهرين مطهرين معصومين من الخطايا والمعاصي، وهم الأنبياء الّذين لم يعصوا الله طرفة عين، ولم تتغير فطرتهم من الهيئة الّتي خلقهم الله عليها، بل بسبب كثرة الطّاعة والعبادة أنوار علومهم ومعارفهم ساعة بعد ساعة في التّرقي والتّضاعف، ولذا أظهر الله سبحانه في كلامه المجيد الرضا عنهم في وصفهم ربهم وخالقهم وصانعهم، وأعرض عن المشركين والكفّار، ونزّه نفسه عما وصفوه به، قال تعالى شأنه ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1] يعني إن الله منزّه ومبرئ عمّا وصفه به المشركون والكفار، إذ وصفهم لا يليق بجناب قدسه وجلال عزّه وعظمته، إلاّ وصف عباده المخلصين، لأن وصفهم بطور الفطرة السّليمة، وغاية بذل الجهد في المعرفة، وأنا أجل وأعظم من أن أكلف بما لا يطاق ❁

❁ وصف الأنبياء على الفطرة

لما كان أغلب الخلق غيروا فطرتهم بسبب المعاصي وارتكاب الفواحش، لم يقبل وصفهم لله سبحانه وتعالى بفطرتهم المعوجة، فأتى الله جل جلاله بأناس طاهرين مطهرين معصومين، من الخطأ والنسيان والزلل، لم يغيروا فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وهو الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يصفونه بكل صفة كمال، وينفون عنه كل صفة نقص، لأن وصفهم موافق للحق والفطرة التي فطرهم عليها، بل بسبب عبادتهم وطاعتهم، تزداد نورانية فطرتهم وصفائها، فيكونون قريبين من الله سبحانه فيصفونه بما يحق له، وينفون عنه كل مالا يليق بجلاله.

لذا سبحانه نزه نفسه عن وصف العصاة والجهلاء، ومدح وصف الأنبياء والعباد

---

(١) سورة الصافات، آية (١٥٩ ـ ١٦٠).

المخلصين بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾[1]

فالحق تعالى منزه ومبرء من وصف المشركين والكفار والعصاة، لأن وصفهم بالفطرة المعوجة المغيرة فوصفهم باطل.

واستثنى سبحانه من الوصف، وصف عباده المخلصين، الذي استخلصهم لنفسه، وجعلهم رسله وأنبياءه وأوصياءه عليهم السلام.

---

(١) سورة الصافات، آية (١٥٩ ـ ١٦٠).

ولما نفي الله سبحانه وصف المشركين، وأثبت وصف المخلصين، وتوهم من ذلك، أن نفيه ربما لكون وصف المشرك بخلاف الواقع، وإثباته لكونه موافقاً للواقع ونفس الأمر والحقيقة، أزال هذا التّوهم بقوله ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ يعني إن هذا التّوهم فاسد، وإن ربك رب العزّة والجلالة منزّه ومبرء عن جميع ما يصفه عباده المخلصون، وملائكته المقربون، وأنبياؤه المرسلون، حتّى نبينا محمّد المصطفى وأوصيائه الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، لأن جميع الخلق مشتركون في عدم معرفتهم، بأن صانعهم ماهو وأيُّ شيء؟ إنّما يرون الآثار ويستدلون بها على المؤثر، فلا توصل الآثار إلى حقيقته وكيفيته وكميته أبداً ❁

❁ ما عرفناك حق معرفتك

إن الحق سبحانه وتعالى لما نفى وصف المشركين والكافرين وعوام الناس، الذين غيروا فطرتهم، وأثبت مدح ووصف الأنبياء وعباده المخلصين، كما قال سبحانه في ذلك ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قد يتوهم متوهم ويقول إنما نفى الحق تعالى وصف المشركين والكافرين، لأن وصفهم خلاف واقع صفات الذات تعالى، وأثبت وصف الأنبياء والعباد المخلصين، لأن وصفهم موافق لصفات الله الذاتية التي هي عين ذاته.

فالله جلَّ جلاله أزل هذا الوهم، والتخيل الفاسد، بأنه كما أن وصف المشركين غير موافق لوصف ذات الله وصفاته الذاتية، كذلك وصف الأنبياء والأوصياء والعباد المخلصين أيضاً غير موافق لوصف ذات الله وصفاته الذاتية بقوله سبحانه ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

أي أن ذات الله وصفاته الذاتية منزه ومبرء من أن يصفه الخلق، مهما كانوا في

القرب إلى الله سبحانه وتعالى حتى نبينا محمدﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرينعليهم السلام، لا يدركون ذات الله سبحانه،

فمحمد وآل محمدعليهم السلام في معرفة الذات سبحانه كمعرفة أقل الخلق وأدناهم الذي هو الجماد سواء، كما أن أهل العصمةعليهم السلام لا يدركون الذات وصفاته الذاتية التي هي عين الذات، كذلك بقية الخلق مطلقاً لا يدركون الذات والصفات الذاتية كما قالﷺ ((ما عرفناك حق معرفتك))[1] فإذا كان محمد وآل محمدعليهم السلام هكذا فكيف بسائر الخلق الذي هم أدنى رتبة وأقل مقاماً، وخلقوا من فاضل أنوارهمعليهم السلام؟

نعم التفاضل والتكامل في المعرفة في رتبة الآثار والأفعال فقط أما الذات فلا، كما قال أمير المؤمنينعليه السلام ((السبيل مسدود، والطلب مردود، دليله آياته، ووجوده أثباته))[2]

فالدليل عليه سبحانه بالآثار والمفاعيل لا غير، أما معرفة ذاته وصفاته الذاتية كيف هي؟ أي هل علمه الذاتي حصولي، أو حضوري، أو تصوري، أو تصديقي، أو انكشافي أو غير ذلك؟ وهل يقع على المعلوم أم لا؟ مثل الحوادث وكذا بقية صفاته الذاتية تعالى، فلا يعلم كيف هو إلا هو.

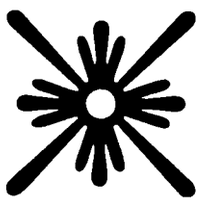

---

(١) البحار ١١٠/ ٣٤.

(٢) كشكول الشيخ أحمد الأحسائي ٢/ ٣٦٠.

إن قلت: إن الله وصف نفسه لنا، وهو عالم بحقيقة نفسه وذاته، فيكون وصفه لنا وصف النّفس الأمري

قلنا: إن الله سبحانه عالم بذاته وحقيقته، وقادر على وصف نفسه وذاته، لكن لا يكلف الخلق إلاّ بما يتمكنون من فهمه وإدراكه وتعقله، وكيف يتمكنون من إدراك القديم؟ وإلاّ لزمت المفاسد السّابقة ❁

❁ وصْف نفسه تعالى ليس دليلاً على معرفة ذاته

قد البعض يقول إن الحق تعالى وصف نفسه لعباده، بأنه هو السميع البصير القادر الحي القيوم الحليم العليم الجواد الكريم المتين الباسط. . . . الخ

فالحق سبحانه لما يصف نفسه لنا، هو أعلم بنفسه، فيكون وصفه لنا، وصف بنفس الشيء الذي نعلمه من العلم والبصر والسمع. . . . الخ

وعلى ذلك يكون وصفنا إياه تعالى، بأنه السميع العليم القادر الحي القيوم حقيقياً، واقعاً على ذاته المباركة

أجاب السيد كاظم قدس الله نفسه المباركة، إن الحق تعالى عالم بنفسه وبصفاته، وقادر على وصف نفسه لنا، فوصفه نفسه تعالى لنا لئلا تعطل الذات سبحانه من الصفات الكمالية، لأنه تعالى إذا لم يصف نفسه بهذه الصفات لا نعرفه بالصفات الكمالية، وهذا يؤدي إلى التعطيل، والتعطيل يوجب النقص، والنقص يوجب الحدوث والخلق والعياذ بالله تعالى

إذن تكليف الله سبحانه لنا بإثبات الصفات الكمالية عن طريق الآثار فقط، أما لو فرضنا أن التكليف هو إثبات الصفات الذاتية له عزَّ وجلَّ بالذات، يكون تكليف بما لا يطاق، لأنه لا يمكن للخلق إدراك القديم، بأي وجه من الوجوه مطلقاً، لأنه كما ذكر من قبل لا توجد نسبة بين القديم والحادث مطلقاً، وإلا لزم إدراك الذات والعياذ بالله تعالى، لأننا حسب الفرض لو وصفنا ـ نحن الخلق ـ الصفات الذاتية في القدم لزم إدراكنا الذات سبحانه وهذا خلف

لا جرم وصف نفسه بما يفهمونه، وجعل ما يدركونه ويتعقلونه ويفهمونه وصفاً لنفسه، ورضي بذلك، كوصف النّملة لله زبانتين، ولا نستبعد ذلك، إذ النّملة أمة مثلنا، وكما أن بيننا أنبياء وأوصياء وكتب، ومطيع وعاصي، وكافر ومؤمن، كذلك النّملة وغيرها، فما وصفت به النّملة صانعها هو ما أخبرها به النّبي بقدر قابليتها وفهمها، وما أخبر به النّبي ليس من عند نفسه، بل هو ما أخبره به الله عزَّ وجلَّ، والله سبحانه لا يخبر إلاّ ما تطيق به تلك الأمة وتفهمه، كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[1] فثبت أنه لا يمكن للممكن أن يصف الله تعالى على ما هو عليه، من الوصف اللائق بذاته المقدّسة، ولا يصل أحد من الخلق إلى ما هنالك أبداً❁

❁ وصْف الحق تعالى بما يفهمه الخلق

بعد ما ذكر أن وصف الله سبحانه نفسه وصفاته لخلقه، إنما هو بقدر قابلياتهم وإدراكاتهم، وهذا الوصف لا يصل إلى ذات الله سبحانه، لأنه أجل وأعلى من أن يصفه الواصفون، فما في الحدث لا يصل إلى ما في القدم بأي وجه من الوجوه.

فلما وصفه الخلق على حسب إدراكاتهم وتعقلهم و إمكانياتهم من السمع والبصر والقدرة والقدم. . . . الخ، قبل منهم هذا الوصف ورضيه منهم.

كما قبل من النملة وصفها، بأن له سبحانه تعالى زبانتين أي قرنين، لما تراه في نفسها أن الزبانتين كمالاً للمتصف بهما، ونقصاً للفاقد لهما، كما في الرواية عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حيث يقول ((ولعلّ النمل الصغار تتوهم أن لله زبانيتين، فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما))[2]

---

(١) سورة إبراهيم، آية (٤).

(٢) البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٦٦/ ٢٩٣، نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري =

ولعلّ البعض يقول إنها نملة والنملة لا يعتد بها، ولا بتوحيدها، يقول السيد كاظم لا يقال هذا القول بأنها نملة ولا يعتد بتوحيدها، لأنها خلق من خلق الله سبحانه، وأمة من الأمم المكلفة، من قبل أنبياء الله تعالى على حسبها، فما قاله النبي لها وفهمته من النبي يعتد به ويجزى عليه، لذا كثير من الحيوانات يدخل الجنة مثل حمار يعفور، وكلب أهل الكهف، وذئب يوسف، كما روى في تفسير علي بن إبراهيم: قال الصادق عليه السلام: ((لا يكون في الجنة من البهائم سوى حمارة بلعم ابن باعورا، أو ناقة صالح، وذئب يوسف، وكلب أهل الكهف))[١]

وذئب يوسف معناه وسببه كما قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((أنه بعث ملك ظالم رجلاً شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذبهم، وكان للشرطي ابن يحبه، فجاء الذئب فأكل ابنه، فحزن الشرطي عليه، فأدخل ذلك الذئب الجنة، لما أحزن الشرطي))[٢]

وفي المحاسن رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام لابنه محمد حين حضرته الوفاة: ((إني قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجة، فلم أقرعها بسوط قرعة، فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج، إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله، فلما نفقت حفر لها أبو جعفر عليه السلام ودفنها))[٣].

إذا الحيوانات وغيرهم هم أمة مثلنا، لها تكليفها من الله سبحانه، على لسان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، مثل حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك (لما بني مسجده كان فيه جذع نخل إلى جانب المحراب يابس عتيق، إذا خطب يستند عليه، فلما اتخذ له المنبر، وصعد حن ذلك الجذع كحنين الناقة إلى فصيلها، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله فاحتضنه فسكن من الحنين))[٤]

= ١/ ٩٣، اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ١٦٩.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨/ ١٩٥.

(٢) مجمع البحرين الشيخ الطريحي ٢/ ٣٩٨، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٣/ ٣٧٨.

(٣) المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ٢/ ٦٣٦.

(٤) البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٧/ ٣٦٥.

حتى الجمادات هي أمة مثلنا لها تكليفها كما روي من معاجز رسول الله ﷺ، بعد ما غزا تبوك ((كان معه من المسلمين خمسة وعشرين ألفاً سوى خدمهم، فمر ﷺ في مسيره بجبل يرشح من أعلاه إلى أسفله من غير سيلان، فقالوا: ما أعجب رشح هذا الجبل؟ فقال: إنه يبكي، قالوا: والجبل يبكي؟

قال: أتحبون أن تعلموا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: أيها الجبل مم بكاؤك؟ فأجابه الجبل وقد سمعه الجماعة بلسان فصيح: يا رسول الله مر بي عيسى بن مريم وهو يتلو ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1] فأنا أبكي من ذلك اليوم خوفاً من أن أكون من تلك الحجارة، فقال: أسكن مكانك فلست منها، إنما تلك حجارة الكبريت، فجف ذلك الرشح من الجبل في الوقت، حتى لم ير شيء من ذلك الرشح، ومن تلك الرطوبة التي كانت))[2]

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3]

فالنملة وغيرها من الحيوانات والجمادات كلها مكلفة من قبل الله سبحانه على لسان أنبيائه وأوصيائه عليهم السلام، كما أننا معاشر البشر مكلفون من قبل الله سبحانه على لسان رسله وأوصيائه عليهم السلام

لنا توحيد، للحيوانات والجمادات والنباتات لها تكليف على حسبها، فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾[4]

معنى بلسان قومه، أي بلغه قومه على اختلاف لغات الجنس الواحد، مثلاً أرسل الله النبي محمد ﷺ إلى العرب الفصحاء بلغه العرب، وإن كانت رسالته عامة

---

(١) سورة التحريم، آية (٦).

(٢) البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٧/ ٣٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية (٣٨).

(٤) سورة إبراهيم، آية (٤).

إلا أن كلامه وكتاب الله باللغة العربية، ونبي الله موسى على نبينا وآله وعليه السلام إلى اليهود وبلغه العبرية، وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام قال تعالى متحدثاً عن رسول الله ﷺ، أنه أرسله إلى العرب بالعربية من نفس العرب وقريش قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[1]

كذلك بقية المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد، يوصل إليهم الأنبياء عليهم السلام لهم على حسب لغتهم وفهمهم، كما أن في الإنسان لغات كثيرة، كذلك في الحيوانات لغات كثيرة، وأيضاً النباتات والجمادات، لأن كل شيء في الوجود له لغة خاصة به، ونطق ينطق به، كما أنه من المعروف أن اليدين والرجلين لا تنطق عندنا نحن البشر، ولكن لها لغة ونطق كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2]

وقال سبحانه متحدثاً عن تكليم الإنسان جوارحه وجلوده، لما تتكلم وتشهد عليه قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3]

ونطق الجوارح والأعضاء والجلود وشهادة الأيام والليالي، هذا نوع من التكليف، والتكليف لا يكون عن الله سبحانه مباشرة بل عن طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يوصلون إليهم من الله تعالى على حسب لغتهم.

---

(١) سورة الجمعة، آية (٢).

(٢) سورة يس، آية (٦٥).

(٣) سورة فصلت، آية (٢١).

لما نفى الله سبحانه في الآية الشّريفة، وصف الواصفين، وأثبت أنّه منزّه عن كل ما يصفون، وكان يتوهم أن وصف الأنبياء والأوصياء والعلماء والكملين وساير النّاس باطل، لأن وصفهم ليس بلايق لجناب قدسه، وأراد أن يزيل هذا الوهم الفاسد، ويبطل هذا المعنى الكاسد، قال عز من قائل ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[1] أي سلام مني ورحمة عليهم، حيث قبلت وصفهم لي، ورضيت بذلك منهم وممن تبعهم، لأنهم ما غيروا فطرتهم، ووصفوني على النهج الّذي أنا وصفت لهم، فأنا راضي بوصفهم، وأجازيهم بصالح أعمالهم، حيث لم يقصروا فيما أمروا به وخلقوا لأجله❁

❁ مدح الحق تعالى لوصف الأنبياء عليهم السلام

إنه تقدم أن كل وصف لله سبحانه وتعالى من الخلق لذاته أو صفاته الذاتية لا ينطبق عليه، فهو منزه عنه، لأنه لا يدرك ولا يحاط، لأنه غير الممكن من كل وجه، لذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2]

أي كل وصف يصفه الواصفون أياً كان، فالله سبحانه أجلّ وأعزّ أن يتصف به، فلما نفى سبحانه عن نفسه كل وصف، قد يتوهم أو يظن الظان أن وصف الأنبياء والمخلصين والكملين لله سبحانه وتعالى باطل.

وإذا كان وصف هؤلاء باطل، بطل الثواب والعقاب، وبطلت العلة التي من أجلها خلق الخلق وهي المعرفة، فأراد الله جلّ وعزّ أن يرفع هذا التوهم الباطل، من كون وصف الأنبياء والكملين غير صحيح، فمدح الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في ذيل الآية المذكورة، بأن وصفهم مقبول مرضي من قبله تعالى، لأن وصفهم على الفطرة

---

(١) سورة الصافات، آية (١٨١).

(٢) سورة الصافات، آية (١٨٠).

السليمة، التي لم يغيروها ولم يلوثوها بالمعاصي والعياذ بالله بقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ بعد ما قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ أي سلامي ورضواني وقبولي، للأنبياء والمرسلين والكملين على وصفهم إياي، على قدر قابلياتهم، واستعدادهم،

لأن هذا الوصف وصف منتهى قدرتهم وطاقتهم، وهم قاموا بجميع ما طلب منهم من الواجبات، والإنتهاء عن المحرمات، وواظبوا على المستحبات، وتركوا المكروهات على قدر طاقتهم، فوصفهم لله سبحانه مقبول

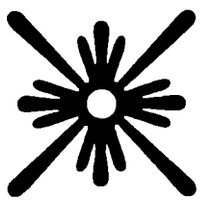

فظهر أن الصّفات الّتي نصف الله سبحانه، هي الّتي نحن معاشر الممكنات نراها ونعلمها كمالاً، وإن كانت عند من هو أعلى رتبة وأرفع منزلة نقصاً بالنسبة إليه سبحانه، كتوحيد النّملة عندنا، وتترقى هذه السلسلة متصاعدة إلى حد فوقه الواجب، وذلك الحد هو فوق الفوق ومنتهى الغايات، ولذا يقول نبينا ﷺ (ياعلي ماعرف الله إلاّ أنا وأنت)[1] يعني ياعلي لم يعرف الله سبحانه أحد كمعرفتنا إياه إلاّ أنا وأنت، وما عرفوه به فهو نقص في حق الله سبحانه، ولكن معرفتي ومعرفتك غاية معرفة الممكن، ولو كانت بالنسبة إلى معرفة ذاته المقدسة تعالى نقصاً، لكننا لسنا مكلفين بها، وغاية ما كلف به عباده، هو ماعرفناه ووصفناه به، تقدّست أسماؤه وصفاته❁.

❁ يا علي ما عرف اللَّه إلا أنا وأنت

إن المعرفة المكلفون بها نحن الخلائق أجمع، أن نصف الله سبحانه ما نراه كمالاً فينا، والفاقد له يعد نقصاً، هذا بالنسبة للأنبياء والكملين، لأنه يصفون بالفطرة التي فطرهم عليها

أما غير الأنبياء والمعصومين إذا اتبعوا الأنبياء والمعصومين في وصفهم لله تعالى وأخذوا منهم، يكون وصفهم مقبولاً وكاملاً بالنسبة إليهم، وإن لم يكن واقعياً حقيقياً بالنسبة لله تعالى، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

فالأنبياء والمعصومون عليهم السلام يرون توحيدنا ووصفنا لله تعالى نقصاً في حقه أو شركاً أو كفراً، كما أننا نحن البشر المتبعين أهل العصمة عليهم السلام، نرى توحيد النملة

---

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ١٢٥، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٤٣٩.

بادعائها أن لله زبانتين، أي قرنين كفراً بالنسبة لنا، وإن كان بالنسبة إليها توحيداً كاملاً، لذا قال تعالى موضحاً هذه النكتة بأن كل عال يرى توحيد السافل شركاً إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[1] أي أكثر الخلائق في توحيدهم وإيمانهم ووصفهم لله تعالى، بالنسبة لمن هو أعلى منهم يعد شركاً بالنسبة إليه، كما هو حال أيضاً عوام وجهلاء الناس بالنسبة للعلماء الكملين، فاغلب العوام يتصورون الله تعالى والعياذ بالله أنه نور أو شبح أو غير ذلك من المجسمات، والمخيلات، بيد أن الله تعالى ليس كمثله شيء.

فالعلماء لما يرون هذا التوحيد عند العوام، يحكمون عليه بالشرك والكفر بالله تعالى بالنسبة إليهم، وإن كان بالنسبة للعوام مقبول من قبل الله تعالى، لأنه هذا منتهى إدراكهم، فكل عالٍ يرى توحيد السافل نقصاً لله سبحانه وتعالى، إلى أن نصل إلى أعلى العالي وأكمل الكمال، وهم محمد وآل محمد عليهم السلام في معرفة الله تعالى، حيث ما وراء عبادان قرية فلا توجد ثمة معرفة أعلى منهم عليهم السلام،

لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لعلي أمير المؤمنين عليه السلام ((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت))[2]، أي ما عرف الله تعالى معرفة حقيقية، وعاليه وكاملة مثل معرفتنا، قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، في الزيارة لجامعة الكبيرة ((السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله))[3]

قال الشيخ أحمد الأحسائي الأوحد في شرح الزيارة في فقرة ((السلام على محال معرفة الله)) ((فاعلم أن كونهم محال معرفة الله إذا تنزلت عن هذا المعنى الذي أشرنا إليه له معانٍ أخر:

---

(١) سورة يوسف، آية (١٠٦).

(٢) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ١٢٥، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢/ ٤٣٩.

(٣) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ٦٤٩.

أحدها: إن الله سبحانه جعلهم خزائن معرفة الخلق سواهم، بمعنى أن كل من عرف ربه، فإنما نزلت عليه المعرفة منهم، كما قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[1]

وثانيها: إن كل معرفة عند أحد من الخلق، إنما كانت صحيحة لأنها أخذت عنهم، فهم محال معرفة غيرهم.

ثالثها: إن كل معرفة إذا لم ترد عليهم لم تتجاوز إلى الله، لأنهم هم أبواب الله لا غير، بمعنى أنها غير مطابقة للمعروف، إذ المعرفة صفة، وإذا لم تكن الصفة مقترنة بجهة الموصوف، كانت لنفسها أو لغيره، ولا جهة لله في الإمكان غيرهم.

ورابعها: إن كل معرفة إذا لم تضف إليهم وتنسب كانت عدماً، إذ لا لوجود لشيء بدون فاضل وجودهم، لأنهم علة الإيجاد يعني العلة المادية.

وخامسها: كما أن كل مادة فمن فاضل وجودهم، كذلك جميع صور الخلق، فمن هيئات الرحمة وهي هم، لأنهم علة الإنوجاد، يعني العلة الصورية.

وسادسها: أنهم عليهم السلام إذا وردت عليهم معرفة عبد، فإن ساقوها من حوضهم، استقامت معرفتها وحييت، وإلا ماتت وتفرقت ولم تكن شيئاً كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[2]

وسابعها: أنهم عليهم السلام هم المقدرون لمعارف الخلائق، والمقسمون لها بأمر الخالق، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فهذه الوجوه وغيرها في كلها هم عليهم السلام محال معرفة الله، لأن معرفة الله حينئذٍ عندهم، ومعهم وفيهم وبهم وإليهم ولهم))[3]

فمعنى مواد الخلق من فاضل وجودهم، وهم العلة المادية للخلائق، لأنه أول ما خلق الله خلق أنوارهم، ثم خلق من أنوارهم جميع مواد الخلق، وكذا صور الخلق، فمن أجاب بالولاية لهم عليهم السلام انصبغ بصبغتهم من الرحمة، وهم أصلها، ومن

---

(١) سورة الحجر، آية (٢١).

(٢) سورة الفرقان، آية (٢٣).

(٣) شرح الزيارة للشيخ أحمد الأحسائي ١/ ١٧٠.

أنكر ولايتهم صور بعكوسات أنوارهم من الظلمة، فهم العلة الصورية للخلائق، أي ما تشكلت صور الخلائق إلا بهم، فهم العلة الصورية للكائنات أجمع من سعيد وشقي

كما روي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال لي: ((يا سليمان إن الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، فالمؤمن أخو المؤمن بأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، فاتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله الذي خُلق منه))[1]

معنى بنور الله الذي خلق منه، هو نور محمدٍ وآل محمد صلى الله عليه وآله، لأن الله تعالى ليس بنور، ولا يحس كما تقدم، وخلق منه (من) هنا للتبعيض، أي أصل مادة خلق المؤمن من ذلك النور، الذي أصله محمد وآل محمد عليهم السلام، وأضاف النور إليه لشرفه، كما أضاف الكعبة إليه لشرفها

ووردت روايات كثيرة على أن ولايتهم عرضت على جميع ما خلق وذرأ، كما روى الشيخ المفيد في الاختصاص، عن عمران اليشكري، عن أبي حفص المدلجي، عن شريف بن ربيعة، عن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام، إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني أشتهي بطيخاً، قال: ((فأمرني أمير المؤمنين عليه السلام بشراء بطيخة، فوجهت بدرهم، فجاءونا بثلاث بطيخات، فقطعت واحداً فإذا هو مر، فقلت: مر يا أمير المؤمنين، فقال: «أرمي به من النار وإلى النار» قال: وقطعت الثاني فإذا هو حامض، فقلت: حامض يا أمير المؤمنين، فقال: «أرمي به من النار وإلى النار» قال: فقطعت الثالث فإذا هو مدودة، فقلت: مدودة يا أمير المؤمنين، فقال: «أرمي به من النار وإلى النار». ثم قال: وجهت بدرهم فجاءوا بثلاث بطيخات، فوثبت على قدمي، وقلت: أعفني يا أمير المؤمنين

---

(١) المحاسن للشيخ أحمد بن محمد البرقي ١/ ١٣١، بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ١٠٠، البحار للشيخ المجلسي ٦٤/ ٧٣.

عن قطعه، كأنه تأثم بقطعه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «اجلس يا قنبر فإنها مأمورة» فجلست فقطعت فإذا هو حلو، فقلت: حلو يا أمير المؤمنين، فقال: «كل وأطعمنا» فأكلت ضلعاً وأطعمته ضلعاً، وأطعمت الجليس ضلعاً، فالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «يا قنبر، إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات والأرض، من الجن، والإنس، والثمر، وغير ذلك، فما قبل منها ولايتنا طاب وطهر وعذُب، وما لم يقبل منه خبُث وردئ ونتن»[1]

فكل من قبل ولايتهم من السماوات والأرض وغير ذلك من خلق الله تعالى، خُلقت صورته على أحسن هيئة، وأصبح طيباً حلواً على حسبه، وكل من أنكر ولايتهم خبُث ونتن على حسبه في الموجودات، إذ العلة في تحديد صور الممكنات هم عليهم السلام، من السعادة والشقاوة

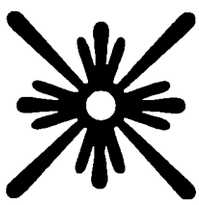

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ١٦/ ٤١٢ـ ٤١٣، الإختصاص للشيخ المفيد ٢٤٩.

الفصل العاشر
[صفات اللّه سبحانه الذاتية والفعلية]

لمّا نظرنا إلى الصّفات الكمالية رأيناها على قسمين:

القسم الأول: يلزم أن تثبته لله سبحانه في رتبة ذاته، يعني أن الذّات المقدّسة متصفة بها دائماً، ليس وقت لا تكون متصفة بها، وإلاّلزم أحد الأمرين: إما إثبات ضد تلك الصّفة إذا لم تكن هي، وإما ارتفاع الضدين.

أما الصّورة الأولى وهي الإثبات فيلزم منها النّقص، وأما الصّورة الثّانية فيلزم منها التّعطيل من الكمالات وهو من أعظم النّقايص، وهذا القسم من الصّفة يسمى [بالصّفات الذّاتيّة] يعني هي عين ذات الواجب، ولا يصح ولا يجوز سلبها من الله سبحانه كالعلم، والقدرة، والحيوة، والكرم، والرأفة، والرحمة، والحلم، والسمع، والبصر، فلا يجوز سلبها أبداً عن الواجب، إذ لا يمكنك أن تقول إن الله ليس بعالم، لأنّه إن لم يكن عالماً إما أن يكون جاهلاً أو لاعالماً ولا جاهلاً، ففي الصّورة الأولى يلزم النّقص، إذ الجهل نقص عندنا، وفي الصّورة الثّانية يلزم التّعطيل في الذّات المقدسة، وكونها معراة من الصّفات الكمالية، وهو من أعظم

النّقائص، وكذلك ساير الأوصاف الّتي كالعلم، فلزم أن يكون الواجب تعالى عالماً دائماً، أزلاً أبداً ❁.

❁ إثبات الصفات الذاتية

إنه بعدما أثبت الصفات الكمالية لله تعالى، من السمع والبصر والقدرة والقدم. . . . الخ، على حسب الفطرة السليمة التي ما تغيرت وما تبدلت من المعاصي كما ذكر من قبل.

هنا يريد السيد كاظم رضوان الله عليه، أن يقسم الصفات الكمالية التي يراها العقل السليم والفطرة التي خلق الله الناس عليها كمالاً إلى قسمين:

القسم الأول

الصفات الذاتية وهي الصفات التي هي عين ذاته جلَّ وعلا، ولازمة له بحيث لا تنفك عنه في حال من الأحوال، لأنها عينه وذاته، فإذا قلنا سميع كأننا قلنا ذات، وإذا قلنا ذات كأننا قلنا سميع وهكذا بقية الصفات الذاتية لله تعالى، فالصفات الذاتية من السمع والبصر والقدرة والقدم والحياة والكرم والعلم وغيرها، فلو لم نثبت هذه الصفات الكمالية له عز وجل لزم محذوران هما:

المحذور الأول

إذا لم نثبت هذه الصفات الكمالية نثبت ضدها ((والضدان: هما الوجوديان المتعقبان على موضوع واحد، ولا يتصور اجتماعهما فيه، ولا يتوقف تعقل أحدهما على الآخر))[1] مثل الحرارة والبرودة، والعلم والجهل، والسواد والبياض

مثلاً: إذا لم نثبت العلم يثبت الجهل، وإذا لم نثبت القدرة يثبت العجز، وإذا لم نثبت الحياة يثبت الموت، وإذا لم نثبت السمع والبصر، نثبت العمى والصمم والعياذ بالله

---

(١) منطق الشيخ المظفر ٤٨.

وإذا ثبت ضد الكمال، من الجهل والعجز والعمى والصمم والموت يثبت النقص، والنقص من صفات الحادث المخلوق، لا القديم القادر.

المحذور الثاني

وهو إذا ما اثبتنا صفة الكمال، مثل العلم وغيره، ولا ضدها من الجهل وغيره، يلزم ارتفاع الضدين، أي تكون الذات لا عالمه ولا جاهلة، ولا قادرة ولا عاجزة، ولا حيه ولا ميتة، ولا سمعية ولا صممه، ولا بصيرة ولا عمياء وهكذا.

وإذا قلنا هذا القول يلزم تعطيل الذات عن الكمالات، وإذا عطلنا الذات عن الكمالات لزم فيها النقص والعجز، وهو من أعظم النقائص التي يتصف بها المخلوق، فكيف بالخالق القديم، الموجد جميع ما سواه تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً.

روى الشيخ محمد الكليني رضوان الله عليه قال عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال للزنديق حين سأله: ماهو؟ قال: ((هو شيء بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى، وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان، فقال له السائل: فتقول: إنه سميع بصير؟ قال: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه، أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: إنه سميع بكله، لا أن الكل منه له بعض، ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير، بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى. قال له السائل: فما هو؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرب وهو المعبود وهو الله، وليس قولي: الله إثبات هذه الحروف: ألف ولام وفاء، ولا راء، ولا باء، ولكن أرجع إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها، ونعت هذه الحروف وهو المعنى سمي به الله

والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود عزَّ وجلَّ. قال له السائل: فإنا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً

قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعاً، لأنا لم نكلف غير موهوم ولكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم

والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار إليهم، أنهم مصنوعون، وأن صانعهم غيرهم، وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف، وفيما يجري عليهم من حدوثهم، بعد إذ لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلا ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها.

قال له السائل: فقد حددته إذ أثبت وجوده!!

قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكني أثبته، إذا لم يكن بين النفي والإثبات منزلة. قال له السائل: فله إنية ومائية؟، قال: نعم لا يثبت الشيء إلا بإنية ومائية. قال له السائل: فله كيفية؟، قال: لا لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة، ولكن لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله، ومن شبهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لا بد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره، ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره. قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟، قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجلَّ من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة، لأن ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيئ الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الإرادة والمشيئة، فعال لما يشاء))[1]

إذن إن الصفات الذاتية من السمع والبصر والقدم والحياة والحكيم والحليم

---

(١) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ٨٣ ـ ٨٥.

وغيرها، هي عين ذاته تعالى، فلا اختلاف لا في المفهوم ولا في المصداق، ولا حتى في الاعتبار

فالله تعالى متصف بالصفات الذاتية دائماً، فلا يكون في حالة من الأحوال والعياذ بالله غير عالم أو غير قادر، لأن القدرة والعلم والسمع هي ذاته المقدسة.

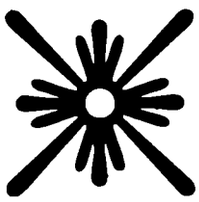

والقسم الثّاني: هو الّذي نثبته لله سبحانه في مقام الفعل، وهو إيجاد الأشياء، وننفيه عنه تعالى في مرتبة الذّات، إذ هو كمال في مرتبة الفعل، ونقص في مرتبة الذّات، فيجوز ويصح سلبه عن الله وإثباته له، كالمشية والإرادة، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأمثالها، فيصح إثباتها مرة ونفيها أخرى، كما تقول أفعل هذا الأمر إن شاء الله، وهذا دليل على أنّه بعد لم ترد ولم تشأ وإلا لكنت فاعلاً، ومثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[1]. وأمثال هذه الآيات والأحاديث والمحاورات، كما تقول: تكلم مع موسى ولم يتكلم مع زيد، خلق عمرواً ولم يخلق بكراً، رزق فلاناً ولم يرزق فلاناً، فصحة السّلب دليل على أن هذه الصّفات ليست في رتبة الذّات، وإلاّ لزم النّقص بالسلب عنها، وهو باطل بالبديهية ❁.

❁ إثبات صفات الفعل له تعالى

إنه بعدما أثبت صفات الذات له سبحانه وتعالى، هنا يثبت صفات الفعل له جل جلاله، بمعنى أن صفات الذات هي عين الذات، أي حقيقة الذات، فهي شيء واحد، والإختلاف في الألفاظ فقط كما ذكر.

وأما هنا فصفات الفعل من المشيئة والإرادة، والخلق والرزق، والإحياء والإماته، والأخذ والمنع، والإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والفعل وعدم الفعل، والإرادة وعدمها، كلها صفات لله سبحانه وتعالى، لكنها صفات فعله لا صفات ذاته المقدسة، بأن الله جلَّ جلاله شائي مريد، خالق، فاعل في رتبة فعله، لا في رتبة ذاته المقدسة.

---

(١) سورة المائدة، آية (٤١).

فلو كان الله تعالى فاعل بذاته، وخالق بذاته، ورازق بذاته، ومريد بذاته، لزم عدم تغيره عن هذه الصفة إلى غيرها من الخالقية والرازقية والمريدية وغيرها، بحيث يكون الله تعالى في حالة واحدة، فلا يمكن أن نقول حسب الفرض خلق الله أباً لعلي، ولم يخلق أباً لعيسى، ولا يصدق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]

بيد أن الحق تعالى وصف نفسه في رتبة الفعل بالفعل مرة والترك أخرى، كما في قوله تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]

ومفهوم الآية لم يرد الله أن يطهر غير أهل البيت عليهم السلام من عوام الناس، بحيث أنهم معرضون للذنوب والخطايا والأرجاس والأنجاس وعبادة الأصنام والشرك والكفر وغيرها، فالحق تعالى فاعل ومريد كما وصف نفسه، لكنه في رتبة فعله لا في رتبة ذاته

فلو كان فاعلاً بذاته لزم عدم تغيره عن صفة من صفاته، فلو اختلف فعله لزم اختلاف ذاته، واختلاف الذات تنبئ عن الحدوث، لأن كل مختلف متغير، وكل متغير حادث مخلوق

فالصفات الفعلية مثل المشيئة والإرادة والخلق والرزق والفاعلية، هي صفات كمال في رتبة الفعل، ونقص في رتبة الذات، للزومها التغير في الذات الموجب للحدوث والعياذ بالله تعالى

وهذه الآية أيضاً ظاهرة فينا، كما نقول سأشتري منزلاً إن شاء الله تعالى، وأنت

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٥).

(٢) سورة المائدة، آية (٤١).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٣٣).

بعد لم تشترِ، فلو كانت الفاعلية ذاتيه لنا، للزم كوننا دائماً مشترين، أو بائعين أو جالسين أو كاتبين، والواقع خلاف هذا، حيث إننا تارة نتصف بالشراء والأخرى بالبيع، ومرة بالجلوس وأخرى بالقيام، ومرة بالكتابة وآخر بغيرها، فهذا دليل على أن هذه الصفات في رتبة الفعل، لأن الذاتي لا يتغير ولا يتبدل من حالة إلى أخرى

ومثال ما ذكر المؤلف رضوان الله عليه، تكلم الله مع نبي الله موسى ـ على نبينا وآله و عليه السلام ـ ولم يتكلم مع سائر الخلق، رزق علياً وأفقر خالداً، أصح فلاناً وأمرض آخر، فصحه سلب الصفة وإثباتها، دليل على أنها من صفات الفعل، وإلا لزم نفي الذات بسلب الصفة نفسها منه تعالى، فلما نقول رزق علياً ولم يرزق بكراً، فرزقه الأولي إثبات للصفة له جلَّ جلاله، والثانية تنفي الذات أصلاً على اعتبار أن الصفة ذاتية، فنفي الصفة نفي للذات بالكلية، وهذا باطل بالبديهة

إذن الصفات الفعلية كالإرادة إنها من صفات الفعل لا من صفات الذات، كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

خلاصة المقام ومختصر الكلام، أن الصّفات على قسمين ذاتية وفعلية: «فالذاتية» هي الّتي تثبتها للذات، ولا يصح سلبها عنها، ولا يجوز اتصافها بضدها، كالاتصاف بالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحيوة، والإدراك، والكرم، والرحمة، والعطوفة، وعدم اتصافها بأضدادها، كالجهل، والعجز، والعمى، والأصمية، والموت، والبلادة، والبخل، والغلظة، وأمثالها.

«والفعلية» هي الّتي يجوز سلبها عن الذّات، ويصح له الاتصاف بها وبضدها، كالإتصاف بالإرادة، والمشية، والكلام، والإحياء، والإماتة، وبضد الإرادة كقوله تعالى: ﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[1]. وعدم المشية ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] وعدم الكلام، وعدم الإحياء، وعدم الإماتة، فهذه الصّفات أمور متعلقة بالخلق، فلما لم يكن الخلق في الذّات، لم تكن تلك الصّفات أيضاً.

فالصفات الذّاتية قديمة هي عين الذّات، قل علم مثلاً أوقل ذات لا فرق بينهما، كالألفاظ المترادفة كالسيف والصارم مثلاً، والصّفات الفعلية حادثة❁.

❁ تقرير في الصفات الذاتية والفعلية

إن الضابط في الصفات الذاتية التي هي عين ذاته تعالى، لا يجوز سلبها عن الذات سبحانه، بأن تقول الله تعالى ليس بعالم ولا قادر. لا حي ولا سميع ولا بصير.

---

(١) سورة المائدة، آية (٤١).

(٢) سورة الإنسان، آية (٣٠).

ولا يجوز أيضاً اتصاف الذات بضدها، بأن تقول ـ والعياذ بالله الحق تعالى ـ الباري عاجز، أوجاهل، أعمى، أصم، ميت وهكذا جلَّ ربي عن ذلك علواً كبيراً

فالصفات الذاتية هي عين الذات تعالى كما ذكره الإمام الصادق أرواحنا له الفداء في الراوية السابقة (قل علم أو قل ذات شيء واحد) لأن في الذات لا يوجد غير الذات، وإنما هذه الصفات المتكثرة للتفهم فقط، فإن الله تعالى عالم بكل شيء، قادر على كل مقدور، حي يسمع ويبصر جميع الخلق، في آناء الليل وأطراف النهار، إنه يسمع السر وأخفى.

قال مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة))[1] فلا يوجد في الذات المقدسة إلا الذات جل جلاله، وهذه الصفات تعبير على أنه عالم قادر، سميع بصير، حي قيوم، حليم حكيم. . .إلخ

شرح حديث الإمام الرضا عليه السلام

أسماؤه تعبير

أي إسم العليم السميع البصير وغيرها، إنما هي تعبير عن علمه بكل شيء، وسمعه وبصره لجميع ما سواه، وكذا في بقية صفاته سبحانه وتعالى، لا أن له سمعاً وبصراً غير ذاته تعالى، أو له سمع وبصر غير ذاته يليق به، كما تقول المجسمة والعياذ بالله تعالى.

أفعاله تفهيم

أي أن أفعاله تعالى ليس كأفعالنا، تحتاج إلى جهد ومعالجة ومباشرة، من قول أو فعل، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ومعنى كن ليس التلفظ، بأن يقول عند خلق الإنسان مثلاً كن باللفظ، بل كن تفهيم لفعله أما كيفيته فلا نعلم

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٦، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ٢٢٨.

ذاته حقيقة

أي إن ذات الله عز وجل موجود غير معدوم، لأن البعض لما يسمع أن ليس كمثله شئ قد ينفيه، وهذا باطل بل هو سبحانه متحقق ولكن ليس كمثله شئ

إذن الضابط في الصفات الفعلية أنه يجوز سلبها عن الذات وإثباتها، بحيث يجوز أن تقول رزق الله تعالى علياً، ولم يرزق خالداً، أمات جاسماً، ولم يمت جعفراً، خلق الله أباً لموسى، ولم يخلق أباً لعيسى وهكذا، قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[1] فنفى إرادته في تطهير قلوب المنافقين والكافرين، فلو كانت الإرادة قديمة ذاتية لزم نفي لنفس الذات عز وجل، على اعتبار أن نفي الذاتي نفي لجميع جزئياته، وفي آية أخرى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[2] فأثبت الإرادة تارة ونفاها أخرى، وهذا لا يكون إلا في رتبة الفعل.

لذا روي عن مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في إثبات حدوث المشيئة بأنها من صفات الفعل، وليس من صفات الذات تعالى، كما جرى بينه وبين سليمان المروزي متكلم خراسان في مجلس المأمون العباسي، كما ذكره الشيخ الصدوق رضوان الله عليه بقوله

((فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدا لك، وعليك بحسن الإستماع والإنصاف، قال سليمان: يا سيدي أسألك؟ قال الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة إسماً وصفة مثل حي وسميع وبصير وقدير؟

قال الرضا عليه السلام: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا حدثت واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليست بمثل سميع بصير ولا قدير، قال سليمان: فإنه لم يزل مريداً، قال: يا سليمان فإرادته غيره؟ قال: نعم، قال: فقد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل، قال سليمان: ما أثبت، قال الرضا عليه السلام: أهي

---

(١) سورة المائدة، آية (٤١).

(٢) سورة البقرة، آية (١٨٥).

محدثة؟ قال سليمان: لا ما هي محدثة، فصاح به المأمون وقال: يا سليمان مثله يعايا أو يكابر، عليك بالإنصاف أما ترى من حولك من أهل النظر، ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان، فأعاد عليه المسألة

فقال: هي محدثة يا سليمان فإن الشيء إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً، قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه منه وبصره منه وعلمه منه، قال الرضا عليه السلام: فإرادته نفسه؟! قال: لا، قال عليه السلام: فليس المريد مثل السميع والبصير، قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه، قال الرضا عليه السلام: ما معنى أراد نفسه أراد أن يكون شيئاً، أو أراد أن يكون حياً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً؟! قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: أفبإرادته كان ذلك؟! قال سليمان: لا، قال الرضا عليه السلام: فليس لقولك: أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى، إذا لم يكن ذلك بإرادته، قال سليمان: بلى قد كان ذلك بإرادته، فضحك المأمون ومن حوله وضحك الرضا عليه السلام، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغير عنها وهذا مما لا يوصف الله عز وجل به، فانقطع.

ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان أسألك مسألة، قال: سل جعلت فداك قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون؟! قال: بل بما يفقهون ويعرفون، قال الرضا عليه السلام: فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة وأن المريد قبل الإرادة وأن الفاعل قبل المفعول وهذا يبطل قولكم: إن الإرادة والمريد شيء واحد، قال: جعلت فداك ليس ذاك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون، قال عليه السلام: فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفة، وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل، فلم يحر جواباً))[1]

فالخلق وعدمه، والكلام وعدمه، والرزق وعدمه، والمشيئة وعدمها، كلها أمور متعلقة بالخلق، والخلق حادث مخلوق، فكل شيء يتعلق بالخلق ويباشره فهو مخلوق

---

(١) التوحيد للشيخ محمد الصدوق ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

مثله بالبداهة، لما بين المدرك والمدرك بالفتح من مناسبة، كما ذكر من قبل، ولما لم يكن بين القديم والحادث مناسبة، امتنعت أن تكون تلك الصفات من صفات الذات كما ذكره الإمام الرضا عليه السلام، وإن شاء الله سيكون للكلام تتمة في الفصل الثاني عشر في حدوث المشيئة.

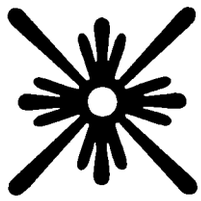

الفصل الحادي عشر
[الصفات الذاتية عين ذاته تعالى]

إياك ثمّ إياك أن تزعم أن الصّفات الذّاتية موجودة في رتبة الذّات، يعني في تلك الرتبة، علم غير الذّات، وقدرة غير الذّات، وحياة غير الذّات، حاشا وكلا ليس في رتبة الذّات شيء غير الذّات، لأن الكثرة في رتبة الذّات محال، إذا قلت علم وذات مثلاً.

أقول: إن العلم جزء الذّات، أو خارج غيرها، أو عينها، فالأول يلزم منه التركيب، والمركب محتاج، والمحتاج ممكن لا واجب.

والثّاني وهو كون العلم خارج الذّات أيضاً فاسد، إذ العلم إمّا قديم أو حادث، فإن كان قديماً لزم تعدد القدماء، وإن كان حادثاً لزم أن يصل الحادث إلى رتبة القديم وهو محال أيضاً.

والثالث وهوكون العلم عين الذّات، بحيث ليس هناك تعدد ولا كثرة، فقولك صحيح ❁

❁ الصفات الذاتية عين الذات

إنه بعد ما أثبت الصفات الذاتية بأنها عين الذات جلَّ جلاله، والصفات الفعلية

أنها في رتبة الفعل، لأنها تنفي وتثبت وهذا شأن الحادث المخلوق، وأن الذات منزه من الإثبات والنفي

عرج المؤلف قدس الله نفسه إلى تأكيد أن هذه الصفات الذاتية من السمع والبصر والعلم والحياة والقدم والحكيم والحليم والعادل وغيرها، ليست هي أجزاء الذات، والذات مركبة منها تركيب الكل من الجزء، فلو فرضنا أن صفات الذات شيء والذات جلَّ جلاله شيء آخر، لزمنا من هذا الفرض ثلاث أحتمالات هي:

الإحتمال الأول

أن تكون هذه الصفات أجراء الذات البات جلَّ جلاله، والذات مركبة من تلك الأجزاء، كما نقول النار مركبة من الحرارة واليبوسة، فلو قلنا كذلك لزم الحدوث للذات تعالى، لأن كل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق، وكل مخلوق محتاج إلى قديم يسد احتياجه، وهذا خلف

الإحتمال الثاني

أن تكون هذه الصفات أجزاء خارج الذات، بمعنى أن الذات على حده، وكل صفة على حده، من السمع والبصر والعلم وغيرها، فإن قلنا كذلك لا تخلو هذه الصفات من أمرين:

الأمر الأول:

إما أن تكون قديمه، وإذا كانت كذلك لزم تعدد القدماء المجمع على بطلانه جميع الملل والنحل، مضافٌ إلى الشرع

الأمر الثاني:

أن تكون هذه الصفات حادثة، و إذا كانت حادثه لزم أن يصل الحادث الفقير المحتاج إلى صقع القديم، أي إلى رتبة القديم وهذا باطل، لأنه لا يمكن للحادث أن يصل إلى القديم بأي وجه من الوجوه، كما أجمع على ذلك جميع الموحدين والعقلاء، لأنه لا توجد نسبة بين القديم والحادث إطلاقاً

الإحتمال الثالث

أن تكون الصفات عين الذات بلا إختلاف، لا في المفهوم ولا المصداق، ولا الإعتبار قل علم أو ذات، فهما شيء واحد، من قبيل الأسماء المترادفة كما ذكر، فهذا هو الصحيح الموافق للعقل والنقل المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

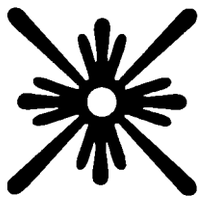

ولا تتخيل ياحبيبي أن العلم في الواجب غير القدرة، والقدرة غير الحياة، وهي غير السمع، وهو غير البصر، فهذا كفر صريح، إذ يلزم منه الكثرة والتعدد في ذات الواجب تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل كل واحد عين الآخر، فالعلم عين القدرة، وهي عين السمع، وهو عين البصر، والكل عين الذّات بلا تكثر واختلاف، إذا قلت: عالم فلا يكون قصدك منه غير الذّات البحت الواحد البسيط، بحيث لا تكثر فيه ولا تغير ولا اختلاف، وكذلك إذا قلت قادر وحي وكريم وأمثالها، فلك أن تقول إن الذّات بكلها علم وقدرة وحياة وأمثالها، لا أن لهذا الكل جزء، بل التعبير به لضيق المقام، يعني أقصد من العلم والقدرة الذّات، ومن الذّات العلم والقدرة ❁

❁ عينية الصفات عند أهل البيتعليهم السلام

لقد أكد أهل بيت العصمةعليهم السلام مراراً وتكراراً على أن الصفات الذاتية من السمع والبصر والحياة والعلم والقديم والقدرة وغيرها، هي عين الذات بلا اختلاف، لا في مفهومها ولا في مصداقها، ولا حتى في الإعتبار، فهذه الأسماء من قبيل الأسماء المترادفة، كأسماء الأسد سبع وغضنفر وعباس وليث وحيدر، والمراد منها شيء واحد وهو الأسد، كما نص عليها الإمام جعفر الصادقعليه السلام، كما يرويه الشيخ محمد الكليني بقوله عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد اللهعليه السلام ((أنه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي إلى إثبات معنى، وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان، فقال له السائل: فتقول: إنه سميع بصير؟ قال: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه

ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه، لا أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول: إنه سميع بكله، لا أن الكل منه له بعض، ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا إختلاف الذات ولا إختلاف المعنى قال له السائل: فما هو؟، قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرب وهو المعبود وهو الله وليس قولي: الله إثبات هذه الحروف: ألف ولام وهاء، ولا راء، ولا باء، ولكن أرجع إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها ونعت هذه الحروف، وهو المعنى سمي به الله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود عز وجل، قال له السائل: فإنا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعاً، لأنا لم نكلف غير موهوم ولكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم.

والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والإضطرار إليهم أنهم مصنوعون، وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف، وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعده إذ لم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها. قال له السائل: فقد حددته إذ أثبت وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكني أثبته، إذ لم يكن بين النفي والإثبات منزلة. قال له السائل: فله إنية ومائية؟، نعم: لا يثبت للشيء إلا بإنية ومائية. قال له السائل: فله كيفية؟، قال: لا لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة ولكن لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله، ومن شبهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لا بد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره، ولا يشارك فيها، ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره. قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟، قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعاني الأشياء مباشرة

ومعالجة، لأن ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الإرادة والمشيئة، فعال لما يشاء))[١]

أمعن النظر في الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، تجدها واضحة صريحة، في أن الصفات الذاتية هي عين الذات، قل علم أو قل ذات شيء واحد، بمعنى لا يوجد فرق في تعريف العلم والذات لأنها شيء واحد، فكما أنه لا إختلاف في الصفات الذاتية بينها وبين الذات جلَّ وعلا في المصاديق، كذلك لا اختلاف بينها وبين الذات في المفهومات، لأن المفهوم ينبئ عن المصداق، والمصداق يظهر المفهوم، وقول الإمام عليه السلام ((فأقول: إنه سميع بكله، لا أن الكل منه له بعض، ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا إختلاف الذات ولا إختلاف المعنى)) واضح على أن الصفات والذات هي شيء واحد، لا إختلاف بينهما في المصداق ولا المفهوم، لأن تعدد المفهوم ينبئ من تعدد المصداق عقلاً، وإذا تعدد المصداق تعدد القدماء المجمع على بطلانه.

ومع هذا التصريح من الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام نجد بعض الفلاسفة يرى أن الصفات الذاتية مختلفة المفاهيم في الذات، بأن يرى أن مفهوم السمع الذاتي، غير مفهوم البصر الذاتي، وهما غير القدم الذاتي، وهو غير العلم الذاتي، وهكذا بأن يرى تعدد المفاهيم للصفات الذاتية عن الذات، بمعنى أن لكل صفة مفهوم غير الصفة الأخرى، والصفات مفهوماتها غير الذات جلَّ وعلا

بقوله ((في إيضاح القول بأن صفات الله الحقيقية كلها ذات واحدة لكنها مفهومات كثيرة، واعلم أن كثيراً من العقلاء المدققين ظنوا أن معنى كون صفاته تعالى عين ذاته، هو أن معانيها ومفهوماتها ليست متغائرة، بل كلها ترجع إلى معنى واحد، وهذا ظن فاسد ووهم كاسد، وإلا لكانت ألفاظ العلم والقدرة والإرادة والحياة وغيرها، في حقه ألفاظاً مترادفة، يفهم من كل منها ما يفهم من الآخر، فلا فائدة في

---

(١) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ٨٣ ـ ٨٥.

إطلاق شيء منها بعد إطلاق أحدها، وهذا ظاهر الفساد ومؤدٍ إلى التعطيل والألحاد))[١]

ثم قال بعد ذلك ((فهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة مع ذاته تعالى بحسب الوجود والهوية، فهي متغايرة بحسب المعنى والمفهوم))[٢]

انظر إلى كلامه بأن جعل لكل صفة من الصفات مفهوماً مستقلاً عن الصفة الأخرى، والمعلوم أن تعدد المفاهيم ينبئ عن تعدد المصاديق كما هو يعترف به في كتبه

وأما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى تعدد المصداق والمفهوم لكل صفة من الصفات الذاتية، وعلى ذلك جزؤا الذات البات جلَّ وعلا إلى أجزاء، فالذات جلَّ وعلا عندهم مركبة من الصفات، والمعلوم عندهم وعند غيرهم أن كل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق بإجماع.

الخلاصة إن الصفات الذاتية هي عين الذات بلا إختلاف، لا في المفهوم ولا المصداق ولا حتى الإعتبار، أي يعتبر العقل أن الصفة الذاتية مثل العلم غير البصر هذا لا يجوز على الحق تعالى

نعم عندنا الخلق الصفات مختلفة بعضها عن بعض، معنى السمع غير معنى البصر، وهو غير القدرة وهكذا

أما الجليل سبحانه فلا يدرك ولا يحاط، فكيف يمكن التحدث عنه، مع العلم أنه ليس كمثله شئ مطلقاً.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار لصدر الدين الشيرازي ٦/ ١٤٥.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار لصدر الدين الشيرازي ٦/ ١٤٨.

ولما لم تقصد التّكثر والتعدد والإختلاف في رتبة الذّات، بل تقصد من هذه الصّفات عين الذّات المقدسة الكاملة، أمكنك أن تقول ليس هنالك علم ولا قدرة ولا حياة غير الذّات، يعني ذات واحدة بسيطة كاملة جلت عظمتها، بحيث لا تتطرقها كثرة ولا تعدد ولا إختلاف، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((كمال التوحيد نفي الصّفات عنه))[1] يعني: أن التوحيد الكامل، هو أن ننفي عن الواجب تعالى جميع الصّفات، أي لا نفرق بين الذّات والصّفات، بل تعتقد أن الذّات هي الصّفات، والصّفات هي الذّات، وأقصد من هذه العبارة، كالعالم، والقادر، والحي والسميع، والبصير، وأمثالها شيئاً واحداً بسيطا ❁

❁ كمال التوحيد نفي الصفات عنه

أي لما كانت الصفات الذاتية عين الذات بلا اختلاف لا في المفهوم ولا المصداق ولا حتى الإعتبار، فهي شئ واحد قل علم أو قل ذات شيء واحد، وتعريف واحد، كما قال الشاعر:

عبارتنا شتى وحسنك واحد ... وكلٌ إلى ذاكَ الجمال يشير

فيصح أن نقول ليس في الذات إلا الذات نفسها، وما هذه الصفات إلا تعبير عن الحق تعالى بأنه يسمع دعاء المضطرين، ويرى أعمالهم، ويقدر عليهم، ويعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وأنه حي غير ميت إلى آخرها من الصفات

أي التوحيد الكامل لله تعالى أن تنفي عنه جميع الصفات حتى الصفات الذاتية في رتبة ذاته، بأن تقول لا شيء في الذات إلا الذات، وهذه الصفات تعبير عن علمه واقتداره وسمعه وبصره... إلخ

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٥٦ قال أمير المؤمنين عليه السلام (ونظام توحيده نفي الصفات عنه)، وفي نفس المصدر قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (وكمال توحيده نفي الصفات عنه) ٥٧.

بمعنى أن الصفات هي بعينها الذات، والذات بعينها الصفات، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((كمال التوحيد نفي الصفات عنه))[١] وروى أيضاً الشيخ محمد الكليني في الكافي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ما رواه محمد بن الحسين، عن صالح بن حمزة، عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد

فكتب إلي بخطه: ((الحمد لله الملهم عباده حمده ـ وذكره مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله ـ: وقمع وجوده جوائل الأوهام ـ ثم زاد فيه ـ: أول الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: على م؟ فقد جهله، ومن قال: أين؟ فقد أخلا منه، ومن قال: ما هو؟ فقد نعته، ومن قال: إلى م؟ فقد غاياه، عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، ورب إذ لا مربوب، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون))[٢]

إذاً التوحيد الكامل التام أنك تنفي عن الله جلَّ جلاله كل صفة في رتبة ذاته المقدسة، بحيث تعتقد أنه لا يوجد في ذاته إلا ذاته المقدسة.

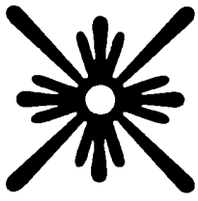

(١) الكافي للشيخ الكليني ج١/ ص١٤٠ـ ١٤١.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج١/ ص١٤٠ـ ١٤١.

وإنّما هذه العبارة تعبيرات عن الكمال، وعنوانات الشيء الواحد، فعلى هذا علمه هو ذاته، وقدرته هي ذاته وكذا الحياة، والسمع، والبصر، فكما لا يمكن درك الذّات الواجب، فكذا لا تعرف ولا تدرك صفاتها، لأنّها هي الذّات ليست غيرها، فمن أدرك علم الواجب تعالى، أو قدرته، فقد أدرك الواجب، إذ لا فرق بين الذّات وصفاتها غير العبارات، فالواجب عليك إثبات الصّفات الكمالية لله سبحانه، فإن سألوك عن كيفيتها؟ فقل لا أعلم، كما لا أعرف الذّات المقدسة، نعم أعلم أنه ليس في رتبة الذّات غيره جلّت عظمته، فقد كررت المطلب بعبارات مختلفة، حتّى يتضح لك المقام، ويرتفع النّقاب، إنه من المسائل الصّعاب، الّتي ذلت لها الرقاب، وزلت فيها أقلام الفحول، وأقلام ذوي العقول ❁.

❁ أسماؤه تعبير

أنه بعدما ذكر من أن التوحيد الكامل، أن تنفي عن الذات كل صفة مغايرة لها، بمعنى أنه لا يوجد في الذات إلا الذات المقدسة

استدرك هنا وذكر أن الصفات الثبوتية الذاتية لله تعالى، يجب إثباتها له تعالى، لئلا تعطل الذات المقدسة، لكون الصفات من السمع والبصر والقدرة والقدم وغيرهما، تعبر عنه تعالى، بمعنى أنها تعبر للخلق أنه تعالى يسمع دعاءهم، ويرى أعمالهم، ويقدر عليهم، وعالم بأحوالهم السر وأخفى، وأنه حكيم حليم غفور ودود، إلى غيرها من الصفات.

قال مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين غيره))[1]

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٨٦، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٤/ ٢٢٨.

فبين الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام روحي له الفداء، أن أسماء الله من السميع البصير القادر الحي القيوم العالم الحي وغيرها، إنما هي تعبير عنه جلَّ جلاله، وأفعاله تفهيم أي تفهيم أن الله سبحانه يفعل ما يشاء لكن ليس بمعالجة ومباشرة على حسب ما يدركون، لأنه غير ما يتصورون مطلقاً، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون

فالواجب علينا أن نثبت لله جلَّ وعلا الصفات الثبوتية، لئلا يحصل التعطيل في ذاته، ولكن في نفس الأمر الذات بريئة عن أي صفة غيرها، بمعنى أنه لا يوجد في الذات إلا الذات المقدسة

فإذا سئلنا عن صفات الله تعالى؟ نقول نعم إن لله صفات ذاتيه من السمع والبصر والقدرة والعلم وغيرها، لكن لا نعلمها ولا ندركها، كما أننا لا نعلم الذات، كذلك لا نعلم الصفات.

وهذا الباب من الأمور الدقيقة المسلك، فإدراكها يحتاج إلى توفيق من الله تعالى، ورياضة وتصفية الباطن، حتى يشرق عليه نور المعرفة في الفؤاد

فكثير من الأمور الحكمية، لا تدرك إلا بالرياضة الشرعية، من تصفية الباطن من رذائل الأخلاق، والالتزام بالمستحبات والإجتناب عن المكروهات، والاستقامة في الأمور، كما هو مبين في علم الأخلاق، وبالخصوص في كتاب الإنسانية، رسالة الإنسانية لآية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقاقي قدس الله نفسه المباركة، فعلى بساطة أسلوبه، وسلاسة عباراته، إلا أنه بحر عميق، يحتاج إلى غواص ماهر، وخبرة عالية، نسأل الله التوفيق والسداد للنيل من لآلئه، واكتشاف درره المكنونة.

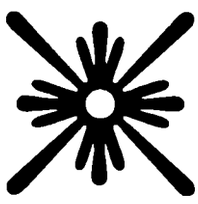

الفصل الثّاني عشر [المشيئة مخلوقة]

اعلم أن الصّفات الفعلية كلّها حادثة مخلوقة، فالمشية والإرادة من صفات الأفعال، ومن قال: إنّهما من الصّفات الذّاتية فهو مشرك ليس بموحد، قال الإمام الرضا عليه السلام: ((المشية والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحد))[1] ❁

❁ حدوث المشيئة

حينما نفتش الكتاب الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام بدون استثناء، نجدهما ينصان على حدوث المشيئة، بأن المشيئة والإرادة مخلوقتان حادثتان، أي من صفات الفعل لا من صفات الذات جل جلاله، لأنه من المعلوم أن الصفات الذاتية لله تعالى هي الثابتة له، ولا يمكن تغيرها من حال إلى حال، وإلا لزم حدوثه ونفيه تعالى، فلو فرضنا أن المشيئة من صفات الذات كما ذهب إليها الأكثر من الفلاسفة، فإذا تغيرت الصفة تغيرت الذات سبحانه، باعتبار أنها ذاته وعينه وهذا بديهي البيان، كما إذا كان عندك عجينة وصورتها على صورة باب، ثم غيرتها إلى صورة كرسي، ففي هذه الحالة يحصل نفي لصورة الباب بالكلية إلى حقيقة آخرى وهي الكرسي

فإذا قلنا بقدمية المشيئة يلزم من ذلك تغير حقيقة الذات من شيء إلى آخر وكل متغير حادث مخلوق وهذا باطل.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٣٣٨، البحار للشيخ المجلسي ٤ / ١٤٥.

رأي الكتاب في حدوث المشيئة

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]

أمعن النظر في قوله تعالى: يريد ولا يريد في الآية الأولى، فلو كانت الإرادة من صفات الذات لزم تغير الذات على أقل تقدير، والتغير من صفات الخلق، لأن كل متغير حادث، مع أن إثبات الإرادة مرة ونفيها آخرى كما في هذه الآية، يفيد نفي للذات تعالى على فرض أنها عين ذاته جلَّ جلاله، فإذا قلت الصخرة أرادت أن تكون إنساناً، ثم أرادت أن تكون ملكاً من الملائكة، فإذا كانت الإرادة ذاتية للصخرة، يقتضي نفي لجنس الصخرية مطلقاً، إلى جنس الإنسانية مرة، ثم نفي للإنسانية إلى الملائكية تارة أخرى

أما الحق تعالى فهو لا يتغير ولا يتبدل من حال إلى حال، بل هو محول الحال إلى حال، ومغير الأمور من شأن إلى شأن، كما هو ضروري الدين الحنيف.

رأي أهل البيت عليهم السلام في حدوث الإرادة

أما رأي المعصومين عليهم السلام في حدوث الإرادة، فأجلى من الشمس وأبين من الأمس، بحيث لا يحتاج إلى دليل ولا بيان، ففي غاية الظهور والبيان، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ((المشيئة محدثة))[٤]

وقال الإمام علي بن موسى الرضا أرواحنا لهما الفداء و عليه السلام ((المشيئة والإرادة

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٥).

(٢) سورة المائدة، آية (٤١).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٣٣).

(٤) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١١٠، التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٧، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٥/ ١٢٢.

من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريداً شائياً، فهو ليس بموحد))[١]

وروى عاصم بن حُميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لم يزل لله مريداً؟ قال ((إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد))[٢]

وروى صفوان بن يحي قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله، ومن الخلق.

قال: فقال عليه السلام: (الإرادة من الخلق الضمير، وما يبدوا لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروّى ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له كن فيكون بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همة، ولا تفكُّر، ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له))[٣]

أمعن النظر فيما ذكره أئمتك أئمة الهدى محمد وآل محمد عليهم السلام، في حدوث وخلق المشيئة بما لا يحتاج إلى بيان وتبيان، فهو أجلى من الشمس وأبين من الأمس، من أن المشيئة محدثة، وأن إرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، وأن من زعم ـ والزعم مطية الكذب ـ أن الله لم يزل مريداً شائياً، أي من زعم أن المشيئة والإرادة من صفات الذات فهو ليس بموحد قال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾[٤]

فلا مجال للقول بغير قول أهل بيت العصمة عليهم السلام، من قدم المشيئة إلا من اتبع غيرهم، فهنا يجوز والعياذ بالله تعالى.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٣٣٨، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٤/ ١٤٥.

(٢) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١٠٩.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٧، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٤/ ١٣٧، الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١٠٩.

(٤) سورة الملك، آية (٣ ـ ٤).

واعتقد جماعة أنّهما من صفات الذّات واستدلوا بوجهين:

الوجه الأوّل: أن الله خلق جميع الأشياء بمشيته، فلو كانت حادثة لاحتاجت للإيجاد بمشية أخرى، والأخرى أيضاً كذلك إلى غير النّهاية، ولزم منه التّسلسل وهو باطل، فلزم أن تكون من صفات الذّات يعني قديمة لا حادثة.

والجواب أن المشية لا تحتاج في إيجادها إلى مشية أخرى، بل إنما خلقت بنفسها لا بغيرها، كما قال الإمام الصّادق عليه السلام: ((خلق الله الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها)[1]

ونظيرها من قول الفقهاء، النيّة توجد جميع الأعمال بها، وأمّا هي فتوجد بنفسها، ومن قول الحكماء في الوجود يقولون إن الموجودات كلها موجودة بالوجود وهو موجود بنفسه، ونظايره كثيرة، بل إذا نظرت بعين الإنصاف والدّقة والإعتبار لم تر إلا ما ذكرناه، ومن نظر إلى عالم الحقيقة انكشفت له الأمور الدقيقة ❁.

❁ مذهب القائلين بقدم المشيئة

فعلى إجماع الآيات القرآنية المباركة، وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام في حدوث وخلق المشيئة، بأنها من الصفات الفعلية ليس من الذاتية تصريحاً وليس تلويحاً كما ذكر من قبل

نجد غالب الفلاسفة الإسلاميين الموالين يرون أن المشيئة والإرادة من الصفات الذاتية، بحيث يعدون من الصفات الذاتية السمع والبصر والقدم والعلم والإرادة،

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٨، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ١٤٥.

فيجعلونها ضمن الصفات الذاتية، والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول كما تقدم ((المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فهو ليس بموحد))[١]

وقال أيضاً الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك))[٢]

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ((المشيئة محدثة))[٣]

فعلى هذه التصريحات الغير قابلة للتأويل، نجد بعض الفلاسفة يقول ((معنى كونه مريداً أنه سبحانه وتعالى يعقل ذاته ويعقل نظام الخير الموجود في الكل من ذاته، وأنه كيف يكون وذلك النظام يكون لا محالة كائناً ومستفيضاً، وهو غير مناف لذات المبدء الأول جل إسمه، لأن ذاته كل الخيرات الوجودية كما مر مراراً، أن البسيط الحق كل الأشياء الوجودية، فالنظام الأكمل الكوني الإمكاني تابع للنظام الأشرف الواجبي الحقي وهو عين العلم والإرادة، فعلم المبدء بفيضان الأشياء عنه، وأنه غير مناف لذاته هو إرادته لذلك ورضاه، فهذه هي الإرادة الخالية عن النقص والإمكان وهي تنافي تفسير القدرة بصحة الفعل والترك لا كما توهمه بعض من لا أمعان له في الحكمة والعرفان))[٤] ثم قال بعد أسطر ((لما بينا أن مشيئة الله عين ذاته))[٥] وقال أيضاً ((ومريد بإرادة هي نفس ذاته، بل نفس علمه المتعلق بنظام الوجود))[٦] فلا تعليق بعد كلام الإمام عليه السلام والكتاب

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٨، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ١٤٥.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٧، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٤/ ١٣٧.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٧، الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١١٠، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٥/ ١٢٢.

(٤) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ صدرا الدين محمد الشيرازي ٦/ ٣١٦ـ ٣١٧.

(٥) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ صدرا الدين محمد الشيرازي ٦/ ٣١٩.

(٦) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ صدرا الدين محمد الشيرازي ٦/ ١٤٦.

دليل القائلين بقدم المشيئة

ذكر بعض الفلاسفة على قدم المشيئة بدليلين هما :

الوجه الأول في قدم المشيئة

إنه لو فرض أن المشيئة محدثة، ومن المعلوم أن الله تعالى خلق الأشياء بالمشيئة، لازم هذا القول إحتياج نفس المشيئة إلى مشيئة أخرى لأنها مخلوقة، وهذه المشيئة المخلوقة تحتاج إلى مشيئة أخرى، والأخرى إلى أخرى، وذلك يستوجب التسلسل من وجود مشيئات غير متناعية وهذا خلف

رد المؤلف على قدم المشيئة

أجابهم بدليلين نقلي وعقلي هما :

الدليل النقلي :

تصريح الإمام الصادق بحدوث وخلق المشيئة بقوله ((خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة))[1] أي إن الله تعالى خلق المشيئة بنفسها، فلا تحتاج إلى مشيئة آخرى

الدليل العقلي

إننا نحن الخلق حينما نريد شيئا ما، نفعل ذلك الشئ بلا حاجة إلى مشيئة أخرى، فأنت أيها الإنسان لما تريد أن تقوم لا تحتاج إلى إرادة أخرى، بل تحدث إرادتك ومشيئتك بنفسها فتقوم، وهكذا بقية أعمالك ومفعولاتك تنشئها بفعلك، وفعلك تحدثه بنفسه لا بغيره، كما ذكر المؤلف نية العبادات مثل الصلاة، فإنك تحدث النية بنفسها، ولا تحتاج إلى نية أخرى، وكذلك الموجودات كلها وجدت بالوجود، والوجود موجود بنفسه، لا بوجود آخر ومادة أخرى، وهذا ظاهر بديهي

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٨، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ١٤٥.

بعض الفلاسفة يقول إن المشيئة هي العلم

وبعضهم يرى أن المشيئة هي العلم الذاتي، أي إرادته عبارة عن علمه الذاتي بنظام الوجود من أوله إلى أخره

وقال هذا الفيلسوف أيضاً ((فإذن قد انصرح واتضح: أن كونه عالماً ومريداً أمر واحد، من غير تغاير لا في الذات ولا في الاعتبار، فإذن إرادته بعينها هي علمه بالنظام الأتم، وهو بعينه هو الداعي والغاية في هذا الإختيار لا أمر آخر من العالم الإمكاني))[١]

والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، يصرح بأن علمه غير مشيئته كما روى عن بكير بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ((علمه ومشيئته مختلفان أو متفقان؟ فقال عليه السلام: ((العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنك تقول سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول سأفعل كذا إن علم الله))[٢]

وقصة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلم خراسان مشهورة معروفة في حدوث المشيئة و من أن المشيئة غير العلم، ذكر الشيخ الصدوق قدس الله نفسه المباركة في التوحيد والعيون قال ((فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدا لك، وعليك بحسن الإستماع والإنصاف، قال سليمان: يا سيدي أسألك؟ قال الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة إسماً وصفة، مثل حي وسميع وبصير وقدير؟ قال الرضا عليه السلام: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا حدثت واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليست بمثل سميع بصير ولا قدير، قال سليمان: فإنه لم يزل مريداً، قال: يا سليمان فإرادته غيره؟ قال: نعم، قال: فقد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل. قال سليمان: ما أثبت، قال الرضا عليه السلام: أهي محدثة؟ قال سليمان: لا ما هي محدثة، فصاح به المأمون وقال: يا سليمان مثله يعايا أو يكابر، عليك بالإنصاف أما ترى من

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ صدرا الدين محمد الشيرازي ٦/ ٣٣٣.

(٢) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١٠٩.

حولك من أهل النظر، ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان، فأعاد عليه المسألة فقال: هي محدثة يا سليمان، فإن الشيء إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً، قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه منه وبصره منه وعلمه منه، قال الرضا عليه السلام: فإرادته نفسه؟! قال: لا، قال عليه السلام: فليس المريد مثل السميع والبصير، قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه، قال الرضا عليه السلام: ما معنى أراد نفسه أراد أن يكون شيئاً أو أراد أن يكون حياً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً؟! قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: أفبإرادته كان ذلك؟! قال سليمان: لا، قال الرضا عليه السلام: فليس قولك: أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته، قال سليمان: بلى قد كان ذلك بإرادته، فضحك المأمون ومن حوله وضحك الرضا عليه السلام، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغير عنها وهذا مما لا يوصف الله عز وجل به، فانقطع. ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان أسألك مسألة، قال: سل جعلت فداك قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون؟! قال: بل بما يفقهون ويعرفون، قال الرضا عليه السلام: فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة وأن المريد قبل الإرادة وأن الفاعل قبل المفعول وهذا يبطل قولكم: إن الإرادة والمريد شيء واحد، قال: جعلت فداك ليس ذاك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون، قال عليه السلام: فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفة، وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل، فلم يحر جواباً))[1].

فالشيخ أحمد الأحسائي قدس الله نفسه المباركة، والسيد كاظم الرشتي صاحب هذا الكتاب، وتلامذتهم ومن تبعهم قلدوا واتبعوا أئمتهم عليهم السلام في القول بحدوث المشيئة، وأنها غير العلم، كما نص عليه أئمة الهدى سلام الله عليهم جميعاً

قال الشيخ أحمد الأحسائي في كتابه حياة النفس ((ويجب الإيمان والإعتقاد بأنه

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ٤٤٥ـ ٤٤٦.

سبحانه مريد، لأنه سبحانه وصف نفسه بذلك، فلما وجدنا أن الإرادة لا تكون إلا والمراد معها، لأنها لا تنفك عنه، علمنا بأنه وصف نفسه بأنه مريد بواسطة فعله، وهذا يدل على أنها من صفات الأفعال. . . . فالقول بحدوث الإرادة هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، وعليه إجماعهم وهو الحق))[١]

فعلى ما ذكرنا من آيات الله تعالى، وروايات أهل العصمة عليهم السلام، ودليل العقل، ما يبقى مجال للقول بقدوم الإرادة إلا المخالفة لأهل الطهارة والعصمة عليهم السلام، والعياذ بالله تعالى

والعجب العجاب من البعض يحاول أن يؤل روايات أهل البيت عليهم السلام الصريحة الناصة على حدوث الإرادة، كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بأن المشيئة محدثة علانية وصريحة، نجده يؤل كلام الإمام عليه السلام، إلى وجود مشيئة قديمة الذي يقول بها هو، والإمام عليه السلام يتحدث عن المشيئة الحادثة، لأن ذهن الراوي فيه الإرادة المحدثة، ولما تسأله من أين لك القول بقدم المشيئة المقابل لقول الإمام عليه السلام؟ يستدل لك بقول فيلسوف من الناس ناقل هذا عن غيره، في قبال قول الإمام عليه السلام.

قال بعضهم ((الحق إن الإرادة من الصفات الذاتية، وتجري عليه سبحانه على التطوير الذي ذكرناه في الحياة))[٢]

ثم يؤل كلام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن معناه الحقيقي الظاهري في حدوث الإرادة، ويتكلف تكلفاً بعيداً بعد المشرق إلى المغرب في تأويل قول الإمام عليه السلام ((روى عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((قلت لم يزل الله مريداً؟ قال إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد))[٣]

((يبدو أن الإرادة التي كانت في ذهن الراوي وسأل عنها هي الإرادة، بمعنى

---

(١) شرح حياة النفس للشارح ١٧٩.
(٢) الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني ١٧٣.
(٣) الكافي للشيخ محمد الكليني ١/ ١٠٩.

العزم على الفعل الذي لا ينفك غالباً عن الفعل، فأراد الإمام هدايته إلى أن الإرادة بهذا المعنى لا يمكن أن تكون من أوصافه الذاتية، لأنه يستلزم قدم المراد أو حدوث المريد، أو لأجل أن يتلقى الراوي معنى صحيحاً للإرادة، يناسب مستوى تفكيره، فسر عليه السلام الإرادة بالمعنى الذي يجري عليه سبحانه في مقام الفعل وقال ((لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد)) أي ثم خلق، ولكن ما جاءت به الرواية لا ينفي أن تكون الإرادة من أوصافه الذاتية))[1]

أخي القارئ انظر إلى كلامه!! واحكم أنت بنفسك، ودع عنك فلاناً وفلاناً، وجعل كتاب الله تعالى والسنة هما الحاكمان والسلام

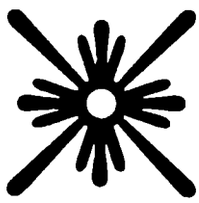

(١) الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني ١٧٦ .

الوجه الثّاني: إن المشية لا شك أنها صفة، والصّفة لا تخلو من ثلاث صور: إما قائمة بنفس الواجب وذاته، وإما قائمة بغيرها، إن قلت: إنها قائمة بذات الواجب، قلت لا تخلو أيضاً من صورتين: إما قديمة وإما حادثة، إن كانت قديمة فهي عين المطلوب، وإن كانت حادثة لزم أن يكون الواجب محل الحوادث، وهو باطل بالإجماع، وإن قلت: إن الصفة قائمة بنفسها، قلنا إن الصّفة عرض، والعرض يحتاج إلى محل وإلا لما وجد، فالسّواد والبياض مثلاً لولا الجسم الّذي يعرضانه لما وجدا، وليس لهما وجود استقلالي بالبداهة، فالعلم لا محالة يحتاج إلى عالم، والعلم بلا عالم لا يوجد، فهذا الشّق أيضاً باطل.

وإن قلت: إنّها قائمة بالغير، قلنا: إنه باطل أيضاً، إذ لا يصح أن تقوم صفة شيء بشيء كالحرارة مثلاً صفة النّار، لا يمكن أن تكون قائمة بالماء وصفة له، فإذا أبطلت الشّقوق، لا جرم تكون المشية قديمة.

والجواب أن المشية صفة الله، والصفة لا شك أنها قائمة بالموصف، ولا يلزم من ذلك أن تكون الذّات محلاً للحوادث، إذ القيام ليس قيام عروض، كما ذكرت فيلزم الكفر والزندقة، بل القيام قيام صدور، يعني المشية قائمة بالله قيام صدور لكن بلا كيف، كقيام الأشعة بالشمس، وقيام الكلام بالمتكلّم، ولايلزم محذور أبداً. والحاصل العقل والنّقل والعلم من الآفاق والأنفس شاهد ودليل على أن المشية حادثة، والذّات المقدسة منزهة ومعراة من هذه الصّفة، والأئمة عليهم السلام حكموا بعدم توحيد من قال بقدمها، ولا يتحمل هذا المختصر بأبسط من هذا في البيان، وإقامة الأدلة والبرهان، وقد استقصيناها في سائر الرسائل، وتركناها هنا لعدم انتفاع

العوام بأزيد من هذا، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين ❁.

❁ الوجه الثاني في قدم المشيئة

ذكر القائل بقدم المشيئة وجهين، تقدم الوجه الأول، وهنا يذكر الوجه الثاني، من أن المشيئة والإرادة صفة من الصفات مثل القيام والقعود والمشي والكلام والحركات الصادرة من المريد، و المريد هو الموصوف، وهذه الصفة التي هي المشيئة لا تخلو من صور ثلاث:

الصورة الأولى

إما أن تكون هذه الصفة قائمة بذات الواجب تعالى، أي أن المشيئة قائمة بذات الله تعالى، والمشيئة في هذه الصورة لا تخلو من حالتين هما:

إما أن تكون المشيئة قديمة أو حادثة

فإن كانت قديمة لزم المطلوب على رأيهم، وإن كانت حادثة لزم أن يكون الواجب وهو الله تعالى محلاً للحوادث والمخلوقات، وهو باطل بإجماع.

الصورة الثانية

إما أن تكون الصفة قائمة بنفسها فهذا باطل، لأن الصفة عرض، والعرض لا يقوم بنفسه إلا بمعروض مثل الجدار والأجسام، مثل الألوان والحرارة والأمراض القائمة بالجسم، فلا يمكن أن يكون لون بلا جسم، أو مرض بلا بدن وهكذا.

الصورة الثالثة

إما أن تكون الصفة وهي المشيئة قائمة بغيرها، فهذا أيضا بّاطل، لأنه لا يمكن للصفة أن تقوم بغير موصوفها، فلا يمكن لصفة الحرارة أن تقوم بغير النار، بأن تقوم وتكون صفة للماء مثلاً، أو للجدار أو للباب أو غير ذلك، بل لابد للصفة أن تقوم

بموصوفها فالحرارة للنار، والبرودة للماء وهكذا فلو كانت المشيئة حادثة وهي للواجب تعالى وهو قديم لزم أن يكون الواجب سبحانه محلاً للحوادث والمخلوقات وهذا أيضاً باطل، فإذا بطلت هذه المحذورات ثبت قدم الإرادة والمشيئة عندهم.

رد المؤلف الوجه الثاني على قدم المشيئة

أجاب السيد كاظم رضوان الله عليه، بأن الإرادة والمشيئة مما لا شك أنها صفة، وأن الصفة قائمة بموصوفها، ولا يلزم من ذلك أن تكون الذات تعالى محلاً للحوادث بناءاً على أنها حادثة، والله تعالى الموصوف قديم، لأن القيام هنا، أي قيام الصفة بموصوفها قيام صدور كقيام الأشعة بالشمس لا قيام عروض كقيام الألوان بالأجسام

فالمشيئة المحدثة قائمة بالله تعالى قيام صدور، ولكن بلا كيف لذلك، ولا يلزم هذه المحذورات السابقة الذكر، إذن القول بحدوث المشيئة قول أهل البيت عليهم السلام ومن خالفهم يرمي به عرض الحائط والسلام.

الفصل الثّاني عشر [المشيئة مخلوقة] ٢٥٩

المحتويات

الإهداء ٥
مقدمة الشارح ٧
تقريظ آية اللَّه الميرزا عبد اللَّه الإحقاقي دام عزه ٩
المترجم ١١

(الباب الأول)
في التوحيد وفيه فصول اثنا عشر

الفصل الأول: في إثبات وجود الواجب تعالى شأنه ١٥
النسبة بين مادتي القضية ١٥
الأول: الوجوب ١٥
الثاني: الامتناع ١٦
الثالث: الإمكان ١٦
إثبات الصانع ١٦
الأمر الأول: ١٧
الأمر الثاني: ١٧
ليس الموجودات كلهم بممكن ١٨

الأمر الأول: ١٨
الأمر الثاني: ١٩
ليس الموجودات كلهم بواجب ١٩
فرضية جميع الموجودات ممكن ٢٠
الفرضية الثانية ٢١
الفرضية الثالثة ٢٢
معنى حديث الإمام الرضا عليه السلام ٢٤
الفصل الثاني: في إثبات أن واجب الوجود واحد ٢٦
برهان التمانع ٢٧
صورة الاختلاف في الإرادة ٢٧
دليل الفرجه ٢٧
صورة إتفاق الإرادتين ٣٠
تكثر الفوضى مع تعدد الآلهة ٣١
الفصل الثّالث: في أن معرفة ذات الواجب محال ٣٣
النسبة بين المدرِك والمدرَك ٣٣
لا بد من مناسبة بين مخلوق ومخلوق ٣٥
بطلان إدراك الواجب تعالى ٣٥
الإدراك وليد الإحاطة ٣٦
لا تحاط الذات تعالى حضوراً ولا حصولاً ٣٨
لا تدرك الذات تعالى إجمالاً ولا جزئياً ٣٨
لا يدرك الحق سبحانه ببصر العقل ٤١
كل مخلوق يُدرِك حدَّه ٤١
عناوين للذات البات سبحانه ٤٣

المجهول المطلق ٤٤
الذات البحت ٤٦
الذات الساذج ٤٩
الذات بلا اعتبار ٤٩
عين الكافور ٥١
اللا تعيُّن ٥١
غيب الغيوب ٥٣
أزل الآزال ٥٣
الأزلي: ٥٣
مجهول النعت ٥٥
منقطع الإشارات ٥٥
المنقطع الوجداني ٥٧
غيب الهوية ٥٩
عين المطلق ٥٩
شرح خطبة الإمام الرضا عليه السلام ٦٢
فليس اللّه عرف من عرف بالتشبيه ذاته ٦٢
ولا إيّاه وحّده من اكتنه ٦٢
ولا حقيقته أصاب من مثّله ٦٢
ولا به صدّق من نهّاه ٦٤
ولا صمد صمده من أشار إليه ٦٤
شرح حديث أمير المؤمنين عليه السلام ٦٥
إشكال في إثبات الصفات ونفيها عن الذات ٦٦
حل الإشكال ٦٦

الصفات الذاتية ٦٦
صفات الفعل ٦٨
ولا إيّاه عنى من شبّهه ٦٩
ولا له تذلل من بعّضه ٧١
ولا إيّاه أراد من توهمه ٧١
كل معروف بنفسه مصنوع ٧١
وكل قائم في سواه معلول ٧٣
الفصل الرّابع: أنّه لا يجوز التّكلم في ذات اللّه سبحانه ٧٥
حقيقة الكلام ٧٥
تعدد العوالم ٧٧
عالم الإمكان ٧٧
الوجود والراجح ٧٩
الوجود المطلق ٧٩
توحيد عالم الفؤاد ٧٩
عالم التكوين ٨٠
عالم الجبروت ٨٠
توحيد عالم العقول ٨١
عالم الملكوت ٨٢
توحيد عالم الملكوت ٨٢
عالم الناسوت ٨٢
توحيد عالم الناسوت الدنيا ٨٣
عالم الأرواح ٨٣
عالم المثال ٨٤

النهي عن التكلم في الذات ٨٥
الجاهل بالشئ لا يمكن أن يتحدث عنه ٨٦
تكلم الصوفية في ذات الباري تعالى ٨٧
مذهب أهل البيت عليهم السلام في عدم الكلام في ذات اللّه تعالى ٨٩
الفصل الخامس: في أنّ اللّه سبحانه: ليس له مثل و لا مثال ٩١
الحق جلَّ وعزَّ ليس له مثل ولا مثال ٩١
الحق تعالى غير خلقه ٩٣
كل ما سوى اللّه تعالى من مثل وغيره مخلوق ٩٣
فساد ضرب للّه تعالى مثلاً أو مثالاً ٩٥
النهي عن ضرب المثل للّه تعالى ٩٧
خزعبلات الصوفية ٩٩
الفصل السّادس: إن اللّه سبحانه ليس له مشابه، ولا مماثل، ولا مجانس، ولا مساوي، ولا مطابق، ولا محاذي، ولا مناسب ١٠٠
الذاتي والعرضي ١٠٠
الذاتي: ١٠١
العرضي: ١٠١
اللّه تعالى ليس له مشابه ١٠٢
الواجب تعالى لا يعرضه عرضي ١٠٣
الأمر الأول: ١٠٣
الأمر الثاني: ١٠٤
الحق تعالى ليس له مماثل ١٠٥
القسم الأول المثلان ١٠٦
المتجانسان ١٠٦

المتساويان ١٠٧
الكم ١٠٧
وهو ينقسم إلى قسمين: ١٠٧
الكم المتصل ١٠٧
الكم المنفصل ١٠٩
المتشابهان ١٠٩
المتخالفان ١٠٩
المتقابلان ١١٠
الفصل السّابع: ﴿ليس كمثله شيء من خلقه مطلقاً﴾ ١١٢
الحق تعالى غير خلقه ١١٢
صفات القوة للخالق والضعف للمخلوق ١١٤
ما في الممكن ليس في الواجب ١١٤
الحق تعالى لا يماثل أحداً ١١٦
ليس للحق تعالى مجانس ١١٩
ليس للّه سبحانه مساوي ١٢٠
الحق تعالى لا يطابق خلقه ١٢١
أقسام الدلالة ١٢١
١ ـ الدلالة العقلية ١٢١
٢ ـ الدلالة الطبعية ١٢١
٣ ـ الدلالة الوضعية ١٢٢
واضع اللفظ للمعنى ١٢٢
العلاقة بين اللفظ والمعنى ١٢٢
العلاقة بين اللفظ والمعنى على سبيل التكرار ١٢٣

المناسبة بين اللفظ والمعنى ذاتية ١٢٣
رأي الشيخ أحمد الأحسائي في المناسبة الذاتية ١٢٤
[المناسبة الذاتية للأسماء] ١٢٨
قسما الدلالة الوضعية ١٣٤
أقسام الدلالة اللفظية ١٣٤
ليس للحق تعالى مطابق يطابقه ١٣٦
الحق جلَّ وعزَّ ليس له محاذي ١٣٨
الحق جلَّ وعزَّ ليس له مناسب ١٣٨
اللَّه سبحانه وتعالى غير خلقه ١٤٠
صفة الممكن أنزل من ذاته قطعاً ١٤٠
وجود نسبة بين الموصوف وصفته ١٤٢
كلما يتصف به الممكن يجب سلبه عن الذات ١٤٤
يجب الإعتقاد بصفات اللَّه تعالى ١٤٦
لا يمكن الكلام في ذات اللَّه سبحانه ١٤٨
الفصل الثّامن: في كيفيّة معرفته تعالى شأنه ١٥٠
علة خلق الخلق ١٥٠
الجواب ١٥١
كنت كنزاً مخفياً ١٥٣
انحصار معرفته تعالى بالآثار ١٥٥
الأثر يدل على المؤثر ١٦٣
صفة استدلال لا صفة تكشف عنه ١٦٦
صفاته وذاته سواء في المعرفة ١٦٩
محاورة للمؤلف ١٧٢

سنريهم آياتنا ١٧٥
شرح بعض خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ١٧٦
الطريق الوحيد للمعرفة في الآثار ١٧٨
الفصل التاسع: في معرفة صفات اللّه جل وعلا ١٨٠
استواء الخلائق في عدم معرفة الذات ١٨٠
الخالق غير المخلوق ١٨٢
كل كمال نثبته للواجب تعالى ١٨٢
كل كمال هو سبحانه أعلى وأجل منه ١٨٤
المعرفة على قدر الطاقة ١٨٧
معنى الأبوين ١٨٩
الأبوان الجسمانيان ١٨٩
الأبوان النورانيان ١٩٠
حديث احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام مع القوم ١٩٤
الآباء الظلمانيون ٢٠١
المعاصي تغير الفطرة السليمة ٢٠٣
وصف الأنبياء على الفطرة ٢٠٥
ما عرفناك حق معرفتك ٢٠٧
وصْف نفسه تعالى ليس دليلاً على معرفة ذاته ٢٠٩
وصْف الحق تعالى بما يفهمه الخلق ٢١٠
مدح الحق تعالى لوصف الأنبياء عليهم السلام ٢١٤
يا علي ما عرف اللّه إلا أنا وأنت ٢١٦
الفصل العاشر: [صفات اللّه سبحانه الذاتية والفعلية] ٢٢١
إثبات الصفات الذاتية ٢٢٢

المحتويات ٢٦٩

القسم الأول ٢٢٢
المحذور الأول ٢٢٢
المحذور الثاني ٢٢٣
إثبات صفات الفعل له تعالى ٢٢٦
تقرير في الصفات الذاتية والفعلية ٢٢٩
شرح حديث الإمام الرضا عليه السلام ٢٣٠
أسماؤه تعبير ٢٣٠
أفعاله تفهيم ٢٣٠
ذاته حقيقة ٢٣١
الفصل الحادي عشر: [الصفات الذاتية عين ذاته تعالى] ٢٣٤
الصفات الذاتية عين الذات ٢٣٤
الإحتمال الأول ٢٣٥
الإحتمال الثاني ٢٣٥
الأمر الأول: ٢٣٥
الأمر الثاني: ٢٣٥
الإحتمال الثالث ٢٣٦
عينية الصفات عند أهل البيت عليهم السلام ٢٣٧
كمال التوحيد نفي الصفات عنه ٢٤١
أسماؤه تعبير ٢٤٣
الفصل الثّاني عشر: [المشيئة مخلوقة] ٢٤٥
حدوث المشيئة ٢٤٥
رأي الكتاب في حدوث المشيئة ٢٤٦
رأي أهل البيت عليهم السلام في حدوث الإرادة ٢٤٦

مذهب القائلين بقدم المشيئة ٢٤٨
دليل القائلين بقدم المشيئة ٢٥٠
الوجه الأول في قدم المشيئة ٢٥٠
رد المؤلف على قدم المشيئة ٢٥٠
الدليل النقلي: ٢٥٠
الدليل العقلي ٢٥٠
بعض الفلاسفة يقول إن المشيئة هي العلم ٢٥١
الوجه الثاني في قدم المشيئة ٢٥٦
الصورة الأولى ٢٥٦
الصورة الثانية ٢٥٦
الصورة الثالثة ٢٥٦
رد المؤلف الوجه الثاني على قدم المشيئة ٢٥٧